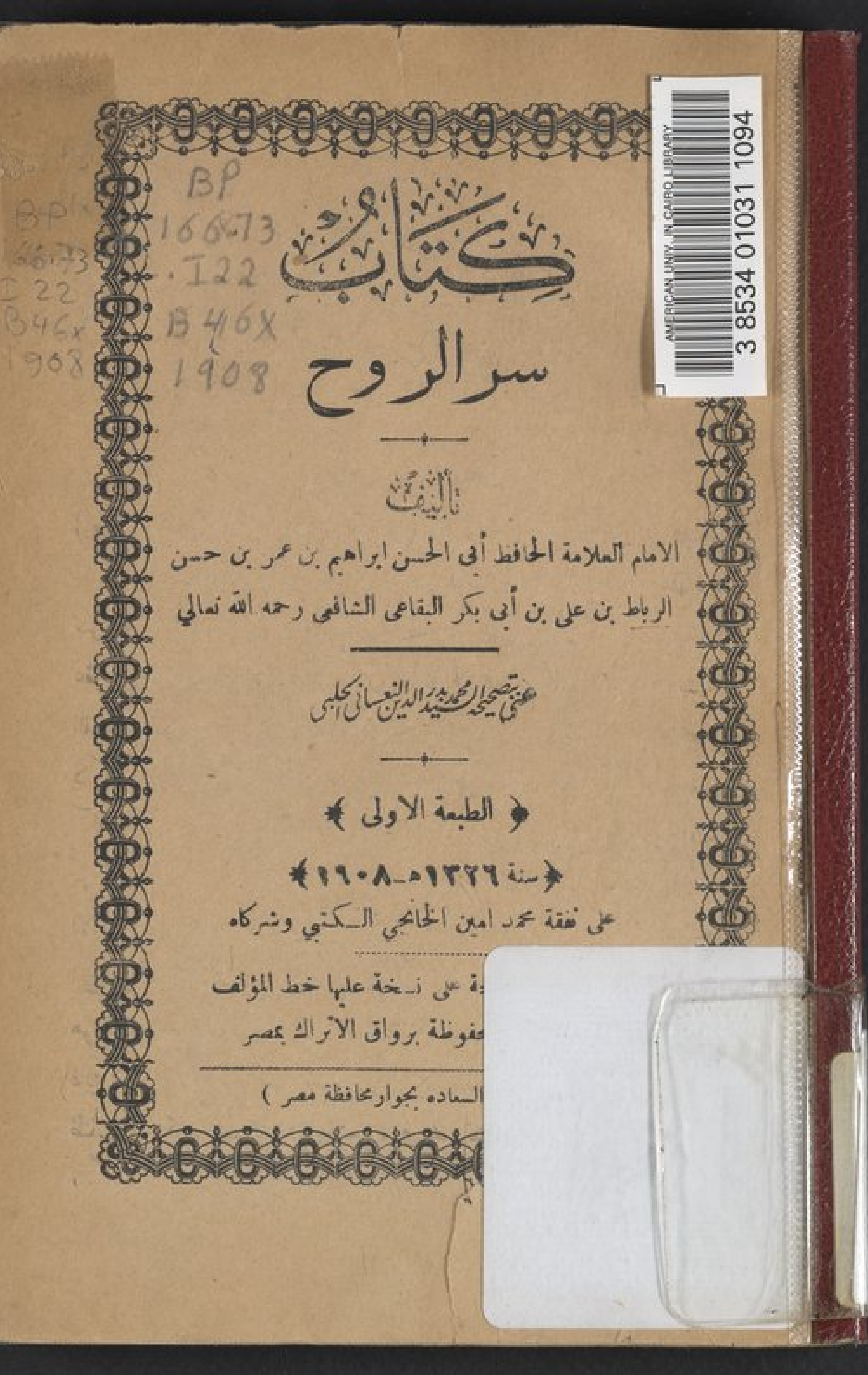


كتاب
سر الروح

تأليف

الامام العلامة الحافظ أبي الحسن ابراهيم بن عمر بن حسن
الرباط بن على بن أبي بكر البقاعي الشافعي رحمه الله تعالى

عني بتصحيحه محمد بدر الدين النعساني الحلبي

﴿ الطبعة الاولى ﴾

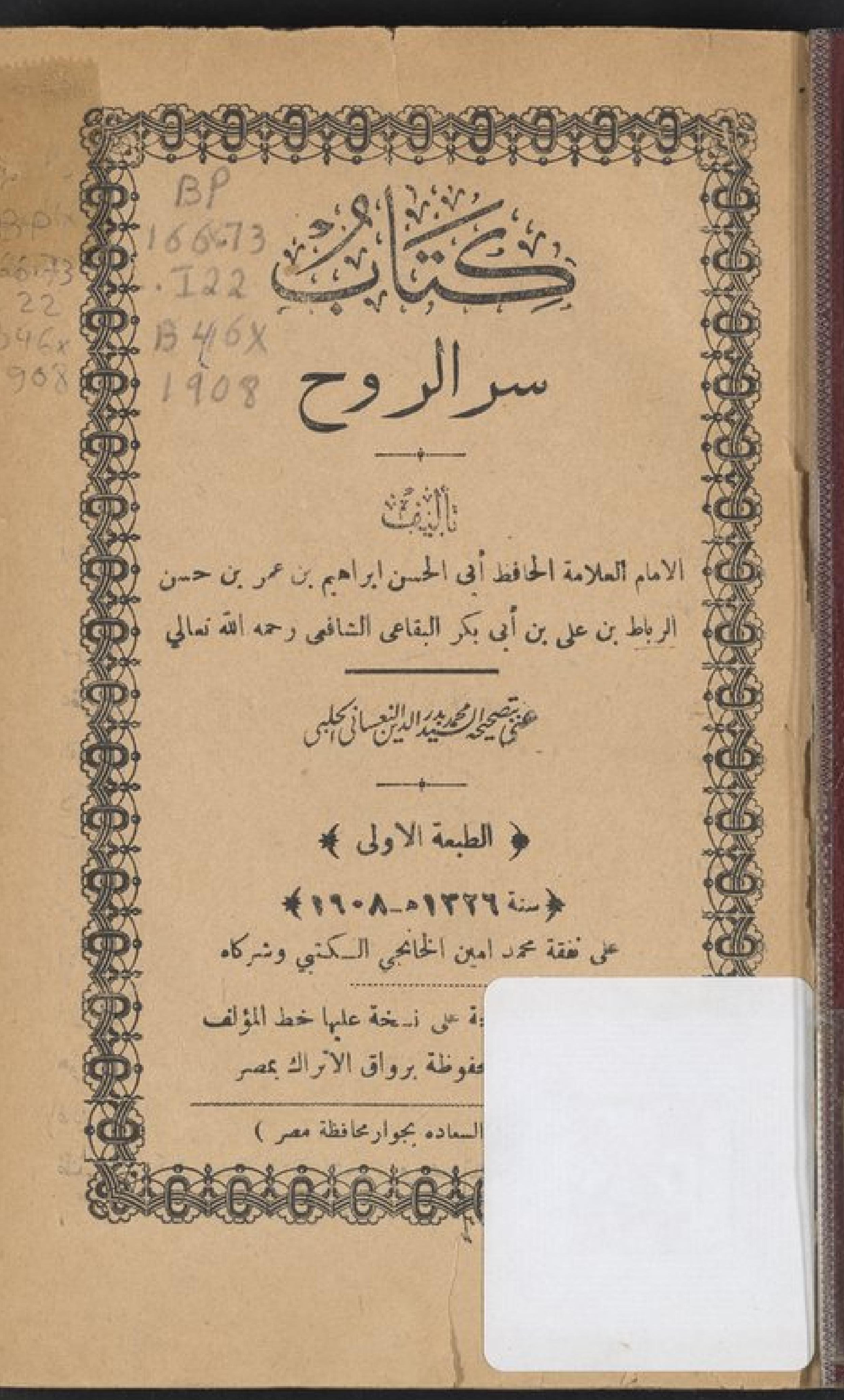
﴿ سنة ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ ﴾

على نفقة محمد امين الخانجي الكتبي وشركاه

ة على نسخة عليها خط المؤلف
محفوظة برواق الاتراك بمصر

السعاده بجوار محافظة مصر)





كتاب

سر الروح

تأليف

الامام العلامة الحافظ أبي الحسن ابراهيم بن عمر بن حسن
الرباط بن على بن أبي بكر البقاعي الشافعي رحمه الله تعالى

عني بتصحيحه محمد بدر الدين النعساني الحلبي

﴿ الطبعة الاولى ﴾

﴿ سنة ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨ ﴾

على نفقة محمد امين الخانجي الكتبي وشركاه

...ة على نسخة عليها خط المؤلف
...حفوظة برواق الاتراك بمصر

(... السعاده بجوار محافظة مصر)

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آل محمد وأزواجه وذريته

(ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا)

الحمد لله جاعل الروح من أمره ٭ أبدعها أحسن ابداع وأودعها خفى سره ٭ فدلت بجلالتها على عظيم سلطانه وقدره ٭ وجلت بدقتها أن يدركها عقل في سره أو جهره ٭ وأشهد أن لا إله الا الله المتعالى فى كبره ٭ الشامل القدرة فكل شيء في قبضته وقهره ٭ وأشهد أن سيدنا محمداً عبده الدائم على ذكره ٭ ورسوله القائم بنصره ٭ بعلي همته وجميل صبره ٭ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ٭ وأزواجه وذريته وأحبابه ٭ وسلم وعظم وشرف وكرم ما افتخر حيٌ بصدره ٭ وضاق صدر بسره ٭ ﴿ وبعد ﴾ فانى كاتب ان شاء الله تعالى فى هذه الأوراق المقصود بالحقيقة من كتاب الروح للامام العلامة شمس الدين محمد ابن قيم الجوزية الدمشقي الحنبلي سقى الله ثراه ٭ ورحم منقلبه ومثواه وذلك هو الصحيح من الأقوال فى كل مسئلة باقوى أدلتها وربما زدت شيئاً فميزته غالباً بقلت والله أعلم ورتبته أحسن من ترتيبه وبالغت جهدى فى تهذيبه وكنت ظننت أنه يكون بعد الزيادة والتحرير فى نحو ثلثه والثلث كثير فجاء فى نصفه فاتفق رصفه ووصفه ولم أخل بشيء من مختاره ولا حذفت صحيحاً من أحاديثه

وأخباره وسميته ﴿ سر الروح ﴾ والله تعالى المسؤل أن يبلغنا فى الدارين غاية السول ونهاية القبول إنه المرجو المأمول وهو احدى وعشرون مسئلة منها ماهو فرع من غيره فرددتها الى عشر مسائل (الأولى) في حقيقة الروح والنفس وفي أنهما واحد أم شيئان متغايران وفى أن النفس واحدة أم ثلاث (الثانية) أهى قديمة أم محدثة و بعد اثبات حدوثها أفتقدم خلقها على خلق الجسد أو تأخر عنه (الثالثة) ما حالها أتموت أم الموت للبدن وحده (الرابعة) فى أنها هل تعاد الى الميت ومتى تعاد (الخامسة) فى مستقر الارواح ما بين الموت والقيامة ومتي تزار القبور (السادسة) فى أنها هل لها ادراك بعد الموت أم لا وفيه ثلاثة أمور . الأول هل تدرك الأموات زيارة الأحياء لهم وسلامهم عليهم أولا . الثانى هل تلاقي أرواحهم أرواح الاحياء أولا . الثالث هل تتلاقي أرواح الأموات وتتزاور أولا ﴿ المسئلة السابعة ﴾ بأى شيء تتمايز الارواح بعد مفارقة الاشباح حتى تتعارف وهل تتشكل باشكال ابدانها أولا (الثامنة) فى فتنة القبر بالسؤال وفيه ثلاثة أمور . الأول أيخص ذلك هذه أم يعم جميع الأمم . الثانى هل يعم مكلفى هذه الأمة وغير مكلفيهم أولا . الثالث أيعم المسلمين والكفار أم يخص المؤمنين والمنافقين (التاسعة) هل تنتفع أرواح الموتى بشيء من سعي الاحياء أولا (العاشرة) فى عذاب القبر ونعيمه وما محله أهو النفس أم البدن أم هما وهل ذكر فى القرآن وفي أنه دائم أم منقطع وما يوقع فيه وما ينجي منه أعاذنا الله منه آمين

﴿ المسئلة الاولى ﴾

فى حقيقة الروح والنفس وفى أنهما واحد أم شيئان وفى أن النفس واحدة أم ثلاث و بعد اثبات كونها واحدة بالذات أفهى جزء من أجزاء البدن أم عرض من اعراضه أم جوهر مجرد لامتصل ولامنفصل عنه أم جسم ساكن به مودع فيه

أما حقيقتها فهي عند جمهور المسلمين جسم مخالف بالماهية لهـذا الجسم المحسوس وهو جسم نورانى علوى خفيف حى متحرك ينفذ فى جوهر الاعضاء و يسرى فيها سريان الماء فى الورد والنار فى الفحم فما دامت هذه الاعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقى ذلك الجسم اللطيف مشابكا لهذه الاعضاء أفادها هذه الآثار من الحس والحركة الارادية واذا فسدت هذه الاعضاء بسبب ينافى الروح كاستيلاء الاخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق البدن وانفصل الى عالم الارواح

قلت وعبارة امام الحرمين فى الارشاد كما نقله عنه الشيخ سعد الدين التفتازاني فى شرح المقاصد له في ابحاث المعاد الاظهر عندنا أن الارواح اجسام لطيفة مشابكة للاجسام المحسوسة أجرى الله تعالى العادة باستمرار حياة الاجساد ما استمرت مشابكتها فاذا فارقتها تعقب الموت الحياة فى استمرار العـادة ثم الروح يعرج به ويرفع في حواصل طيور خضر فى الجنة أو يهبط به الى سجين من الكفرة كما وردت فيه الآثار والحياة عرض يحيي به الجوهر والروح يحيي بالحياة أيضاً ان قامت به الحياة والله أعلم ٠٠ وعلى هذا القول دل الكتاب والسنة واجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة في قوله تعالى ﴿ الله يتوفي الانفس

حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضا عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمي ﴾ ثلاثة أدلة الاخبار بوفاتها وامسا كها وارسالها ٠٠ وفى قوله تعالى ﴿ ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة ﴾ أربعة أدلة بسط الملائكة أيديهم لتناولها ووصفها بالاخراج والخروج والاخبار عن عذابها ومجيئها ٠٠ وفى قوله تعالى ﴿ وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضي أجل مسمي ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذاجاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ﴾ ثلاثة أدلة وفاتها وبعثها بالنهار وتوفى الملائكة لها عند الموت ٠٠ وفى وقوله تعالى ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى ﴾ ثلاثة أدلة وصفها بالرجوع والدخول والرضا ٠٠ وقد وصفت فى قوله تعالى ﴿ فلولا اذا بلغت الحلقوم ﴾ بالانتقال الذى هو من صفات الأجسام

قلت قال سلطان العلماء عز الدين عبد السلام السلمى فى أول ما ألحقه آخر قواعده ويدل على أن الارواح فى الاجساد قوله تعالى ﴿ فلولا اذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ﴾ وقوله تعالى ﴿ ترجعونها ان كنتم صادقين ﴾ وأجمع المفسرون على أن المراد بالبالغة الحلقوم التي ترجع الى الجسد روح الانسان وكذلك قوله ﴿ فاذا سوّيته ونفخت فيه من روحي ﴾ وقوله ﴿ فنفخنا فيها من روحنا ﴾ تقريره فنفخنا فى جيبها من روحنا وقوله عليه الصلاة والسلام إن الروح اذاخرجت تبعها البصر وقال الاستاذ أبوالقاسم القشيرى فى الرسالة

والاخبار تدل على أنها أعيان لطيفة والله أعلم . . فقد ثبت في النصوص الصريحة من السنة الصحيحة أنها تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء وان ملك الموت يأخذها بيده ثم تتناولها الملائكة منه وتكفن وتحنط من الجنة أو النار ويشم لها كأطيب ريح أو أنتن جيفة وتشيع من سماء الى سماء وأنها اذا خرجت تبعها البصر بحيث يراها وانها طائر أو في جوف طائر وانها تأكل وتشرب وتسرح وتأوى وتتفرق في البدن وتجذب وتقول قدموني قدموني أو ياويلها أين تذهبون بها وانها جنود مجندة تعرف وتنكر . . وفي سنن النسائي حدثنا أبو داود عن عفان عن حماد عن أبي جعفر عن عمارة بن خزيمة أن أباه قال رأيت في المنام كأني أسجد على جبهة النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته بذلك فقال إن الروح لتلقي الروح فأقنع رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا قال عفان برأسه الى خلفه فوضع جبهته على جبهة النبي صلى الله عليه وسلم الى غير ذلك مما ستقف عليه مثبوتاً في الأحاديث المنثورة في هذا الكتاب وهذه صفات ذوات قائمة بأنفسها ومحال ذلك في وصف اعراض أو جواهر تكون لاداخل العالم ولا خارجه ولا بعض لها ولا كل وفي الحديث أن الاجساد تنبت في القبور فاذا نفخ في الصور رجعت كل روح الى جسدها فدخلت فيه فانشقت الأرض عنه وقام من قبره وفي حديث الصور أن اسرافيل يدعو الأرواح فتأتيه جميعاً أرواح المسلمين نور والاخرى مظلمة فيجمعها جميعاً فيعلقها في الصور ثم ينفخ فيه فيقول الرب جل جلاله وعزتي ليرجعن كل روح الى جسده فتخرج الأرواح من الصور مثل النحل قد ملأت ما بين السماء والارض فتأتي كل روح الى جسده فيدخل ويأمر الله الارض فتنشق عنهم فيخرجون سراعا الى ربهم ينسلون مهطعين الى الداعي يسمعون المنادي من مكان قريب فاذاهم

قيام ينظرون وقال عليّ بن عبد العزيز حدثنا احمد بن يونس حدثنا أبو بكر ابن عياش عن أبي سعيد البقال عن عكرمة عن ابن عباس قال ماتزال الخصومة بين الناس حتى تخاصم الروح الجسد فتقول الروح يارب انما كنت روحاً منك جعلتني في هذا الجسد فلا ذنب لي ويقول الجسد يارب كنت جسداً خلقتني ودخل فيّ هذا الروح مثل النار فبه كنت أقوم وبه كنت أقعد وبه أذهب وبه أجيء لا ذنب لي قال فيقال أنا أقضي بينكما أخبراني عن أعمى ومقعد دخلا حائطاً فقال المقعد للاعمى انى أرى تمرا فلو كانت لي رجلان لتناولت فقال الاعمى أنا أحملك علي رقبتي فحمله فتناولا من التمر فأكلا جميعاً فعلى من الذنب قالا عليهما جميعاً قال قضيتما على أنفسكما وعلقه البغوى في تفسير قوله تعالى ﴿يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها﴾ عن عكرمة عن ابن عباس بنحوه وفى الأحاديث المفرقة فى هذا الكتاب مالا يحصى ومن الادلة مثل سؤال أرواح الشهداء الرد الي أجسادها ورؤية النبي صلى الله عليه وسلم للنسم وهي الارواح ليلة الاسراء عن يمين آدم ويساره في السماء الدنيا ورؤية الارواح الانبياء كذلك والاجساد فى الارض قطعاً وقال صلى الله عليه وسلم يابلال ما دخلت الجنة الاسمعت خشخشتك بين يديّ فبم ذاك قال ما أحدثت الا توضأت وصليت ركعتين وقد اتفق كثيراً أن شكي بعض الموتي الى أقاربهم في المنام أموراً تؤذيهم فيفتحون عليهم فيجدونها كذلك

قلت فهذا وأمثاله يدل على كون الروح جسما وأمانفي كونه عرضا وغيره من الوجوه الفاسدة فبأنه يعرف نفسه وخالقه ويدرك المعقولات وهذه علوم والعلوم اعراض ولو كان هو عرضا والعلم قائم به لقام العرض بالعرض وهو خلاف المعقول وأيضاً فالعرض الواحد لايفيد الا واحداً فيما قام به والروح

يفيد حكمين متغايرين فانه حين يعرف خالقه يعرف نفسه فدل على أنه ليس بعرض اذ العرض لا يتصف بهذه الصفات قاله الامام حجة الاسلام أبو حامد الغزالي في المضنون به على غير أهله والله أعلم ٠٠ ولو كانت الروح مجردة ليست بداخل البدن والا بخارجه وانما تعلقها به بالتدبير فقط كتدبير الملك لبعض مدنه لا بالمساكنة والمداخلة لم يمتنع أن ينقطع تعلقها بهذا البدن وتتعلق بغيره ويتعلق بتدبيره غيرها كما يجوز انقطاع تدبير المدبر لبيت أو مدينة عنهما أو يدبرهما غيره فنصير شاكين في أن هذه النفس التي تدبر بدن زيد أهي نفسه أم غيرها وفي أن زيداً هو ذلك الرجل الذي عرفناه بالأمس أم غيره ولو كانت مجردة عن الحجمية والتحيز لامتنع توقف فعلها على مماسة محل للفعل لان ما لا يكون متحيزاً يمتنع أن يصير مماساً للمتحيز ولو كان الامر كذلك لكان فعلها علي سبيل الاختراع من غير حاجة الى حصول مماسة وملاقاة بين الفاعل ومحل الفعل فكان الانسان يقدر علي تحريك الأجسام من غير أن يماسها أو يماس شيئاً يماسها فان النفس لما كانت بزعمكم قادرة على تحريك البدن حقيقة من غير أن يكون بينه وبينها مماسة كذلك لا يمتنع قدرتها على تحريك جسم غيره من غير مماسة له ولا لما يماسه وذلك باطل بالضرورة فعلم أن النفس لا تقوى على التحريك الا بشرط أن تماس محل الحركة أو تماس ما يماسه وكل ما كان مماساً للجسم أو لما يماسه فهو جسم ـ فان قيل ـ يجوز أن يكون تأثير النفس في تحريك بدنها غير مشروط بالماسة وتأثيرها في تحريك غيره موقوفاً على حصول الماسة بين بدنها وبين ذلك الجسم ـ قيل ـ لما كان قبول البدن لتصرفات النفس لا يتوقف على حصول الماسة بين النفس والبدن وجب أن يكون الحال كذلك في غيره من الاجسام لان الاجسام متساوية في قبول

الحركة ونسبة النفس الي جميعها سواء لانهـا اذا كانت مجردة عن الحجمية وعلائقها كانت نسبة ذاتها الى الـكل على السواء ومتى كانت ذات الفاعل نسبتها الى الـكل بالسوية والقوابل نسبتها الى ذلك الفـاعل بالسوية كان التأثير بالنسبة الي الـكل على حد سواء فاذا استغنى الفاعل عن مماسة محل الفعل فى حق البعض وجب أن يستغنى فى حق الجميع وان افتقر الى المماسة في البعض وجب افتقاره اليها فى الجميع والادلة علي جسميتها كثيرة جـداً وهذا كاف لمن وفق ‥ وأماأن الروح والنفس شيء واحد أم شيئان متغايران فنقول كل من لفظ الروح والنفس مشترك بين معان كثيرة فان أريد بهما التي تتوفى وتقبض فهما اسمان مترادفان على مسمي واحد لقوله تعالى ﴿ ياأيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك. ونهي النفس عن الهوى. ان النفس لامارة بالسوء﴾ ويقال فاضت نفسه أى مات وخرجت نفسه وان أريد غير ذلك فهما غير ان فالنفس تطلق علي الجسد والعين يقال أصابته نفس أى عين وتطلق علي الذات حتى تسلموا علي أنفسكم ولا تقتلوا أنفسكم وعلى الدم ففي الحديث مالا نفس له سائلة ‥ قلت ويطلق على الاخلاق المذمومة وعلى الوجود قال الأستاذ أبو القاسم القشيرى في الرسالة نفس الشيء في اللغة وجوده وعند القوم ليس المراد من اطلاق النفس الوجود ولا القالب الموضوع بل ما كان معلولا من أوصاف العبد ومذموماً من أخلاقه وأفعاله ومعلول أوصافه على ضربين أحدهما يكون كسبا له كمعاصيه ومخالفاته والثانى أخلاقه الدنية فهي فى نفسها مذمومة تنتفي عن العبد بالمعالجة والمنازلة فالقسم الاول مانهى عنه نهى تحريم أو تنزيه والثانى سفساف الاخلاق كالـكبر والحقد والحسد وسوء الخلق وقلة الاحتمال انتهى ملخصاً والله أعلم ‥ والروح لاتطلق على البدن لابانفراده ولامع النفس وتطلق

علي القرآن أوحينا اليك روحاً من أمرنا وعلى الوحي الى الانبياء يلقي الروح من أمره علي من يشاء من عباده والروح التي أيد بها عيسي عليه السلام في قوله تعالى ﴿ وأيدناك بروح القدس ﴾ روح أخرى وعيسى نفسه يسمى روحاً وكذا جبريل نزل به الروح الأمين وتطلق أيضا علي القوة والثبات والنصرة أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه وكذلك القوي التي فى البدن تسمى أرواحا

قلت فيقال الروح الحيوانى لجسم لطيف بخارى متكون من لطافة الاخلاط ينبعث من التجويف الايسر من القلب ويسرى الى البدن في عروق نابتة من القلب تسمى بالشرايين قاله الشيخ سعد الدين التفتازانى في شرح المقاصد وعبارة الغزالي في المضنون بخار لطيف في تجويف القلب تتصاعد منه الي الدماغ ثم يسري منه أثر الى الاعصاب الخارجة من الدماغ ومن الاعصاب الي الاوتار والرباطات المتعلقة بالعضل فتنجذب به الاوتار فتتحرك به الاصابع وتتحرك بالاصابع القلم وبالقلم المداد فتحدث منه صورة مايريد كتبه على وجه القرطاس علي الوجه المصور فى خزانة التخيل والله أعلم ٠٠ ويقال الروح الباصر والروح السامع والروح الشام وهذه اعراض تعدم بموت البدن وهى غير الروح التي لا تعدم بموت ولا تبلي ببلاء وتطلق الروح على أخص من هذا كله وهو المعرفة بالله تعالى والانابة اليه ونسبة هذه الروح الي الروح كنسبة الروح الي البدن فاذا فقدتها الروح كانت بمنزلة البدن اذا فقد روحه وهي الروح التى يؤيد بها الله أولياءه فى قوله تعالي ﴿ وأيدهم بروح منه ﴾ فللعلم روح وللاجسام روح وللاخلاص روح وللمحبة والانابة روح وللتوكل والصدق روح والناس متفاوتون فى هذه الارواح أعظم تفاوت فمنهم من

تغلب عليه الارواح فيصير روحانيا ومنهم من يفقدها أو أكثرها فيصير أرضيا بهيميا والله المستعان وقال بعض أهل الحديث والفقه والتصوف ان الروح التي تقبض غير النفس

قلت ففي زاد المسير لابن الجوزى في تفسير سورة الزمر عن ابن عباس ابن آدم نفس وروح فالنفس العقل والتمييز والروح النفس والتحريك فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه وقال ابن جريج في الانسان روح ونفس بينهما حاجز فهو تعالي يقبض النفس عند النوم ثم يردها الى الجسد عند الانتباه فاذا أراد اماتة العبد في نومه لم يردد النفس وقبض الروح والله أعلم وقال مقاتل للانسان حياة وروح ونفس فاذا نام خرجت نفسه التي يعقل بها الأشياء ولم تفارق الجسد بل تخرج كحبل ممتد له شعاع فيرى الرؤيا بالنفس التى خرجت منه وتبقي الحياة والروح في الجسد فبهما يتقلب ويتنفس فاذا حرك رجعت اليه أسرع من طرفة عين فاذا أراد الله أن يميته في المنام أمسك تلك النفس التى خرجت وقال أيضاً اذا نام خرجت نفسه فصعدت فاذا رأت الرؤيا رجعت فأخبرت الروح وتخبر الروح القلب فيصبح يعلم أنه قد رأى كيت وكيت

قلت وقال الأستاذ أبو القاسم القشيري ويحتمل أن تكون النفس لطيفة مودعة في هذا القالب هي محل الأخلاق المعلولة كما أن الروح عين لطيفة في هذا القالب هي محل الاخلاق المحمودة وتكون الجملة مسخراً بعضها لبعض فالجميع انسان واحد وكون الروح والنفس من الاجسام اللطيفة في الصورة ككون الملائكة والشياطين بصفة اللطافة وكما يصح أن يكون البصر محل الرؤية والاذن محل السمع والانف محل الشم والفم محل الذوق والسمع

والبصير والشام والذائق انما هي الجملة فكذلك محل الاوصاف الحميدة القلب أو الروح ومحل الاوصاف المذمومة النفس والنفس جزء من هذه الجملة والحكم والاسم راجع الى الجملة والارواح مختلف فيها عند أهل التحقيق من أهل السنة فمنهم من يقول انها الحياة فقط ومنهم من قال انها أعيان مودعة فى هذه القوالب لطيفة أجرى الله العادة بخلق الحياة فى القالب مادامت الارواح فى الابدان فالانسان حى بالحياة ولكن الارواح مودعة فى القوالب ولها ترق فى حال النوم ومفارقة للبدن ثم رجوع اليه وان الانسان هو الروح والجسد لان الله تعالي وتقدس سخر هذه الجملة بعضها لبعض والحشر يكون للجملة والثواب والعقاب للجملة والله الهادى .. وقال ابن مندة اختلفوا فى الروح والجسد فقال بعضهم النفس طينية نارية والروح نورية روحانية وقال بعضهم الروح لاهوتية والنفس ناسوتية وان الخلق بها ابتلى .. وقال أهل الأثر الروح غير النفس وبالعكس وقوام النفس بالروح والنفس صورة العبد والهوى والشهوة والبلاء يعجون فيها ولا عدو أعدى لابن آدم من نفسه فالنفس لا تريد الا الدنيا ولا تحب الا أربابها والروح تدعوها فتؤثرها وجهة للنفس والشيطان مع النفس والهوى والملك مع العقل والروح والله تعالى يمدهما بالهامه وتوفيقه

قلت وقال الشيخ عزالدين بن عبد السلام في كل جسد روحان احداهما روح اليقظة وهى الروح التي أجرى الله العادة أنها اذا كانت في الجسد كان الانسان مستيقظاً فاذا خرجت من الجسد نام الانسان ورأت تلك الروح المنامات الروح الثانية روح الحياة التى اجرى الله العادة أنها اذا كانت فى الجسد كان حيا فاذا فارقته مات فاذا رجعت اليه حيي وهاتان الروحان فى باطن الانسان لا يعرف أين مقرهما الا من أطلعه الله على ذلك فهما كجنينين

فى بطن امرأة واحدة وقد تكون فى باطن الانسان روح ثالثـة وهي روح
الشيطان ومقرها الصدر بدليل قوله ﴿ الذى يوسـوس فى صدور الناس ﴾
وجاء فى الحديث أن المتثائب اذا قال هاه ضحك الشيطان فى جوفه وجاء فى
الحديث ان للملك لمة وان للشيطان لمة وقال بعض المتكلمين الذي يظهر أن
الروح بقرب القلب ولا يبعد عندى أن يكون الروح فى القلب ويجوز أن
يحضر الملك فى باطن الانسان حيث تحل الروحان ويحضر الشيطان ويجوز
في كل واحدة من هذه الارواح أن تكون جوهراً فرداً يقوم به ما يليق به
من الصفات الحسيسة والنفيسة ويجوز أن تكون كل واحدة منهن جسما لطيفا
حيا سميعا بصيراً عليما قادراً مريداً متكلماً فيكون حيواناً كاملاً في داخل
حيوان ناقص حيا في بطن حي سميعا فى بطن سميع بصيراً فى بطن بصير عالما
في بطن عالم قادراً فى بطن قادر مريداً في بطن مريد متكلما فى بطن متكلم
وقد أجرى الله العادة بأن الجسد اذا أبصر شيئاً أبصره روحه واذا سمع
شيئاً سمعه روحه واذا أدرك شيئاً أدركه روحه ويجوز أن تكون الارواح كلها
نورانية لطيفة شفافة ويجوز أن يختص ذلك بأرواح المؤمنين والملائكة دون
أرواح الكفار والشياطين ويدل على روح الحياة قوله تعالي ﴿ قل يتوفاكم
ملك الموت الذى وكل بكم ﴾ ويدل على وجود روحي الحياة واليقظة قوله
تعالي ﴿ الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها ﴾ تقديره يتوفي
الانفس التى لم تمت أجسادها فى نومها فيمسك الانفس التى قضا عليها الموت
عنده ولا يرسلها الي أجسادها ويرسل الأنفس الأخرى وهي أنفس اليقظة
الي أجسادها الي انقضاء أجل مسمي وهو أجل الموت فحينئذ تقبض أرواح
الحياة وأرواح اليقظة جميعا من الأجساد ولا تموت أرواح الحياة بل ترفع الي

السماء حية فتطرد أرواح الكافرين ولا يفتح لها أبواب السماء وتفتح أبواب السموات لأرواح المؤمنين الى أن تعرض علي رب العالمين فيالها من عرضة ما أشرفها والله الموفق انتهى . وأما أن النفس واحدة لها ثلاثة حالات فقد وقع فى كلام كثيرين أن لابن آدم ثلاثة أنفس مطمئنة يا أيتها النفس المطمئنة ولوامة ولا أقسم بالنفس اللوامة وأمارة ان النفس لأمارة بالسوء تغلب كل واحدة على من أراد الله به ذلك والتحقيق أنها واحدة ولكن لها صفات تسمي بها فتسمي مطمئنة باعتبار طمأنينتها الي ربها بعبوديته ومحبته والانابة اليه فالطمأنينة الي الله تعالي حقيقة ترد منه سبحانه علي عبده تجمعه عليه وترد قلبه الشارد اليه حتى كأنه جالس بين يديه يسمع به ويبصر فتسري تلك الطمأنينة فى نفسه ومفاصله فتنجذب روحه الي الله تعالي ويلين جلده وقلبه ومفاصله فى خدمته ولا طمأنينة حقيقة الا بالله وبذكره قال تعالي ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ فان طمأنينة القلب سكونه واستقراره بزوال القلق والانزعاج والاضطراب عنه هذا لا يتأتى بغير الله تعالي والطمأنينة الى ما عداه غرور والثقة به عجز وقد قضي الله قضاء لا مرد له أن من اطمأن الي شئ سواه أتاه القلق والانزعاج والاضطراب من جهته كائناً من كان حتى لو اطمأن الى شيء من صفاته من علم ودين ربما سلبه أو سلب حلاوته فنفوس المطمئنين الى سواه اغراض لسهام البلاء ليعلم أولياؤه أن المتعلق بغيره مقطوع والمطمئن الى حاله عن مصالحه مصدود وممنوع وحقيقة الطمأنينة التى تصير بها النفس مطمئنة أن يطمئن فى باب معرفة أسماء الله تعالى وصفاته الى خبره الذى أخبر به عن نفسه وأخبرت به عنه رسله فيتلقاه بالقبول والتسليم فاذا خالط الايمان بذلك بشاشة قلبه نزل عليه

نزول الماء الزلال على الكبد العطشي فيطمئن اليه ويصير كأنه شاهد الأمر
كما أخبرت به الرسل بل يصير ذلك لقلبه بمنزلة الشمس فى الظهيرة لعينه فلو
خالفه فيه من بين المشرق والمغرب لم يتأثر وقال اذا استوحش من الغربة قد
كان الصديق الاكبر مطمئنا بالايمان وحده وجميع أهل الارض تخالفه وما
نقص ذلك من طمأنيته شيئاً فهذا أول درجات الطمأنينة ثم لاتزال تقوى الى
مالا نهاية له فهذه الطمأنينة أصل أصول الايمان التى عليها قام بناؤه وبها استقر
عماده والطمأنينة الى ذلك نوعان طمأنينة الى الايمان بها واثباتها وطمأنينة الى
ماتقتضيه وتوجبه من آثار العبودية مثاله الطمأنينة الى القدر واثباته مقتضى
الطمأنينة الى مواضع الاقدار التي لم يؤمر العبد بدفعها ولا قدرة له على ذلك
فيسلم لها ويرضي ولا يتسخط ولا يشكو ولا يأسى على مافاته منها ولا يفرح
بما آتاه وان ذلك فى كتاب مبين فهذه طمأنينة الى أحكام الصفات وآثارها
وهي قدر زائد على الطمأنينة بمجرد العلم بها وهي طمأنينة الايمان وأما طمأنينة
الاحسان فهى الطمأنينة الى أمره امتثالا واخلاصاً فلا يقدم على أمره ارادة
ولا هوى بل اذا مر به الهوي ونحوه أنزله منزلة الوساوس التى لئن يخر من
السماء أحب اليه من أن يجدها فكما قال صلى الله عليه وسلم صريح الايمان
وعلامة هذه الطمأنينة أن يطمئن من قلق المعصية الى حلاوة التوبة ولا يغتر
بحلاوة المعصية فلو فتش العاصى قلبه لوجد حشوه المخاوف والانزعاج وانما
يوارى عنه شهود ذلك سكر الغفلة .. وهنا سر لطيف يجب التنبيه عليه وهو
أن الله سبحانه جعل لكل عضو من أعضاء الانسان كمالا ان لم يحصل له
كان فى قلق وانزعاج فكمال العين البصر والأذن السمع واللسان النطق
وجعل كمال القلب ونعيمه ولذته وسروره فى معرفة الله تعالي ومحبته والاقبال

عليه فاذا عدم القلب ذلك كله كان أشد عذاباً من العين التى فقدت النور الباصر ولا سبيل الى الطمأنينة بوجه من الوجوه الا بأن يكون الله وحده إلهه ومعبوده ومستعانه لحقيقة الأمر أنه لاطمأنينة بدون التحقق بإياك نعبد وإياك نستعين وكلام السلف في النفس المطمئنة يدور على أصلين طمأنينة الارادة والعمل فاذا اطمأنت من الشك الي اليقين ومن الجهل الى العلم ومن الغفلة الي الذكر ومن الجناية الى التوبة ومن الرياء الى الاخلاص ومن الكذب الى الصدق ومن العجز الى الكيس ومن صولة العجب الى ذلة الاخبات ومن التيه الى التواضع ومن الفتور الى العمل فقدباشرت روح الطمأنينة ومنشأ ذلك كله اليقظة فهى أول مفاتيح الخير فان الغافل كالنائم يحجبه عن حقيقة الادراك لما يتقاضاه من أوامر الرب سبحانه وتعالي ونواهيه ويقعد عن فرصة الاستدراك سنة القلب وهي غفلته التى رقد فيها فطال رقوده وركد مخلداً الى نوازع الشهوات فاشتد اخلاده فعلته العادات ومخالطة أهل البطالات فهو فى رقاده مع النائمين وفى سكرته مع المخمورين فمتى انهزمت عن قلبه هذه الغفلة بزجرة من زواجر الحق أوهمة علية أثارها معمول الفكر فى المحل القابل فضرب بمعول فكره وكبر تكبيرة أضاءت له منها قصور الجنة العالية وقطوفها الدانية فقال

ألا يانفس ويحك ساعدينى بسعى منك فى ظلم الليالى
لعلك فى القيامة أن تفوزى بطيب العيش فى تلك العلالى

فأنارت له تلك الفكرة نوراً رأى في ضوئه ما خلق له وما بين يديه من أهوال أولها عقبة الموت الكؤد وآخرها أجر اليوم الموعود ورأى سرعة انقضاء الدنيا وعدم وفائها لبنيها وقتلها لعشاقها وذويها وانزالها بهم انواع المكروهات وأوصاف البليات فنهض فى ذلك الضوء على ساق العزم قائلا يا حسرتا على مافرطت في

جنب الله فاستقبل بقية عمره التي لا قيمة لها مستدركا فيها ما فات محيياً بهاما أمات مستقبلا ما تقدم له من العثرات منتهزاً فرصة الامكان انتهاز الكماة الشجعان ثم يلحظ وفود نعم ربه من حين استقراره في الرحم الى وقتــه ظاهرة وباطنة لا يمكن أن تحصى ولا أن يكون لها حد فتستقصى أدناها نعـمة النفس ولله عليه في كل يوم وليلة أربعة وعشرون ألف نعمة فما ظنك ثم يرى عجزه عن أداء حقها وان أعماله لو زادت على أعمال الثقلين لكانت حقيرة بالنسبة الى عظمة المعبود هذا لو كانت أعماله منهُ فكيف وهى مجرد فضل من باريهِ ويشاهد أن الله تعالى لا يقبل عملا يراه صاحبه من نفســه حتى يراه عين توفيق الله فحينئذ لا يري لنفسه عملا بل يراه أنهُ أهل لكل شر ومولاه أهل لكل خير هذا أساس جميع الاعمال الصالحة الظاهرة والباطنة وهو الذى يرفعهـا ويجعلها فى ديوان أصحاب اليمين ثم تبرق له فى نور تلك اليقظة بارقة أخرى يرى فى ضوئها عيوب نفسه وماتقدم له من الجنايات والاساآت وهتك الحرمات والتقاعد عن كثير من الحقوق الواجبات فاذا انضم ذلك الى شهود نعم الله عليه وأياديه الجمة لديه رأى أن حق المنعم عليه فى نعمه وأوامره لم يبق له حسنة واحدة يرفع بها رأسه فتطامن قلبه وانكسرت نفسه وخشعت جوارحهِ فسار الى الله ناكس الرأس بين مشاهدة نعم ربهِ ومطالعـة عيوب نفسهِ وآفات عمله قائلا أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفرلى انهُ لا يغفر الذنوب الا أنت فلا يرا لنفسه حسنة ولا يراها أهلا لخير فيوجب له أمرين عظيمين أحدهما استكثار ما من الله اليهِ والثانى استقلال مامنهُ من الطاعــة ثم تلوح له بارقة أخرى يرى فى ضوئها عزة وقتهِ وخطره وشرفهُ وكبره وأنهُ رأس مال سعادته فيبخل به أن يضيعه فيما لا يقربه الى ربه فان فى اضاعته الحسرة والندامة

وفي حفظه الربح والسلامة فيشح بأنفاسه أن ينفقها فيما لاينفعه يوم معاده ثم يلحظ فى ضوء تلك البارقة ما تقتضيه يقظته من سنة غفلته من التوبة والمحاسبة والمراقبة والغيرة لربه أن يؤثر عليه غيره وأن يبيع حظه منه بثمن بخس فى دار سريعة الزوال وعلى نفسه أن يملك رقها لمعشوق لو فكر في منتهى حسنه ورأى آخره بعين بصيرته لانفلها من محبته فهذا كله من آثار اليقظة وموجباتها وهي أول منازل النفس المطمئنة التى نشأ منها سفرها الى الله والدار الآخرة

.. وأما النفس اللوامة فاختلفوا فيها فقالت طائفة هى التى لاتثبت على حالة واحدة واللفظة مأخوذة من اللوم وهو التردد وهي من أعظم آيات الله تعالى فانها مخلوق من مخلوقاته تتقلب وتتلون فى الساعة الواحدة فضلا عن اليوم والشهر ألواناً ملونة فتذكر وتغفل وتلطف وتكثف وتحب وتبغض وتفرح وتحزن وترضى وتغضب وتطيع وتعصي الى أضعاف من ذلك مضاعفة لا يحصيها الا الذى فطرها .. وقالت طائفة ماخوذة من اللوم ثم اختلفوا .. فقالت فرقة هي نفس المؤمن وهى من صفاتها المحمودة وقال الحسن المؤمن لا تراه الا يلوم نفسه دائماً يقول ما أردت بهذا لم فعلت هذا فان غيره أولى .. وقال غيره توقعه فى الذنب ثم تلومه عليه فهذا اللوم من الايمان بخلاف الشقى فانه لايلوم نفسه على ذنب بل يلومها علي تفويته .. وقالت طائفة هي لوامة للنوعين فان كل واحد يلوم نفسه برا كان أو فاجراً فالسعيد يلومها على ارتكاب المعصية وترك الطاعة والشقي يلومها على ضد ذلك من هواها .. وقالت فرقة هذا اللوم يوم القيامة كل أحد يلوم نفسه ان كان محسناً فعلى تقصيره وان كان مسيئاً فعلى اساءته وهذه الاقوال كلها حق ولا تنافي بينها فان النفس موصوفة بهذا كله وباعتباره سميت لوامة لكن هي فى ذلك نوعان لوامة ملومة وهى النفس الظالمة

الجاهلة يلومها الله تعالى وملائكته ولوامة غير ملومة وهي التى لا تزال تلوم
صاحبها على تقصيره فى طاعة الله مع بذل جهده وأشرف النفوس من لامت نفسها
فى طاعة الله واحتملت ملام اللائمين فى مرضاته .. وأما الامارة فهي المذمومة
العاجزة الملومة فانها تأمر بكل سوء طبيعة منها ولا يخلص أحد من سوء نفسه
الا بتوفيق من الله له ﴿وما أبرئ نفسى ان النفس لأمارة بالسوء الا مارحم ربى
. ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكي منكم من أحد أبداً﴾ وكان النبي
صلى الله عليه وسلم يعلمهم خطبة الحاجة ان الحمد لله نحمده ونستعينهُ ونستغفره
ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيآت أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن
يضلل فلا هادى له فالشر كامن فى النفس وهو يوجب سيآت الأعمال فان
خلى الله بين العبد ونفسه استولت عليه فهلك بين شرها وماتقتضيه من سيآت
الأعمال وان وفقه وأعانه خلص من أمرها وفاز وقد امتحن الله الانسان
بهاتين النفسين الامارة واللوامة كما أكرمه بالمطمئنة فهي نفس واحدة تكون
أمارة ثم لوامة ثم مطمئنة ثم وهى غاية كمالها وصلاحها وأيد المطمئنة بجنود
عديدة فجعل قرينها الملك الذى يليها ويسددها ويقذف فيها الحق ويريها
حسن صورته ويزجرها عن الباطل ويريها قبح صورته وأمدها بماعلمها من
القرآن والاذكار وأعمال البر وجعل وفود الخير وإمداد التوفيق تصل اليه
من كل ناحية وكلما تلقتها بالقبول والشكر ازداد مددها فتقوى على محاربة الامارة
فمن جندها وهو سلطان عساكرها الايمان واليقين والجيوش الاسلامية كلها
تحت لوائه ناظرة اليه ومعولة جميعها عليه فان ثبت ثبتت وان انهزم ولت على
أدبارها ثم أمراء هذا الجيش شعب الايمان المتعلقة بالجوارح كالصلاة والحج
والزكاة ونحوها وشعبه الباطنة المتعلقة بالقلب كالاخلاص والتوكل والانابة ونحوها

وملاك ذلك الاخلاص والصدق فلا يتعني الصادق المخلص فقد أقيم على صراط مستقيم يسار به فيه وهو راقد لا يتعنى المحروم منهما فقد قطعت عليه الطريق واستهوته الشياطين فى الارض حيران فان شاء فليعمل وان شاء فليترك فان عمله لا يزيده من الله الا بعداً فما كان لله وبالله فهو من جند النفس المطمئنة ٠٠ وأما الامارة فجعل الشيطان قرينها وصاحبها الذى يليها فهو يعدها ويمنيها ويسامرها بالسوء ويزينه لها ويستعين عليها بهواها وارادتها فمنه يدخل عليها ويُدخل عليها كل مكروه فما استعان على النفوس بشيء هو أبلغ من أهوائها وقد علم ذلك اخوانه من شياطين الانس فلا يستعينون على الصورة الممنوعة بشيء أبلغ من الهوى فاذا فتحت لهم النفس بابه دخلوا منه فجاسوا خلال الديار فعاثوا وأفسدوا وفعلوا فعل الاعادى فبسطوا الأيادي فهدموا معالم الايمان وقصدوا الى الملك فأسروه وعلى اقتحام كل هلكة قهروه فنقلوه من عبادة الرحمن الى عبادة البغايا والاوثان ومن عز الطاعة الى ذل المعصية والمقصود أن الملك قرين النفس المطمئنة والشيطان قرين النفس الامارة وقد روى أبو الأحوص عن عطاء بن السائب عن مرة هو الهمدانى عن عبدالله هو ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان لمة من ابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله وليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرأ ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾

قلت أخرجه الامامان أبو يعلى الموصلي والحاكم قالا حدثنا هناد بن السرى حدثنا أبو الأحوص ورجال هناد رجال الصحيح والله أعلم ٠٠ وقد رواه عمرو عن

عطاء بن السائب وزاد قال سمعنا فى هذا الحديث أنه كان يقال اذا أحس أحدكم من لمة الملك شيئاً فليحمد الله وليسأله من فضله واذا أحس من لمة الشيطان شيئاً فليستغفر الله وليتعوذ من الشيطان فالملك وجنده يقتضيان من النفس المطمئنة التوحيد وما ينشأ عنه من أفعال البر والشيطان وجنده يقتضيان من النفس الأمارة ضد ذلك وقد سلط الله تعالى الشيطان على كل من لم يرد به وجه الله وجعل ذلك اقطاعه يستنيب النفس الأمارة على هذا الاقطاع ويتقاضاها بان يأخذ الأعمال من النفس المطمئنة فيجعلها قوة لها فهي أحرص شيء على تخليص الاعمال كلها لها فأصعب شيء على المطمئنة تخليص الأعمال من الشيطان ومن الأمارة لله فلو وصل منها عمل واحد كما ينبغى الى الله لنجا به العبد .. قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لو أعلم أن الله تقبل منى سجدة واحدة لم يكن غائب أحب الىّ من الموت انما يتقبل الله من المتقين .. وقد انتصبت الأمارة فى مقابلة المطمئنة فكلما جاءت به هذه من خير ضاهتها تلك بما يقابله من الشر حتى تفسده عليها فاذا جاءت هذه بالايمان والتوحيد جاءت تلك بما يقدح فى الايمان من الشك وفي التوحيد من الشرك الواضح باعتقاد ان غير الله يملك معه شيئاً والخفي بمحبة غيره وخوفه ورجائه حتى يقدم محبة غيره وخوفه ورجائه على محبته وخوفه ورجائه فيكون ما لله هو المؤخر عندها وما للخلق هو المقدم واذا جاءت هذه بتجريد المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم جاءت تلك بتحكيم آراء الرجال وأقوالهم فأتت من الشبه المضلة بما يمنع من كمال المتابعة وتقسم بالله ما مرادها الا الاحسان والتوفيق والله يعلم أنها كاذبة وما مرادها الا التفلت من سجن المتابعة الى فضاء ارادتها وحظوظها فتقوم الحرب بين هاتين النفسين والمنصور من نصره الله .. ومن أعجب الاشياء أنها تسحر العقل والقلب فتأتي

الى أشراف الاشياء وأجلها فتخرجه في صورة مذمومة وأ كثر الخلق صبيان العقول أطفال الاحلام لم يصلوا الى حد الفطام عن العوائد والمألوفات فضلا عن البلوغ الذى يميز به العاقل بين خير الخيرين فيؤثره وشر الشرين فيجتنبه ٠٠فتريه صورة تجريد التوحيد التى هى أبهى من صورة الشمس والقمر في صورة هضم العظماء منازلهم وحطهم عن معاليهم الى مرتبة العبودية المحضة والمسكنة والذل والفقر التى لاملك لهم معها ولاتميز عن الفقراء والمساكين فتنفر نفوسهم أشد النفار مما وقع فى خيالهم أنه ذل وصغار ولم يعلموا أنه غاية العظمة وعلو المقدار٠٠وتريه تجريد المتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم وتقديم قوله على الاراء فى صورة تنقص العلماء واساءة الأدب عليهم المفضى الي اساءة الظن بهم وأنهم قد فاتهم الصواب وكيف لنا قوة أن نرد عليهم أو نحظي بالصواب دونهم وتقاسمه بالله ان أرادت الاّ احساناً وتوفيقاً أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا٠٠وتريه الاخلاص فى صورة الخروج عن حكم العقل المعيشى والمداراة التي بها يندرج حاله بين الناس ومتى أخلص أعماله ولم يعمل لاحد شيئاً تجنبهم وتجنبوه وأبغضهم وأبغضوه وسار على جادة وهم على جادة فغايته ان تابعها أن يخلص فى اليسير من أعماله وهو الذى لايتعلق بهم وسائر أعماله لغير الله أعاذنا الله من ذلك ٠٠وتريه صورة الصدق مع الله فى قالب الانتصاب لعداوة الخلق واذا هم وأنه يعرض نفسه من البلاء لمالا يطيق فانه يصير عرضا السهام الطاعنين وأمثال ذلك من الشبه التى تقيمها النفس الامارة المكارة السحارة٠٠وتريه حقيقة الجهاد فى صورة قتل نفسه ويتم أولاده ونكاح زوجه وقسمة ماله ومفارقة وطنه ومرافقة من لايريده٠٠وتريه الزكاة والصدقة فى صورة مفارقة المال واحتياجه

الي الناس ومساواته الفقراء في رثاثة أحوالهم ومهنهم وابتذالهم ٠٠ وتريه اثبات
صفات الكمال في صورة التشبيه والتمثيل ٠٠ وتريه التعطيل في صورة التنزيه ٠٠
وأعجب من ذلك أنها تضاهي ما يحبهُ الله ورسوله من الصفات والاخلاق
والافعال بما يبغضه منها وتلبس على العبد أحد الأمرين بالآخر ولا يخلص
هذا من هذا الا أرباب البصائر فان الأفعال تصدر عن الإرادات وتظهر
علي الأركان من النفسين الأمارة والمطمئنة وربما رأيت صورة واحدة في
الظاهر وهي منقسمة الى محمود ومذموم فيتباين الفعلان في الباطن ويشتبهان
في الظاهر ولذلك أمثلة كثيرة منها المداراة والمداهنة وشرف النفس والتيه
والغضب والغيرة والحسد والغبطة ونحوها فالاول من المطمئنة والثاني من
الامارة والفرق بين الاولين أن المداراة التلطف بالانسان لتستخرج منه الحق
أو ترده عن الباطل والمداهنة التلطف به لتقره على باطله وتتركه على هواه
فالمداراة لأهل الايمان والمداهنة لأهل النفاق

قلت أو يقال المداراة موافقة الناس الناس على اغراض مأذون فيها من
الشارع والمداهنة موافقتهم على مالم يأذن به الله ولو بالسكوت والله أعلم
مثال ذلك رجل به قرحة فجاءه الطبيب الرفيق فتعرف حالها ثم أخذ في تليينها
حتى اذا نضجت بطها برفق وسهولة فأخرج ما فيها ثم وضع عليها من الدواء
ما يمنع الفساد ويقطع المادة ثم تابع عليها المراهم المنبتة للحم ثم ذر عليها ما ينشف
الرطوبة ثم شد عليها الرباط ولم يزل حتى صلحت فهذا المدارى وأما المداهن
فقال لصاحبها لا بأس عليك وهذه لاشيء فاسترها عن العيون بخرقة ثم اله
عنها وهذا لما رأى من جزعه من بطها فلم تزل مادتها تقوي وتستحكم حتى
زادت موادها وعظم فسادها فهذا مثالهما وهو أيضا مثال النفسين المطمئنة

والامارة ويقارن الامارة الشيطان فالقلب لايزال بين هذين العدوين لاينفك شرهما يطرقه وينتابه وأول مايدب فيه السقم من النفس الامارة من الشهوة وما يتبعها من الحرص والغضب والحسد فيعلم الطبيب الغاش الخائن مرضه فيعود ويصف له أنواع السموم والمؤذيات ويخيل اليه بسحره ان شفاؤه فيها ويتفق ضعف القلب بالمرض وقوة الامارة والشيطان وتتابع امدادهما وانه نقد حاضر ولذة عاجلة والداعى اليه يدعو من كل ناحية والهوى ينفذ والشبهة تهون والناس بالاكثر فكيف يستجيب مع هذه القواطع وأضعافها لداعي الايمان ومنادي الجنان المحفوفات بالمكاره الا من أمده ربه بامداد التوفيق.. والفرق بين الرفق والتوانى ان التواني تثاقل عن المصلحة بعد الامكان والرفق تلطف فى تحصيلها بحسب القدرة مع المطاولة.. والفرق بين خشوع الايمان وخشوع النفاق ان خشوع الايمان هو خشوع القلب لله بالتعظيم والاجلال والمهابة فينكسر لله كسرة ممتلئة من الخجل والوجل وشهود النعم من الله والجرائم من نفسه فيخشع فتتبعه خشوع الجوارح وخشوع النفاق يبدو على الجوارح تصنعا وتكلفا والقلب غير خاشع فالخاشع لله عبد قد خمدت نيران شهوته وسكن دخانها عن صدره فانجلى الصدر وأشرق فيه نور العظمة فماتت شهوات النفس للخوف والوقار الذي حُشي به وخمدت الجوارح وامتلأ القلب بالسكينة فصار مخبتا لله والمخبت المطمئن فان الخبت من الارض ماتطامن فاستنقع فيه الماء فنفع الله به من شاء وعلامته أن يسجد بين يدي ربه اجلالا له وذلا سجدة لا يرفع رأسه منها حتى يلقاه والقلب المتكبر قد اهتز بتكبره وربى فهو كبقعة رابية من الارض لا يستقر عليها الماء هذا .. وأما خشوع النفاق فهو تماوت العبد بتكلف اسكان جوارحه

رياء وسمعة ونفسه في الباطن شابة طرية ذات شهوات وارادات فهو يتخشع فى الظاهر وحية الوادي واسد الغابة رابض بين جنبيه ينتظر الفريسة ٠٠ والفرق بين شرف النفس والتيه ان شرف النفس صيانتها عن الدنايا والمطامع التي تقطع أعناق الرجال وهو متولد بين خلقين كريمين اعزاز النفس وتعظيم مالكها أن يكون عنده دنيا والتيه خلق متولد بين أمرين ذميمين اعجابه بنفسه وازرائه بغيره ٠٠ والفرق بين الحمية والجفا ان الحمية فطام النفس عن رضاع اللؤم من ثدى الخبائث والرذائل والجفا غلظة فى النفس وقساوة فى القلب ٠٠ والفرق بين التواضع والمهانة ان التواضع هو انكسار القلب لله وخفض جناح الذل من الرحمة لعباده فلا يرى له على أحد فضلا ولا عند أحد حقا وهو يتولد بين العلم بالله و بأسمائه وصفاته و بين معرفته بنفسه ونقائصها وعيوبها والمهانة هى الدناءة والخسة وابتذال النفس فى نيل حظوظها وشهواتها فهو ضعة لا تواضع ٠٠ والفرق بين القوة فى أمر الله والعلو فى الارض ان الاول تعظيم الله وتعظيم أوامره وحقوقه و بذل نفسه فيها حتى يقيمها لله وان أفضى ذلك الى ذله والثانى تعظيم الانسان لنفسه وطلب تفردها بالرياسة ونفاذ الكلمة سواء عز أمر الله أم هان ٠٠ والفرق بين الحمية لله والحمية للنفس وهما حرارتان يظهران على الاركان ان الاولى حرارة من قبل النفس المطمئنة يثيرها تعظيم الامر والآمر فيحمى قلبه له وهي حال عبد قد اشرق على قلبه نور سلطان الله فامتلأ نورا فاذا غضب فانما يغضب من أجل نور ذلك السلطان وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا غضب احمرت وجنتاه و بدا من بين عينيه عرق يدره الغضب ولم يقم لغضبه شئ حتى ينتقم لله وروى زيد بن اسلم عن أبيه ان موسى بن عمران عليه السلام كان اذا غضب

اشتعلت قلنسوته نارا والحية النفس حرارة من قبل النفس الامارة تهيج لفوات الحظ أو طلبه فان الفتنة فى النفس والفتنة هي الحريق فالنفس ملتظية بنار الشهوة والغضب .. والفرق بين الجود والسرف فان صورتهما فى الظاهر واحدة وهي انفاق المال لكن يختلف باختلاف المحل فتارة يكون فى الحق فيكون جودا وتارة فى الباطل فيكون سرفا فالجود توخى انفاق المال فى الوجوه المندوب اليها والسرف انفاقه فى الشهوات وان صادف موضعه فالجواد حكيم يضع العطاء فى مواضعه وحقوقه وهى نوعان حقوق موظفة وحقوق عارضة فالموظفة كالزكاة والنفقات الواجبة على من تلزمه نفقته والثانى كحق الضيف ومكافأة المهدي وما وقي به عرضه فالجواد يتوخي بما له أداء هذه الحقوق على وجه الكمال طيبة به نفسه مؤملة للخلف فى الاولى والثواب فى الاخرى كمن بدرحبة فى أرض تنبت وتوخى مواضع المغل والانبات والمسرف مبذر يبسط يده فى ماله بحكم هواه جزافا لا على تقدير مصلحة وان وافق المصلحة كمن بذر فى سباخ من الارض وغراز وان اتفق بذره فى محل الانبات بذره بذرا مترا كما بعضه على بعض يحتاج أن يقلع بعضه لتصابح الباقي ولئلا تضعف الارض عن تربيته والله تعالى هو الغنى الجواد على الاطلاق وكل مافي العالم السفلي والعلوي لا نسبة له الى خزائنه وكل جود متلاشى فى جنب جوده لا يناقض حكمته ويضع عطاءه مواضعه وان خفي على أكثر الناس أن تلك مواضعه فالله أعلم حيث يضع فضله وأى المحال أولى به فانه تارة يجعله نعمة وتارة نقمة .. والفرق بين المهابة والكبر ان المهابة من آثار امتلاء القلب بعظمة الله ومحبته واجلاله فاذا امتلأ بذلك حل فيه النور ونزلت عليه السكينة والبس رداء الهيبة فاكتسى وجهه الحلاوة والمهابة فهو ان سكت علاه الوقار

وان تكلم أخذ بالقلوب والاسماع والكبر آثار من آثار العجب والبغي من قلب امتلأ بالجهل والظلم ترحلت منه العبودية وتنزل عليه المقت فنظره الى الناس شزر ومشيه فيهم تبختر ومعاملتـه لهم معاملة الاستئثار لا الايثار ولا الانصاف ذاهب بنفسـه تيها لا يبدأ بالسلام من لقيـه وان رد عليـه رأي انه قد بالغ في الاحسان اليه لا ينطلق بهم وجهه ولا يسعهم خلقه لا يرى لاحد عليه حقا بل حقـه عليهم لا يزداد من الله الا بعـداً ومن الناس الا صغاراً وبعضاء .. والفرق بين الصيانة والتكبر ان الصائن لنفسه بمنزلة رجل قد لبس ثوباً جديداً نقي البياض ذا ثمن ليدخل به على الملك فهو يصونه عن الوسخ فتراه صاحب هروب من المواضع التي يخشى عليه منها التلوث واذ أصابه شيء من ذلك بغتة بادر الى ازالته وهكذا الصائن لقلبـه ودينه تراه يجتنب طبوع الذنوب وآثارها التى هى أعظم من طبوع الثياب ولكن على القلوب غشاوة ان يدرك تلك الطبوع الا من نوّرت بصيرته بخلاف صاحب العلو فانه وان شابه هذا في عزه وتجنبه فهو يقصد أن يعلو رقابهم .. والفرق بين الشجاعة والجراءة ان الشجاعة من القلب وهي حرارته وغضبه وقيامه وانتصابه فيثبت عند المخاوف فاذا رأته الاعضاء كذلك أعانتهُ لانها خدمتهُ وجنوده كما انه اذا ولى ولت وهي تتولد من الصـبر وحسـن الظن فانه متي ظن الظفر وساعده الصـبر ثبت كما ان الجبن يتولد من سوء الظن وعدم الصبر وهو ينشأ من الرئة اذا أساء الظن و وسوست النفس بالسوء انتفخت الرئة فزاحمت القلب حتى أزعجته عن مستقره فأصابه الزلزال والاضطراب لانزعاجها له روي أحمد وغيره عن عمرو بن العاصى مرفوعا شر ما في المرء جبن خالع وشح هالع سماه خالعا لخلعه القلب عن مكانه بانتقال الرئة وهى السحر بفتح السين

كما قال أبو جهل لعتبة بن ربيعة يوم بدر انتفخ سحرك فاذا زال عن مكانه ضاع تدبير العقل فظهر الفساد على الجوارح فوضعت الامور على غير مواضعها والجراءة اقدام سببه قلة المبالاة وعدم النظر في العاقبة فأما عليها واما لها ٠٠والفرق بين الحزم والجبن ان الحازم من جمع عقله وارادته ووزن الامور وأعد لكل واحدة منها مايناسبه ولفظة الحزم تدل على القوة والاجتماع ومنه حزمة الحطب فحازم الرأى هو الذي اجتمعت له شؤون رأيه فعرف منها خير الخيرين وشر الشرين فأحجم فى موضع الاحجام رأيا وعقلا لا جبنا وضعفا وأقدم في موضع الاقدام شجاعة وعزما لا اجراءة وجهلا بخلاف الجبن ٠٠والفرق بين الاقتصاد والشح ان الاقتصاد يتولد من خلقين شريفين عدل وحكمة فبالعدل يعتدل فى المنع والبذل وبالحكمة يضع كل واحد منهما موضعه كما قال تعالى ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة الي عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً ٠ والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ٠ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ﴾ والشح يتولد من سوء الظن وضعف النفس ويمده وعد الشيطان حتى يصير هالعا والهلع شدة الحرص فيتولد منه منع البذل والجزع للفقد ان الانسان خلق هلوعاً اذا مسه الشر جزوعاً واذا مسه الخير منوعاً ٠٠والفرق بين الاحتراز وسوء الظن ان المحترز بمنزلة رجل قد خرج بماله ومركبه مسافرا فهمته تهيئة أسباب النجاة فهو يحترز بجهده من قاطع الطريق ومن أماكن السوء مع التأهب والاستعداد وأما سوء الظن فهو امتلاء القلب بالظنون السيئة بالناس حتي يطفح على لسانه وجوارحه فهو معه أبدا فى همز ولمز وطعن وعتب يبغضهم ويبغضونه ويلعنهم ويلعنونه فالاول يخالطهم ويحترز منهم والثانى يجتنبهم ويلحقه اذاهم ٠٠والفرق بين الفراسة والظان ان

الظن يخطئ و يصيب ويكون من ظلمة القلب ونوره وطهارته ونجاسته ولهذا أمر الله تعالى باجتناب كثير منه وأخبر ان بعضه اثم وأما الفراسة فأثنى على أهلها ومدحهم في قوله تعالى ﴿ ان في ذلك لآيات للمتوسمين ﴾ قال ابن عباس وغيره أى المتفرسين وقال تعالى ﴿ يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم ﴾ ولتعرفهم فى لحن القول . فالفراسة الصادقة بقلب قد تطهر من الادران وتصفي من الغش وتنزه من الادناس وقرب من الله فهو ينظر بما قذف فيه من النور وفى الترمذي عن ابى سعيد مرفوعا اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ومشاهدة الفراسة القرب من علام الغيوب فانه سبب لانقطاع معارضات السوء المانعة من معرفة الحق وادراكه عن القلب ويكون تلقيه من مشكات قربه من الله تعالى بحسب قربه منه فيضيء له من النور على مقدار ذلك فيري به مالم يره البعيد المحجوب كما ثبت فى الصحيح من حديث أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه عز وجل قال ما تقرب الى عبدى بمثل اداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتي أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها فبي يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشى يعني والله أعلم ان قلبه يصير كالمرآة الصافية تبدو فيها صور الحقائق على ما هى عليه فلا يكاد يخطئ له فراسة فانه اذا أبصر بالله أو سمع به أبصر الامر وسمعه على ما هو عليه وليس هذا من علم الغيب بل علام الغيوب قذف الحق فى قلب قريب منه مستنير بنوره غير مشغول بنقوش الاباطيل والخيالات والوساوس المانعة من وصول صور الحقائق اليه واذا علا النور على القلب فاض على الاركان وقد كان رسول الله صلي الله

عليه وسلم يري أصحابه فى الصلاة وهم خلفه كما براهم أمامه ورأى بيت المقدس عياناً وهو بمكة ورأى قصور الشام وأبواب صنعاء ومدائن كسرى وهو يحفر خندق المدينة ورأى امرأة بموتة من أرض الشام اذ أصيبوا والنجاشي بالحبشة لما مات وهو صلى الله عليه وسلم بالمدينة فخرج الى المصلى فصلى عليه الى غير ذلك مما أخبر به وكان كما قال ورأى عمر سارية بن زنيم أميرا له علي قتال المجوس بنهاوند من أرض فارس في عساكر المسلمين يقاتلون عدوهم فى براح من الارض ان استمروا به أحيط بهم وان لجأوا الي جبل بقربهم نجوا فناداه وهو على منبر المدينة ياسارية الجبل فسمعه سارية ولجأ الى الجبل فانتصر ودخل عليه نفر من مذحج فيهم الاشتر النخعي فصعد فيه البصر وصو به وقال أيهم هذا قالوا مالك بن الحارث فقال ماله قاتله الله انى لارى للمسلمين منه يوما عصيباً ودخل على عثمان بن عفان رضي الله عنه رجل من الصحابة وقد رأى امرأة فى الطريق فتأمل محاسنها فقال عثمان يدخل عليَّ أحدكم وأثر الزنا ظاهر على عينيه فقال أوحى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا ولكن تبصرة و برهان فراسة صادقة ودخل عمرو بن عبيد على الحسن فقال هذا سيد الفتيان ان لم يحدث وقيل ان الشافعى ومحمد بن الحسن جلسا فى المسجد فدخل رجل فقال محمد أتفرس انه نجار فقال الشافعى أتفرس انه حداد فسألاه فقال كنت حداداً وأنا اليوم أنجر ودخل أبوالحسن البوشنجى والحسن الحداد على أبى القاسم المنادي يعودانه فاشتريا فى طريقهما بنصف درهم تفاحا بشمه فلما دخلا عليه قال ماهذه الظلمة فخرجا فقالا ماعلمنا لعل هذا من قبل التفاح فأعطيا الثمن ثم عادا اليه فقال يمكن الانسان أن يخرج من الظلمة بهذه السرعة أخبراني عن شأنكما فأخبراه بالقضية فقال

ثم كان كل واحد منكما يعتمد على صاحبه في اعطاء الثمن والرجل يستحي منكما في التقاضي وكان بين أبي زكريا النخشبي وبين امرأة سبب قبل توبته فكان يوما واقفا على رأس أبي عثمان الحرى فتفكر في شأنها فرفع أبو عثمان اليه رأسه وقال ألا تستحي وكان شاه الكرماني جيد الفراسة لا تخطىء فراسته وكان يقول من غض بصره عن المحارم وأمسك نفسه عن الشهوات وعمر باطنه بدوام المراقبة وظاهره باتباع السنة وتعود أكل الحلال لم تخطيء فراسته وكان شاب يصحب الجنيد يتكلم على الخواطر فذكر للجنيد فقال له ايش هذا الذي ذكر لي عنك فقال أعتقد شيأ فقال الجنيد اعتقدت فقال الشاب اعتقدت كذا وكذا فقال الجنيد لا اعتقد ثانيا قال اعتقدت فقال الشاب اعتقدت كذا وكذا فقال الجنيد لا فقال اعتقد ثالثا قال اعتقدت قال الشاب هو كذا وكذا قال لا قال الشاب هذا عجب أنت صدوق وأنا أعرف قلبي فقال الجنيد صدقت في الاولى والثانية والثالثة لكني أردت أن أمتحنك هل يتغير قلبك وقال أبو سعيد الخراز دخلت المسجد الحرام فدخل فقير عليه خرقتان يسأل شيأ فقلت في نفسي مثل هذا كل على الناس فنظر الى وقال واعلموا أن الله يعلم مافي أنفسكم فاحذروه فاستغفرت في سري فناداني وقال وهو الذي يقبل التوبة عن عباده وقال ابراهيم الخواص كنت ببغداد في الجامع فأقبل شاب طيب الرائحة حسن الوجه حسن الحرمة فقلت لاصحابنا يقع لي انه يهودي فكلهم كذلك فخرجت وخرج الشاب ثم رجع اليهم فقال ايش قال الشيخ في فاحتشموه فألح عليهم فقالوا قال انك يهودي فجاءني فاكب علي يدي فأسلم فقيل له ما السبب فقال نجد في كتابنا ان الصديق لا تخطىء فراسته فقلت امتحن المسلمين فتأملتهم فقلت ان كان

فيهم صديق في هذه الطائفة فلبست عليكم فلما اطلع الشيخ عليّ وتفرسني
علمت انه صديق وصار الشاب من كبار الصوفية .. والفرق بين النصيحة والغيبة
ان النصيحة يكون القصد بها تحذير المسلم من مبتدع أو مفسد فيذكر ما فيه
واذا وقعت الغيبة على وجه النصيحة فهى قربة واذا وقعت على وجه الذم
فهى نار الحسنات .. والفرق بين الهدية والرشوة ان الراشى قصده بالرشوة
التوصل الي ابطال حق أو تحقيق باطل وأما المهدى فقصده استجلاب المودة
والمعرفة والاحسان فاذا قصد المكافأة فهو معارض وان قصد الربح فهو
مستكثر .. والفرق بين الصبر والقسوة ان الصبر خلق كسبي يتخلق به العبد
وهو حبس النفس عن الجزع والهلع فيحبس النفس عن التسخط واللسان
عن الشكوي والجوارح عن مالا ينبغى فعله وهو ثبات القلب علي الاحكام
القدرية والشرعية وأما القسوة فيبس في القلب يمنعه من الانفعال وغلظة تمنع
من التأثر بالنوازل فلا يتأثر لغلظته وقسوته لا لصبره واحتماله وتحقيق ذلك ان
القلوب ثلاثة قلب قاس غليظ كاليد اليابسة وقلب مائع رقيق جداً فالاول
بمنزلة الحجر والثانى بمنزلة الماء وكلاهما ناقص وأصح القلوب القلب الصافى
الصلب فهو يري الحق من الباطل بصفائه ويؤثر فيه برقته ويحارب عدوه
بصلابته وفي أثر القلوب آنية الله في أرضه فأحبها اليه أرقها وأصلبها وأصفاها
وهذا القلب الزجاجى فان الزجاجة جمعت الاوصاف الثلاثة وأبغض القلوب
الى الله القلب القاسي قال تعالي ﴿فويل للقاسية قلوبهم﴾ وقال ﴿ليجعل مايلقي
الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم﴾ فذكر القلبين المنحرفين
عن الاعتدال هذا بمرضه وهذا بقسوته وجعل مايلقي الشيطان فتنة لاصحاب
هذين القلبين ورحمة لأصحاب القلب الثالث وهو الصافي ميز بين القاء

الشيطان والقاء الملك بصفائه وقبل الحق باخباته ورقته وحارب النفوس المبطلة بصلابته وقوته فقال تعالى عقب ذلك ﴿ وليعلم الذين أوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادى الذين آمنوا الى صراط مستقيم ﴾ .. والفرق بين العفو والذل ان العفو اسقاط حقك جوداً وكرما مع قدرتك علي الانتقام بخلاف الذل فانه ترك الانتقام خوفا وعجزاً ولعل المنتقم بحق أحسن حالا منه قال تعالى ﴿ والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون ﴾ شدحهم بقوتهم علي الانتصار لنفوسهم حتى اذا قدروا ندبهم الي الخلق الشريف من العفو بقوله ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفي وأصلح فأجره على الله ﴾ فذكر المقامات الثلاث العدل وأباحه والفضل وندب اليه والظلم وحرمه .. فان قيل كيف مدحهم على الانتصار والعفو وهما متنافيان قيل المراد هنا بالانتصار القدرة والقوة على استيفاء الحق لا الاستيفاء والانتقام ثم ندبهم الي العفو بعد القدرة قال السلف في هذه الآية كانوا يكرهون أن يذلوا فاذا قدروا عفوا فمدحهم على عفو عن قدرة لا عفو عن ذل وعجز وهذا هو الكمال الذي مدح به سبحانه نفسه فى مثل قوله تعالي ﴿ وكان الله عفواً قديراً ﴾ ولهذا قال المسيح عليه السلام ﴿ إن تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ﴾ أى ان غفرت لهم غفرت عن عزة وهي كمال القـدرة وعن حكمة وهي كمال العلم فغفرت بعد أن علمت ما عملوا وأحاطت بهم قدرتك والعفو من المخلوق ظاهره ذل وضيم وباطنه مهابة وعز والانتقام ظاهره عز وباطنه ذل ولهـذا ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط وتأمل قوله تعـالى ينتصرون كيف يفهم أن فيهم من القوة ما يكونون بها هم المنتصرين لا أن غيرهم هو الذى ينصرهم ولما كان الانتقام لا تقف فيه النفوس على حد العدل غالباً بل

لا بد من المجاوزة شرع سبحانه فيه المماثلة وحرم الزيادة وندب الي العفو
ونكتة المسئلة أن الانتقام غير الانتصار فالانتقام من النفس الأمارة وهو
الانتصار لحظها أو ظفرها بالباغي تشفيا به واذلالاله والانتصار من المطمئنة
وهو أن ينتصر لحق الله ومن أجله ولا يقوى على ذلك الا من تخلص من
ذل حظه ورق هواه فانه حينئذ ينال من العز الذي قسم الله للمؤمنين فاذا
بغي عليه انتصر من الباغي من أجل عز الله الذي أعزه به غيرة على ذلك
العز أن يستضام وحمية للعبد المنسوب الى العزيز الحميد أن يستذل فهو كأنه
يقول للباغي عليه أنا مملوك من لا يذل مملوكه ولا يجب أن يذله أحد وقد
ضرب لذلك مثل بعبدين من عبيد الملك حراثين فضرب أحدهما الآخر
فعفى المضروب عن الضارب نصحاً منهُ للسيد وشفقة على الضارب من
العقوبة فلم يجشم السيد كلفة العقوبة فشكره على عفوه ووقع منهُ بموقع وعبد
آخر أقامهُ بين يديهِ وجمله بالثياب التى تصلح للقيام بحضرته فعمد بعض
سواس الدواب فلطخ تلك الثياب بالعذرة فلو عفى عنهُ لم يوافق عفوه رأى
سيده كأنهُ يقول انما فعل هذا بك جراءة علي واستخفافاً بسلطانى فاذا مكنهُ
من عقوبته فأذله وقهره ولم يبق الا أن يبطش به فذل قلبهُ وانكسرت نفسهُ
أحب سيده حينئذ عفوه عنهُ عن حقه وعقوبته له لحق السيد فيكون انتصاره
حينئذ لمحض حق سيده لا لنفسه كما روى عن علي رضي الله عنهُ أنهُ مر
برجل فاستغاث به وقال هذا منعني حقي فقال اعطه حقه فلما جاوزهما لج الظالم
وضرب صاحب الحق فاستغاث بعلي فرجع وقال أتاك الغوث فقال أستوف
لطمتك فقال قد عفوت يا أمير المؤمنين فضربهُ علي تسع درر وقال قد عفى
عنك من لطمتهُ وهذا حق السلطان فعاقبهُ علي لجراءته على سلطان الله وهكذا

قصة الذى جاء الى أبى بكر رضي الله عنهُ فقال احملنى فوالله لأ نا أفرس منك ومن أبيك وعنده المغيرة بن شعبة فحسر عن ذراعه وصك أنف الرجل فأدماه فجاء قومه الى أبى بكر فقالوا أقدنا من المغيرة فقال انا أقيدكم من وزعه لله لا أقيدكم منه فرأى أبو بكر أن ذلك انتصاراً من المغيرة وحمية لله وللعز الذي أعز به خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتمكن بذلك العز من حسن خلافته واقامة دينه فهذا لون والضرب حمية للنفس الامارة لون .. والفرق بين سلامة القلب والتغفل أن سلامة القلب تكون من إرادة الشر بعد معرفته فيسلم قلبه من ارادته وقصده لا من معرفته والعلم به بخلاف البله والغفلة فانهما جهل وقلة معرفة وهذا نقص والكمال أن يكون عارفاً بتفاصيل الشر سالما من ارادتهِ كما قال عمر رضى الله عنه لست بخب ولا يخدعنى الخب وكان عمر أعقل من أن يخدع واورع من أن يخدع وقال الله تعالى ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتي الله بقلب سليم ﴾ .. والفرق بين الثقة والغرة أن الثقة سكون يستند الي أدلة وأمارات فكلما قويت تلك الامارات قويت الثقة واستحكمت ولا سيما على كثرة التجارب وصدق الفراسة واليقظة كأنها والله أعلم من الوثائق فالقلب قد ارتبط بمن وثق به توكلا عليه وحسن ظن به فصار فى وثاقه بروحه و بدنه فصار عدته فى شدته وذخيرته فى نوائبه وملجأه فى نوازله والغرة حال الذى خدعته نفسه وشيطانه وهواه وأمله الكاذب بربه حتى اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى فالغرور ثقتك بما لا يوثق به ورجاؤك النفع من المحل الذى لا يأتى بخير وأخذك بسبب منقطع قال تعالى فى وصف المغترين ﴿ قل هل أنبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ﴾ فهولاء اذا انكشف الغطاء وتبينت حقائق الأمور علموا

أنهم لم يكونوا على شيء ﴿ وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون ﴾ وفى أثر معروف اذا رأيت الله سبحانه يزيدك من نعمه وأنت مقيم على معصيته فاحذره فانما هو استدراج وشاهده ﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذاهم مبلسون﴾ فهذا من أعظم الغرة فالشيطان موكل بالغرور وطبع النفس الأمارة الاغترار فاذا اجتمع الزانى والبغي والمرابي والمحاج والشيطان الغرور والنفس المغترة لم يكن هناك خلاف فالشياطين غروا المغترين بالله تعالى وأطمعوهم مع اقامتهم على ما يسخطه فى عفوه وحدثوهم بالتوبة لتسكن قلوبهم ثم دافعوهم بالتسويف حتى هجم الأجل فأخذوا على أسوأ أحوالهم قال تعالى ﴿ وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور ﴾ .. والفرق بين الرجاء والتمني أن الرجاء يكون مع بذل الجهد واستفراغ الطاقة فى الاتيان بأسباب الظفر والتمنى حديث النفس بحصول ذلك مع تعطيل الأسباب الموصلة اليه قال الله تعالى ﴿ ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله ﴾ فطوى بساط الرجاء الا عن هؤلاء وقال المغترون ان الذين ضيعوا أوامر الله وارتكبوا نواهيه أولئك الشيطان يرجون وليس هذا ببدع من تزيين الذى شأنه الغرور والنفس التى شأنها الاغترار وعلامة الرجاء الصحيح ترك ما يمكن أن يحول بينه وبين المحبوب ﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً ﴾ فالرجاء هو امتداد القلب الى المرجو بكمال التأهب والأخذ بالحذر خوفاً من الفوت وأصله من التنحي رجا البيت ناحيته وارجاء السماء نواحيها فامتداد القلب مع الانقطاع عن العوائق هو التنحى

عن النفس الامارة وأسبابها فان القلب اذا انفسحت بصيرته فرأى عظمة الله وكرمه أحبه وخاف الانقطاع عنه فخف مرتحلا اليه وكان قبل ذلك مطمئناً الى النفس والنفس الى الشهوات فلما انكشف عنه غطاء النفس خف وارتحل عن جوارها طالباً جوار العزيز الحكيم .. ومن هنا كان كل خائف راجياً وكل راج خائفاً هذا الراجى وقع له علم لا يصل اليه الا بترك النفس والشيطان فجانبهما خوفاً من الانقطاع وسار اليه وهذا الخائف سمع الوعيد لمن ركن اليهما فحذرهما رجاء النجاة من الهلكات فالحالان متلازمان فكل راج خائف من فوات ما يرجوه وكل خائف راج الأمن مما يخافه ..وأما الاماني فانها رؤس أموال المفاليس أخرجوها فى قالب الرجاء وهى تصدر من قلب تزاحمت عليه وساوس النفس فأظلم من دخانها فاستعملته فى شهواتها ومنته حسن العاقبة والنجاة وأحالته على العفو والفضل وسمي ذلك رجاء وانما هو وساوس تقذف بها النفس الى القلب الجاهل فيستروح اليها قال تعالى ﴿ ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً ﴾ فاذا قالت لك النفس أنا فى مقام الرجاء فطالبها بالبرهان وقل هذه أمنية فهاتوا برهانكم ان كنتم صادقين .. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسهُ وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسهُ هواها وتمني على الله ..والفرق بين التحدث بنعمة الله والفخر بها أن المتحدث بالنعمة يخبر عن صفات مولاها ومحض جوده واحسانه قاصداً الثناء عليه وبعث الهمم اليه بالطلب منه دون غيره فهو داع الي الله بها والفخر أن يستطيل بها على الناس ويريهم أنه أعز منهم وأكبر ليستعبد رقابهم ويستميل قلوبهم اليه بالتعظيم والخدمة ..والفرق بين فرح القلب وفرح النفس ان فرح القلب يكون بالله

وما كان مقرباً اليه قال الله تعالى ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هوخير مما يجمعون ﴾ وهذا الفرح من الايمان يثاب عليه فان فرحه به يدل على محبته اذالفرح انمايكون بالظفر بالمحبوب واعلم أن ابتهاجك فى الآخرة بالثواب على قدر ابتهاجك فى الدنيا بسببه ومن أنواع هذا الفرح سرور القلب بما من الله عليه من معاملته والاخلاص له والتوكل عليه والتوبة اليه ولكن دون درجة الفرح بذلك ترحات وغصص ومحن واهوال لاتثبت لها الجبال فان صبر لها فاز بهذه اللذة والا فلا مع فوات ما آثره من فرحه فيفوته الأمران ويحصل على ضد اللذة من الألم المركب من وجود المؤذى وفوت المحبوب ومنها وهو أعظمها الفرقة عند مفارقة الدنيا ببشارة الملائكة ثم بما يرى من الفوز بالمطلوب

وليست هذه الفرحات الا	لذى الترحات فى دار الرزايا
فشمر ما استطعت الساق وأجهد	لعلك أن تفوز بذي العطايا
وصم عن لذة حشيت بلاء	لذات خلصن من البلايا
ودع أمنية ان لم تنلها	تعذب أو تنل كانت منايا

وأما فرح النفس فهو بما يكون من الشهوات وعاجل اللذات أعاذنا الله من ذلك .. والفرق بين رقة القلب والجزع أن الجزع ضعف فى القلب يمده شدة الطمع والحرص ويتولد من ضعف الايمان بالقدر والافمتى علم أن القدر كائن ولا بد كان الجزع عناء محضاً ومصيبة ثانية قال تعالى ﴿ ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ﴾ فمتى علم العبد أن النقمة أو النعمة مقدرة لم يجزع ولم يفرح ولاينافى هذا رقة القلب فانها ناشئة

عن صفة الرحمة التي هي كمال وانما هي برحم الله من عباده الرحماء وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرق الناس قلباً وأبعدهم من الجزع فرقّة القلب رأفة ورحمة وجزعه مرض وضعف فهو حال قلب مريض بالدنيا قد غشيه قتار النفس الامارة فأخذ بانفاسه فضيق عليه مسالك الآخرة وصار في سجن الهوي وهو لعمري ضيق الارجاء مظلم المسالك مهلك العواقب جم المهالك وان رأى بخلاف ذلك فالقلب لاجل انحصاره فيه يجزع من أدنى مصيبة ولو أشرق فيه نور الايمان والايقان بالوعد والوعيد لقاده زمام الاوامر الى فضاء المحبة ورياض الأنس واستمسك بأسباب الوثوق فرق حتى امتلأ رأفة ورحمة على كل ذى قربى ومسلم وفى الحديث الثابت لا تنزع الرحمة الا من شقي وانما فضل الصديق الأكبر الامة بما كان فى قلبه من الرحمة العامة زيادة على الصديقية وقد ظهر أثرها في جميع مقاماته حتى فى أسارى بدر وقدر الله تعالى ما أشار به والرب سبحانه هو الرؤف الرحيم وأقرب الخلق اليه أعظمهم رأفة ورحمة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم الناس كما أن أبعدهم منه من اتصف بضد صفاته وهذا باب لايلجه الا أفراد من العالم ٠٠ والفرق بين الموجدة والحقد أن الوجد الاحساس بالمؤلم والعلم به وتحرك النفس فى دفعه والحقد اضمار السوء وتوقعه بكل وقت لمن وجدت عليه فلا يزايل القلب أثره وفرق آخر وهو أن الموجدة لما ينالك منه والحقد لمايناله منك فالموجدة وجود ما نالك من أذاه والحقد توقع وجود ما يناله من المقابلة فالموجدة سريعة الزوال وتكون مع قوة القلب وصلابته وقوة نوره واحساسه والحقد بطيء الزوال ويكون مع ضيق القلب واستيلاء ظلمة النفس عليه ٠٠ والفرق بين المنافسة والحسد أن المنافسة المبادرة الى الكمال الذي تشاهده من غيرك فتنافسه فيه حتي يلحقه

فتكون نفيساً مثله أو تجاوزه فتكون أنفس منه فهى من شرف النفس وعلو
الهمة وكبر القدر قال الله تعالى ﴿ وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ وربما سر
الانسان بمشاركة غيره فيه كما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم بل كان
يحض بعضهم بعضا على أنواع الكمال وهي نوع من المسابقة قال تعالى ﴿ فاستبقوا
الخيرات ﴾ وقال تعالى ﴿ وسابقوا الى مغفرة من ربكم ﴾ والحسد خلق نفس
ذميمة ليس فيها حرص على الخير فلعجزها ومهانتها تحسد من يكتسب الخير
وتتمنى أن لوفاته كسبه حتي يساويها فى العدم كما قال تعالى ﴿ ودوا لو تكفرون
كما كفروا فتكونون سواء .. ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد
إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ﴾ فالمنافس
يحب لحاق من ينافسه أو مجاوزته في الفضل والحسود يحب انحطاط غيره حتى
يساويه أو ينزل عنه في النقص وأكثر النفوس الفاضلة تنتفع بالمنافسة فمن
جعل نصب عينيه شخصاً من أهل الفضل ونافسه انتفع به كثيراً وكان على ذلك
كثير من العلماء وكان عمر بن الخطاب يسابق أبا بكر رضى الله عنهما كثيراً
فلم يظفر يوماً بسبقه فلما علم أنه استوى على الغاية قال والله لا أسابقك الى
شيء أبداً .. وفى الصحيح لا حسد الا فى اثنين رجل آتاه الله القرآن فهو
يعمل به ورجل آتاه مالا فسلطه على هلكته فى الحق فأطلق على الغبطة حسداً
.. والفرق بين حب الرياسة وحب الإمامة للدعوة الي الله تعالي هو الفرق
بين تعظيم أمر الله والنصح له وتعظيم النفس والسعي فى حظها فالمحب للامامة
عبد ناصح لله في عبوديته وناصح خلقه في الدعوة اليه فهو يحب الامامة
في الدين بل يسئل ربه أن يجعله اماماً يقتدى به المتقون فاذا أحب العبد أن
يكون في أعين الناس جليلا وفى قلوبهم مهيباً واليهم حبيباً وفيهم مطاعا ليأتموا

به ويقتفوا أثر الرسول على يده لم يضره ذلك بل يحمد عليه لان دعوته انما هي الي الله محبة في أن يطاع و يعبد و يوحد فهو يحب ما يكون عوناً على ذلك ﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً ﴾ فهم انما سألوه أن يقر أعينهم بطاعة أزواجهم وذرياتهم له وأن يسر قلوبهم باتباع المتقين لهم على طاعته بالامامة فى الدين التى أساسها الصبر واليقين فسؤالهم أن يجعلهم أئمة هو سؤالهم أن يهديهم ويوفقهم ويمن عليهم بالعلوم النافعة والأعمال الصالحة التي لاتتم الامامة الابها ولهذا جزاهم الغرف العالية في الجنة على طلب الرتب العالية فى الدين وأما طلاب الرياسه فان سعيهم لها لينالوا بها اغراضهم من العلو فى الارض وتعبد القلوب لهم ومساعدتها على جميع اغراضهم مع كونهم عالين قاهرين فترتب على ذلك من المفاسد مالا يعلمه الا الله من البغي والحسد والطغيان والحقد والظلم والحمية للنفس واحتقار من أكرمه الله اذ لاتتم الرياسة الدنيوية الا بذلك والرؤساء في عمي عن هذا فاذا كشف الغطاء تبين لهم فساد ما كانوا عليه ولا سيما اذا حشروا في صورة الذر يطاؤهم أهل الموقف بأرجلهم اهانة لهم وتحقيراً وتصغيراً كما صغروا أمر الله وحقروا عباده .. والفرق بين الحب فى الله والحب مع الله وهذا من أهم الفروق وكل أحد محتاج اليه بل مضطر فان الحب في الله من كمال الايمان والحب معه عين الشرك هو أن الحب فى الله تابع لمحبة الله فاذا تمكنت محبته من قلب العبد أوجبت تلك المحبة أن يحب ما يحبه الله فاذا أحب ما أحبه الله كان ذلك الحب له وفيه كما يحب أنبياءه ورسله وأولياءه لكونه يحبهم ويبغض من يبغضهم لكونه يبغضهم وعلامته أنه لاينقلب حبه لحبيب

الله بغضاً اذا وصل اليه من جهته ما يكرهه خطأ أو عمداً مطيعاً لله فيه أو
متأولا مجتهداً أو باغياً نازعاً تائباً ولا بغضه لبغيض الله حباً لاحسانه اليه والدين
كله يدور على أربع قواعد حب و بغض ويترتب عليهما فعل وترك فمن
كان حبه و بغضه وفعله وتركه لله فقد استكمل الايمان وما نقص عن اضافة
هذه الأربعة الى الله نقص من ايمانه ودينه بحسبه .. وأما الحب مع الله
فنوعان الأول يقدح في أصل التوحيد كمحبة المشركين لاوثانهم فهى محبة
تأله وموالاة يتبعها الخوف والرجاء فهى محض الشرك الذى لا يغفره الله
و بمعاداة هولاء لالهتهم ومحاربتهم أرسل الله جميع رسله وأنزل جميع كتبه
النوع الثانى محبة ما زين للنفوس من النساء والذهب والفضة ونحوها من متاع
الدنيا محبة شهوة كمحبة الجائع للطعام والظمآن للشراب وهذا يقدح فى كال
الاخلاص وهى نوعان الأول أن يكون لموافقة الطبع ولم يؤثرها على مايرضاه
الله فهي حينئذ من المباحات ولكنها تنقص من كمال محبته لله تعالى وفيه
الثانى أن يستولى على القلب حتي تكون هي المقصود فيقدمها حينئذ على رضى
الله فيكون ظالماً لنفسه متبعاً لهواه وههنا نوع يتراءى أنه من هذه المحبة وليس
منها وهو أن يكون للطبع فيها مدخل ولكن الحامل عليها بالحقيقه انما هو
موافقة المحبوب فى معالى الاخلاق فيكون جل القصد بها التوصل الى الله
والاستعانة على مرضاته وطاعاته بحيث تضمحل المحبة الطبيعية المحضة عند
ذلك فهذه حينئذ انما هي من المحبة لله وفيه فيلتذ بالتمتع بها و يثاب عليها وهذه
محبة أكمل الخلق الذي حبب اليه من الدنيا النساء والطيب ولهذا كانت التى
زاد ميل قلبه اليها من النساء الموجودات معها أفضلهن فى الواقع علماً وديناً
وعقلا أنظر الى قوله صلى الله عليه وسلم إنه لم يأتنى الوحي في لحاف امرأة

منكن الا فى لحاف عائشة أو كما قال صلى الله عليه وسلم وكذا من الرجال
لم يحب أحد الا وهو من أهل الكمال ومن اشتد حبه له كان أكمل بحيث
كانوا فى الواقع كذلك فماتوا على كمالهم فتبين أنه صلى الله عليه وسلم لا يحب
لمجرد الطبع وهذه محبة السابقين والتى قبلها محبة الظالمين والأولى محبة
المقتصدين فتأمل هذا الموضع فانه معترك النفس الأمارة والمطمئنة والله الموفق
.. والفرق بين التوكل والعجز ان التوكل أن يحصل للقلب فى عبوديته اعتماداً
علي الله والتجاء اليه وتفويضا ورضي بما يقضيه لعلمه بكفايته سبحانه مع القيام
بالاسباب المأمور بها والاجتهاد فى تحصيلها وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم
أعظم المتوكلين وكان يلبس لامته ودرعه بل ظاهر يوم أحد بين درعين
واختفي في الغار ثلاثاً متوكلا فى السبب لا على السبب أنظر حاله اذ اشتد
الخطب وزلزل الصديق كيف يقول له ما ظنك باثنين الله ثالثهما فقلبهُ مع الله
و بدنه مع السبب والعجز تعطيل الامرين أو أحدهما فاما أن يعطل السبب
عجزاً عنه زاعماً ان ذلك توكل وانما هو لعمر الله عجز وتفريط وأما أن يقوم
بالسبب ناظرا اليه معتمداً عليه غافلا عن المسبب معرضاً عنه وان خطر بباله
لم يعلق قلبه به تعليقاً تاماً فهذا توكله عجز وعجزه توكل .. وهذا موضع انقسم
الناس فيه الي طرفين ووسط فأحد الطرفين عطل الاسباب محافظة على التوكل
والثاني عطل التوكل محافظة علي الاسباب وأما الوسط فعلم أن حقيقة التوكل لاتتم
الا بالقيام بالسبب فتوكل علي الله فى نفس السبب ومن عطل السبب وزعم
أنه متوكل فهو مخدوع كمن عطل النكاح والتسرى وتوكل فى حصول الولد
وعطل الحرث والبذر وتوكل فى حصول الزرع وعطل الاكل والشرب وتوكل فى
حصول الشبع والرى فالتوكل نظير الرجاء والعجز نظير التمنى فحقيقة التوكل أن يتخذ

العبد ربهُ وكيلاله قدفوض اليه كما يفوض الموكل الى وكيله العالم بكفايته ونصحه وأمانته والرب تعالى قد أمر عبده بالاحتيال وتوكل له أن يستخرج من حيلته مايصلحه فامره أن يحرث ويبذر ويسعي ويطلب رزقه في ضمن ذلك كما قدره الله ودبره واقتضته حكمته وأمره أن لا يعلق قلبه بغيره بل يجعل رجاءه له وخوفه منه وتوكله عليه وأخبره انه الملى بالوكالة الوفى بالكفالة فالعاجز من رمي هذا كله وراء ظهره وقعد كسلانا طالبا للراحة مؤثرا للدعة يقول الرزق يطلب صاحبه كما يطلب أجله وسيأتيني ما قدر لى ولن أنال مالم يقدر لى فيقال له هذا كله حق وقد علمت ان الرزق مقدر فما يدريك كيف قدر لك بسعيك أم بسعى غيرك وان كان بسعيك فبأي سبب ومن أى جهة واذا خفي عليك هذا فمن أين علمت انه مقدر لك اتيانه عفوا بلا سعى ولا كد فكم من شئ سعيت فيه فقدر لغيرك رزقا وكم من شئ سعى فيه غيرك فقدر لك رزقا واذا رأيت هذا عيانا فكيف علمت ان رزقك كله بسعي غيرك وأيضا فهذا الذي أوردته عليك النفس يوجب عليك طرده في جميع الاسباب حتى فى أسباب دخول الجنة والنجاة من النار فهل يقطعها اعتمادا علي التوكل أو يقوم بها مع التوكل بلى لن تخلو الارض من متوكل صبر نفسه لله وملأ قلبه من الثقة به فضاق قلبه عن مباشرة بعض الاسباب فسكن قلبه الى الله واطمأن اليه فكان هذا من أقوي أسباب حصول رزقه فلم يعطل السبب بل رغب عن سبب الى سبب أقوى منه فكان توكله أوثق الاسباب عنده فكان سكون قلبه اليه وتضرعه اليه أحب اليه من اشتغاله بسبب يمنعه من ذلك أومن كماله فلم يتسع قلبه للامرين فاعرض عن أحدهما الى الآخر ولا ريب ان هذا أكمل حالا ممن امتلأ قلبه بالسبب واشتغل به عن ربه وأكمل منهما من جمع الأمرين وهي حال

الرسل وقد كان الصحابة هدانا الله الى منهاجهم ويسرنا لسلوك سبلهم وفجاجهم أقوم الناس بهما ألا ترى انهم بذلوا الجهد فى محاربة أعداء الدين بأيديهم والسنتهم وقاموا فى ذلك بحقيقة التوكل وعمروا أموالهم وأصلحوها وأعدوا لا هاليهم كفايتهم من القوت اقتداء بسيد المتوكلين صلى الله عليه وسلم

﴿ قلت ﴾ وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الله واجملوا فى الطلب ولم يقل ولا تطلبوا وقال صلى الله عليه وسلم لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا فقال تغدو ولم يقل تجثم فى أوكارها وقال صلى الله عليه وسلم وجعل رزقي تحت ظل رمحى ولم يقل فى جوف بيتي الى غير ذلك والله أعلم ٠٠ والفرق بين الاحتياط والوسوسة ان الاحتياط الاستقصاء والمبالغة في اتباع السنة من غير غلو ومجاوزة ولا تقصير وتفريط والوسوسة ابتداع مالم تأت به السنة ولم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا أحد من أصحابه زاعما انه يصل بذلك الى تحصيل المشروع كمن يصرح بنية الصلاة مراراً أو مرة ويغسل ثيابه مما لا يتيقن نجاسته الي أضعاف ذلك مما اتخذه الموسوسون دينا وزعموا انه احتياط وقد كان الاحتياط لهم فى اتباع هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بهم فانه الاحتياط الذى من خرج عنه فقد فارق الاحتياط وعدل عن سواء الصراط ٠٠ والفرق بين الهام الملك والقاء الشيطان من وجوه منها ان ما كان لله موافقا لمرضاته وما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو من الملك وما كان لغيره غير موافق لمرضاته فهو من الشيطان وهذا واضح جداً ومنها أن ما أثمر ذكراً لله واقبالا عليه وهمة صاعدة اليه فهو من الملك وما أثمر ضد ذلك فهو من الشيطان ومنها ان ما أورث أنسا فى الخاطر ونورا فى القلب وانشراحا فى الصدر فهو

من الملك وما أورث ضد ذلك فهو من الشيطان ومنها ان ما أورث سكينة فهو من الملك وما أورث قلقا وانزعاجا وتململا واضطرابا فهو من الشيطان والالهام الملكي يكثر فى القلوب الطاهرة النقية التى قد استنارت بنور الله فللملك بها اتصال وبينه وبينها مناسبة فانه طيب طاهر لا يجاور الا قلبا يناسبه وتكون لمة الملك بهذا القلب أكثر من لمة الشيطان وأما القلب المظلم بدخان الشهوات وقتار الشبهات فالقاء الشيطان اليه أكثر من لمة الملك والله الموفق ٠٠ والفرق بين الاقتصاد والتقصير ان الاقتصاد التوسط بين طرفى الافراط والتفريط وله طرفان ضدان تقصير ومجاوزة ووسط عدل قال الله تعالى ﴿ والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال تعالى ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ﴾ وقال ﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾ والدين كله بين هذين الطرفين وما أمر الله تعالى بامر الا وللشيطان فيه نزغتان فاما الى غلو وإما الى تفريط وهما آفتان لا مخلص منهما الالمن اقتفى أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك أقوال الناس وآراءهم لقوله وقد يجتمعان فى الشخص الواحد يكون متهاونا فى بعض دينه غاليا فى بعضه والله المستعان ٠٠ والفرق بين النصيحة والتأنيب ان النصيحة احسان الى من تنصحه بصورة الرحمة له والشفقة عليه والغيرة له وعليه فهى احسان محض يصدر عن رحمة ورقة ومراد الناصح وجه الله والاحسان الى خلقه فيتطلف في بذلها ويحتمل أذى المنصوح ولائمته فيعامله معاملة الطبيب العالم المشفق للمريض المضنى فهو يحتمل سوء خلقه ونفرته ويتلطف فى وصول الدواء اليه بكل ممكن وهذا شأن الناصح وأما المؤنب فقصده التعيير والاهانة والذم والشتم فى صورة النصح وعلامة هذا انه لو رأى من يحبه على مثل هذا أو

شر منه لم يلمه عليه بل يطلب له وجوه المعاذير فان غلب قال أينا المعصوم ونحو هذا ..ومن الفروق ان الناصح اذا رددته لم يعادك بل يدعو لك بظهر الغيب ولا يذكر عيوبك لاحد و يطلب أجره فى ذلك على الله والمؤنب بضد ذلك .. والفرق بين المبادرة والعجلة ان المبادرة انتهاز الفرصة في وقتها ولا يتركها حتي اذا فاتت طلبها فهو لا يطلب الامور فى ادبارها ولاقبل وقتها فهو بمنزلة من يبادر الى أخذ الثمرة وقت كمال نضجها وادراكها خوفا من فسادها بسقوط أو غيره والعجلة طلب الشيء قبل وقته فهو بمنزلة من يأخذ الثمرة قبل ادراكها فالمبادرة وسط بين خلقين ذميمين الاضاعة والاستعجال ولهذا كانت العجلة من الشيطان فانها خفة وطيش تمنع الوقار والحلم وتوجب وضع الاشياء فى غير مواضعها وهى قرين الندامة كما ان الكسل قرين الفوات .. والفرق بين الاخبار بالحال والشكوى ان الاخبار بالحال يقصد به المخبر الاعتذار لاخيه أو تحذيره من الوقوع فى مثل ما وقع فيه فيكون ناصحا له أو يريد حمله على التصبر بالتأسى به كما يذكر عن الاحنف انه شكي اليه رجل شكوى فقال يا ابن أخى لقد ذهب ضوء عيني من كذا وكذا سنة فما أعلمت أحداً ولعل هذا من قول النبي صلى الله عليه وسلم بل أنا وارأساه لما قالت عائشة رضى الله عنها وارأساه أي الوجع القوى بى دونك فتأسي بى ولا تشكي و يلوح فيه معنى آخر وهو انها كانت أحب النساء اليه فاخبرها بما حصل منه في الوجع من الموافقة لها حتى فى العضو بعينه وهذا غاية الاتحاد بين المتحابين وقد قيل ان أولي البر أن تواسي عند السرور الذي واساك فى الحزن والشكوي الاخبار العادي عن القصد الصحيح بل مصدره السخط ولا يكون شكوى الا اذا كانت لغير الله وأما الشكوي اليه فليست لعمرى

شكوى بل تضرع واستعطاف وتملق واسترحام كقول أيوب عليه السلام ﴿مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ وقول يعقوب عليه السلام ﴿انما أشكو بثى وحزني الي الله﴾ وقول موسى عليه السلام ﴿رب انى لما أنزلت الى من خير فقير﴾ اللهم لك الحمد واليك المشتكى وقول سيد ولد آدم عليه أفضل الصلاة والسلام اليك أشكو ضعف قوني وقلة حيلتى وهو اني على الناس يا أرحم الراحمين فالشكوى الى الله تعالى لا تنافى الصبر بوجه فانه تعالى قال عن أيوب ﴿انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب﴾ ولا التفات الى غير هذا من ترهات القوم كقول بعضهم لما قال مسنى الضر قال تعالى ﴿انا وجدناه صابرا﴾ ولم يقل صبورا و بعضهم انما شكى حين ضعف لسانه عن الذكر فشكايته لضعف ضره عن الذكر لا لضر الالم وقال بعضهم بل استخرج منه هذا القول ليكون قدوة للضعفاء وكأن هؤلاء رأوا أن الشكوى الى الله تنافي الصبر وهذا من أقبح الغلط فان المنافي للصبر شكواه لا الشكوي اليه فاحب ما الي الله تعالى انكسار قلب عبده بين يديه وتذلله له وسماع تضرعه ودعائه واظهار ضعفه وقلة صبره ولا يحب التجلد عليه انظر الي قوله تعالى ﴿ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فاخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم و زين لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾ الآيات فاحذر كل الحذر من مثل أحوالهم وعليك بالتضرع والتمسكن واظهار العجز والفاقة والذل والانكسار بين يديه فرحمته أقرب الى هذا القلب من اليد للفم .. والفرق بين اثبات حقائق الاسماء والصفات وبين التشبيه والتمثيل ماقاله الامام أحمد ومن وافقه من أئمة الهدي ان التشبيه والتمثيل أن يقول يد كيدي وسمع كسمعى و بصر كبصري ونحو ذلك وأما

اذا قلت سمع و بصر ويد ووجه واستواء لا يماثل شيئاً من صفات المخلوقين بل بين الصفة والصفة من الفرق كما بين الموصوف والموصوف فأى تمثيل ههنا وأى تشبيه فمدار الحق الذى اتفقت عليه الرسل على أن يوصف الله بما وصف به نفسه و بما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تشبيه ولا تمثيل اثبات الصفات ونفى مشابهة المخلوقات فمن شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد حقائق ما وصف الله به نفسه فقد كفر ومن أثبت له حقائق الاسماء والصفات ونفي مشابهة المخلوقات فقد هدي الى صراط مستقيم .. والفرق بين تجريد التوحيد و بين هضم أرباب المراتب أن تجريد التوحيد أن لا نعطى المخلوق شيئاً من حق الخالق وخصائصه فلا يعبد ولا يسجد له ولا يحلف باسمه ولا ينذر له ولا يتوكل عليه ولا يوله له ولا يقسم به على الله ولا يعبد ليقرب الى الله زلفى ولا يساوى برب العالمين فى قول القائل ما شاء الله وشئت وهذا منك ومن الله وأنا بالله و بك وأنا متوكل على الله وعليك والله لى فى السماء وأنت لى في الارض وهذا من صدقات الله وصدقاتك وأنا تائب الى الله واليك وأنا فى حسب الله وحسبك ولا يستغيث به فى حوائجه ومهماته ولا يرضيه بسخط الله ولا يحبه ويخافه و يرجوه كما يحب الله ويخافه و يرجوه فاذا نفي عن المخلوق خصائص الربوبية وأنزله منزلة العبد المحض الذى لا يملك لنفسه فضلا عن غيره ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً لم يكن هذا نقصاً لذلك المخلوق كائناً من كان ولا حطا له عن مرتبته ولو رغم المشركون وقد صح عن سيد الخلق صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عباس عن عمر أنه قال لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم فانما أنا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله وقال أيها الناس ما أحب أن ترفعونى فوق منزلتى ولا

تتخذوا قبري عيداً وقال اللهم لاتجعل قبري وثناً يُعبد وقال لاتقولوا ما شاء الله وشاء محمد وقال له رجل ما شاء الله وشئت فقال أجعلتني الله نداً وقال لهُ رجل قد أذنب اللهم اني أتوب اليك ولا أتوب الى محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله ‥ من لم يقر بذلك كله كان له نصيب وافر من قوله تعالى ﴿ واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذاهم يستبشرون ﴾ ‥ والفرق بين تجريد متابعة القوم واهدار أقوال العلماء وإلغائها أن تجريد المتابعة أن لايقدم على ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم قول أحد ولا رأيه كائناً من كان وما كان بل ينظر في صحة الحديث أولا فاذا صح نظر فى معناه ثانياً فاذا تبين له لم يعدل عنهُ ولو خالفهُ من بين المشرق والمغرب ومعاذ الله أن تتفق الأمة على ترك ما جاء به نبيها صلى الله عليه وسلم بل لابد أن يكون فى الأمة من قال به ولو خفي عليك فلا تجعل جهلك بالقائل به حجة على الله ورسوله فى تركه بل اذهب الى النص ولا تضعف واعلم أنه قد قال به قائل قطعا ولكن لم يصل اليك عله هذا مع حفظ مراتب العلماء وموالاتهم واعتقاد حرمتهم وأمانتهم واجتهادهم في حفظ الدين وضبطه فهم رضي الله عنهم دائرين بين الأجر والأجرين والمغفرة ولكن لا يوجب هذا اهدار النصوص وتقديم قول الواحد منهم عليها لشبهة أنه أعلم بها منك فان كان كذلك فمن ذهب الى النص أعلم به منك أيضاً فهلا وافقته ان كنت صادقاً فمن عرض أقوال العلماء على النصوص ووزنها بها وخالف منها ماخالف النص لم يهدر أقوالهم ولم يهضم جانبهم بل اقتدى بهم فانهم كلهم أمروا بذلك فتبعهم حقا ما امتثل ما أوصوا به لا من خالفهم فخلافهم فى القول الذي جاء النص بخلافه أسهل من مخالفتهم في

القاعدة الكلية التى أمروا بها ودعوا اليها من تقديم النص على أقوالهم ..
ومن هنا يتبين الفرق بين تقليد العالم فى جميع ما قال و بين الاستعانة بفهمه
والاستضاءة بنور علمه فالأول يأخذ قوله من غير نظر فيه ولاطلب لدليله من
الكتاب والسنة والمستعين بافهامهم يجعلهم بمنزلة الدليل الى الدليل الاول
فاذا وصل اليه استغنى بدلالته عن الاستدلال بغيره فمن استدل بالنجم علي
القبلة لم يبق لاستدلاله به معنى اذا شاهدها قال الشافعي رحمه الله أجمع الناس
على أن من استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن
يدعها لقول أحد .. ومن هنا أيضاً يتبين الفرق بين الحكم المنزل الواجب
الاتباع والحكم المؤل الذى غايته أن يكون جائز الاتباع بأن الأول هو
الذى أنزله الله على رسوله متلواً أو غير متلو اذا صح وسلم من المعارضة وهو
حكمه الذى ارتضاه لعباده ولا حكم له سواه وان الثانى أقوال العلماء المجتهدين
المختلفة التى لا يجب اتباعها ولا يكفر ولا يفسق من خالفها فان أصحابها لم
يقولوا هذا حكم الله ورسوله وحاشاهم من قول ذلك .. وقد صح عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم النهي عنه فى قوله واذا حاصرت أهل حصن
فارادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه
ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك فانكم ان تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم
أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله واذا حاصرت أهل حصن فأرادوك
أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك فانك
لا تدرى أتصيب فيهم حكم الله أم لا أخرجه الامام احمد فى مسنده ومسلم فى
صحيحه من حديث بريدة فى حديث بل قالوا اجتهدنا رأينا فمن شاء قبله
ومن شاء لم يقبله ولم يلزم أحد منهم بقوله الأمة بل قال هذا رأيي فمن جاء

بخير منه قبله ولو كان هو عين حكم الله لما ساغ لأبي يوسف ومحمد وغيرهما
مخالفته فيه وكذا مالك لما استشاره الرشيد فى أن يحمل الناس علي مافي الموطأ
فمنعه من ذلك وقال قد تفرق أصحاب رسول الله صلي الله عليـه وسلم فى
البلاد وصار عند كل قوم غير ماعند الآخرين وهذا الشافعي ينهي أصحابه
عن تقليده ويوصيهم بترك قوله اذا جاء الحديث بخلافه وهـذا الامام احمد
ينكر علي من كتب فتاويه ودونهـا ويقول لاتقلدنى ولا تقلد فلاناً ولا
فلاناً وخذ من حيث أخذوا .. والفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان
ان أولياء الله هم المخلصون لربهم المحكمون لرسوله فى الحل والعقد ويخالفون
غيره لسنته ولا يخالفون سنته لغيرها فلا يبتدعون ولا يدعون الي بدعة ولا
يتحيزوون الى فئة غـير حزب الله ورسوله ولا يتخذون دينهم لهواً ولعباً ولا
يستحبون سماع مؤذن الشيطان علي سماع داعي القرآن ولا يؤثرون صحبة
الانسان على مرضاة الرحمن ولا المعازف على المعارف ولا المثالث والمثانى
على السبع المثانى فلا يشتبه أولياء الرحمن بأولياء الشيطان الاعلى فاقد البصيرة
والايمان وحاشى لله أن يكون المعرضون عن كتابه وهـدى رسوله المخالفون
له الى غيره أولياءه وما كانوا أولياءه إن أولياؤه الا المتقون ولـكن أكثرهم
لا يعلمون فان اشتبه عليك أحد من الصنفين فاكشفه في ثلاثة مواطن فى
صلاته ومحبته للسنة وأهلها ودعوته الى الله ورسوله وتجريد التوحيد والمتابعة
بتحكيم السنة زنه بذلك ولا تزنه بحال ولا كشف ولا خارق ولو مشي على
الماء وطار فى الهواء وبهذا يعلم الفرق بين الحال الايمانى والحال الشيطاني..
فالأول تميزه المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم والاخلاص فى العمل وتجريد
التوحيد ونتيجته منفعة المسلمين فى دينهم ودنياهم وهو انما يتضح بالاستقامة

علي السنة والوقوف مع الأمر والنهي والحال الشيطانى شيئان اما شرك أوفجور وهو ينشأ من قرب الشياطين والاتصال بهم ومشابهتهم وهـذا الحال يكون لعباد الاصنام والصلبان والنيران والشيطان فان صاحبه لما عبد الشيطان خلع عليه حللا يصطاد بها ضعفاء العقول والايمان لا إله الا الله كم هلك بهولاء من الخلق ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون وكثير ممن ينسب الى الاسلام ظاهراً له نصيب من هذا الحال بحسب موالاته الشيطان وقد يكون الرجل صادقاً ولـكن يلتبس عليه الامر لجهله فيكون حاله شيطانياً مع زهده وعبادته واخلاصه وقد حاكي هؤلاء وهولاء من ليس منهم بل متشبه بهم صاحب أحوال ومخاريق ووقع الناس في البلاء بسبب عدم التميز بين هؤلاء وهؤلاء فحسبوا كل سوداء تمرة وكل بيضاء شحمة فوقعوا فى جمع المتفرق والفرقان عزيز في هذا العالم وفي هذه الأعصار وهو نور يقـذفه الله فى القلب يفرق به بين الحق والباطل ويزن به حقائق الأمور وخيرها وشرها وصالحها وفاسدها فمن عدم الفرقان وقع ولا بد فى اشراك الشيطان وهذا الباب من الفرقان مطول واللبيب يكتفى ببعض ذلك والدين كله فرق وكتاب الله فرقان ومحمد صلى الله عليه وسلم فرق بين الناس وقال تعالى ﴿ يا أيهـا الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعـل لـكم فرقاناً ﴾ وسمى يوم بدر يوم الفرقان لانه فرق بين بين أولياء الله وأعدائه والهدي كله فرقان والضلال أصله الجمع جمع المشركون بين عبادة الأوثان وعبادة الرحمن وقالوا هذه المرأة خلقها الله وهذه خلقهـا فما الذي أحل هذه وحرم هذه .. وقال صاحب فصوصهم

ما الأمر الا نسق واحد   مافيه من مدح ولا ذم

فهولاء جمعوا بين الدر والحصباء وسووا بين الصحبحة والجـدباء وأصحاب

البصائر أصحاب الفرقان وأعظم الناس فرقاناً بين المشتبهات أعظمهم بصيرة والله الهادى

المسئلة الثانية

﴿فى أن الروح محدثة أم قديمة وهل تقدم خلقها على خلق الجسد أولا﴾

أما كونها محدثة فأمر معلوم من الدين بالضرورة وقد أجمعت عليه الرسل وانطوى عليه عصر الصحابة والقرون الفاضلة من غير اختلاف وممن حكي الاجماع محمد بن نصر المروزى الامام المشهور الذى هو من أعلم أهل زمانه بالاجماع والاختلاف وكذا أبو محمد بن قتيبة قال فى كتاب اللقط لما تكلم على الروح النسم الارواح وأجمع الناس على أن الله تعالى هو فالق الحبة وبارئ النسمة واشتد نكير الائمة الكبار على من يدعي في روح عيسى عليه السلام أنها غير مخلوقة فكيف بروح غيره .. والدليل قوله تعالي لزكريا عليه السلام ﴿ وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً ﴾ وهذا الخطاب لروحه و بدنه وقوله تعالى ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ وقوله تعالي ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ﴾ وقوله تعالي ﴿ ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ وقول النبي صلى الله عليه وسلم كما فى صحيح مسلم وغيره من حديث أبى هريرة الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ايتلف وما تناكر منها اختلف والمجندة لا تكون

الا مخلوقة وهذا الحديث رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي هريرة عائشة أم المؤمنين وسلمان الفارسي وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وعلي بن أبي طالب وعمرو بن عبسة

قلت وعلق البخاري حديث عائشة في صحيحه بصيغة الجزم ووصله في كتابه الأدب المفرد والاسمعيلي في المستخرج وأبوالشيخ في كتاب الامثال ولفظ حديث ابن عمر عنده فما كان في الله ايتلف وما كان في غير الله اختلف ولفظ ابن مسعود فاذ التقت تشام كما تشام الخيل فما تعارف منها أيتلف وفي بعض ألفاظ أبي هريرة يطوف بالليل فما تعارف الحديث .. وأما حديث علي فرواه الطبراني في الاوسط في ترجمة محمد بن الفضل السقطي وأبو عبدالله ابن مندة في كتاب الروح عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال قال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه لعليّ بن أبي طالب ياأبا الحسن ربما شهدت وغبنا وربما شهدنا وغبت ثلاث أسئلك عنهن هل عندك منهن علم قال عليّ وماهن قال الرجل يحب الرجل ولم ير منه خيراً والرجل يبغض الرجل ولم ير منه شراً فقال عليّ رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الارواح جنود مجندة تلتقي في الهواء فتشام فما تعارف منها أيتلف وما تناكر منها اختلف قال عمر واحدة والرجل يحدث الحديث اذنسيه اذ ذكره فقال علي رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من القلوب قلب الاوله سحابة كسحابة القمر بينما القمر مضى اذعلته سحابة فأظلم اذتجلت عنه فأضاء و بينا الرجل وفي رواية القلب تحدث اذعلته سحابة فأظلم اذ تجلت عنه فذكر فقال عمر اثنتان وقال الرجل يرى الرؤيا فمنها مايصدق ومنها ما يكذب فقال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن عبد ولا أمة ينام فيستثقل

نوما الا عرج بروحه الى العرش فالتي لا تستيقظ الا عند العرش فتلك الرؤيا
التى تصدق والتى تستيقظ دون العرش فتلك الرؤيا التي تكذب فقال عمر
ثلاث كنت في طلبهن فالحمد لله الذي أصبتهن قبل الموت وكذا أخرج
الطبراني حديث سلمان كحديث أبى هريرة والله أعلم .. والروح فقيرة الى
الهداية وغيرها والافتقار من صفة المخلوق المربوب المملوك وثبت في صحيح
البخاري من حديث عمران بن حصين رضى الله عنه أن أهل اليمن قالوا
يارسول الله جئناك لنتفقه فى الدين ونسألك عن أول هذا الامر فقال كان
الله ولم يكن شئ غيره الى أمثال هذا من النصوص وكذا النصوص الدالة
على خلق الملائكة وهم أرواح مستغنية عن أجساد تقوم بها وهم مخلوقون قبل
خلق الانسان وروحه فاذا كان الملك الذي ينفخ فى الادمي الروح مخلوقا
كان خلق الروح التى هى بنفخه أولى والروح توصف بالقبض والامساك
والارسال والوفاة وغير ذلك من شؤن المخلوق المربوبة .. وفى الصحيحين
من حديث عبد الله بن أبي قتادة الانصاري عن أبيه قال سرنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقلنا يارسول الله لو عرست بنا فقال انى أخاف
أن تناموا فمن يوقظنا للصلاة فقال بلال أنا يارسول الله فعرس القوم فاضطجعوا
وأسند بلال ظهره الى راحلته فغلبته عيناه فاستيقظ رسول الله صلي الله عليه
وسلم وقد طلع حاجب الشمس فقال يا بلال أين ما قلت لنا فقال والذى
بعثك بالحق ما ألقيت علي نومة مثلها فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان
الله قبض أرواحكم حين شاء وردها حين شاء .. وفي مسند احمد وصحيح
مسلم وسنن النسائى الكبرى من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه أمر
رجلا اذا أخذ مضجعه أن يقول اللهم أنت خلقت نفسي وأنت تتوفاها لك

يمانها ومحياها ان أحييتها فاحفظها وان أمتها فاغفر لها فقال له رجل سمعت هذا من عمر فقال من خير من عمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ..
والنفوس محل القبض والبسط والغم والسرور وهذه الاشياء حوادث والقديم لا يكون محلا للحوادث وشواهد الفقر والحاجة والضرورة أعدل شهود على أنها مخلوقة وأنه ليس لها من ذاتها الا العدم فهي لا تملك لنفسها ولا غيرها ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً لا تستطيع أن تأخذ من الخير الا ما أعطاها ولا تتقي من الشر الا ما وقاها ولا تعلم الا ما علمها فهو الذى خلقها فسواها فألهمها فجورها وتقواها .. فان قيل الروح من أمر الله فكيف يكون أمره محدثاً وقد قال تعالى فى آدم ﴿ فاذا سويته ونفخت فيه من روحي ﴾ وفى عيسي رسول الله ﴿ وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ﴾ فأضافها اليه كما أضاف اليه علمه وقدرته .. قيل ليست الاضافة فيها كاضافة العلم بل كاأضاف الى نفسه سائر خلقه قال تعالى ﴿ وسخر لكم ما فى السموات وما في الارض جميعاً منه ﴾ أى من أمره أى انشائه وايجاده بقوله كن وقال تعالى عباد الله . و ياعبادى وملائكته وكتبه ورسله ونحو ذلك وعنى بأن عيسى من روحه أى من أمره أى بقوله كن فكان الروح فيه وقال تعالى ﴿ فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً ﴾ فأضاف الروح وهو هنا جبريل الى نفسه وهو مخلوق مربوب رسول من عند الله وأما كون الروح من أمر الله فمعلوم قطعاً أنه ليس المراد بالأمر هنا الطلب الذي هو أحد أنواع الكلام فيكون المراد أن الروح كلامه وانما المراد بالامر هنا المأمور أي أنها مخلوقة بأمره بقوله كن كقوله تعالى ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾ وكذا ﴿ وما أمر الساعة الا كلمح البصر ﴾ ونحو ذلك كل ذلك بالتعبير بالمصدر عن المفعول .. وسر هذا المحل ان المضاف اليه

سبحانه نوعان أحدهما صفات لاتقوم بأنفسها كالعلم والقدرة والكلام فهذه اضافة الصفة الى الموصوف والثانى أعيان تقوم بأنفسها كالبيت والناقة والعبد والرسول والروح فهذه اضافة مخلوق الى خالقه وسبب الاضافة التشريف كبيت الله وان كان سائر البيوت ملكه وكذا مافي معناه ٠٠فان قيل مامعنى ونفخت فيه من روحي هل النفخ بمباشرته وحينئذ فما معناه ٠٠قيل يحتمل أن يكون بأمره للملك كما قال تعالى فى مريم عليها السلام ﴿والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا ﴾ أضاف النفخ اليه وانما النافخ الملك بدليل قوله تعالي ﴿ فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً قالت انى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً قال انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً قالت أنا يكونُ لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغياً قال كذلك قال ربك هو عليّ هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً فحملته فانتبذت به ﴾

قلت وقد رأيت أن الخص لك كلام حجة الاسلام فى المضنون به على غير أهله فى التسوية والنفخ لتعلم أنه لايرد هنا اشكال قال التسوية فعل المحل القابل للروح وهو الطين فى حق آدم عليه السلام والنطفة فى حق أولاده بالتصفية وتعديل المزاج فانه كما لاتقبل النار يابساً محضاً كالتراب والحجر ولا رطباً محضاً كالماء والنار وانما تتعلق بمركب خاص لا كل مركب فان الطين مركب ولا تشتعل فيه الابعد تركيب خاص وذلك بأن يتردد الطين الكثيف فى أطوار الخليقة حتى يصير نباتاً لطيفاً فتتشبث به النار وكذلك الطين بعدأن ينشيه الله خلقاً بعد خلق فى أطوار متعاقبة يصير نباتاً فيأكله الأدمي فيصير دماً فتنزع منه القوة المركبة فى كل حيوان من الدم صفوه الأقرب الي الاعتدال فيصير نطفة فيقبلها الرحم ويمتزج بهـا مني المرأة فيزداد اعتدالا

ثم ينضجها الرحم بحرارته فتزداد تناسباً حتى تنتهي فى الصفاء والاعتدال نسبة الاجزاء الى الغاية فتستعدلقبول الروح كالفتيلة التي تستعد عند شرب الدهن لقبول النار فاذا استعدت النطفة لذلك نفخ فيها الروح والنفخ عبارة عما تشتعل من الروح فى فتيلة النطفة والنفخ صورة ونتيجة فصورته اخراج الهواء من جوف النافخ الى جوف المنفوخ .. والنتيجة اشتعال المحل القابل فالنفخ سبب الاشتعال وصورة النفخ الذي هو سبب محال فى حق الله تعالى والمسبب غير محال وقد يكنى بالسبب عن الفعل الذى يحصل المسبب مجازاً وان لم يكن الفعل المستعار على صورة الفعل المستعار منه كقوله تعالي ﴿وغضب الله عليهم﴾ وقوله ﴿ فانتقمنا منهم﴾ والغضب عبارة عن نوع تغير فى الغضبان يتأذى به ونتيجته اهلاك المغضوب عليه وايلامه فعبر عن نتيجة الغضب بالغضب وعن نتيجة الانتقام بالانتقام فكذا عبر عن نتيجة النفخ بالنفخ وان لم يكن على صورة النفخ والسبب الذى اشتعل به نور الروح فى فتيلة النطفة هو صفة فى الفاعل وصفة في المحل القابل أما صفة الفاعل فالجود الإلهي الذى هو ينبوع الوجود على ماله قبول الوجود ويعبر عن تلك الصفة بالقدرة ومثالها فيض نور الشمس على كل قابل للاستنارة عند ارتفاع الحجاب بينهما والقابل هو المتلونات دون الهوى الذى لا لون له وأما صفة القابل فالاعتدال الحاصل بالتسوية ومثال صفة القابل صقال الحديد فان المرآة التي ستر الصداء وجهها لا تقبل الصورة وان حاذتها فلو حاذتها الصورة واشتغل الصقال بصقلها فكلما حصل الصقال حدثت لها الصورة من ذى الصورة المحاذية فكذلك اذا حصل الاستواء في النطفة حصل فيها الروح من ذي الروح من غير تغير الخالق بل انما حدثت الروح الآن لاقبله بتغير المحل بحصول الاستواء الآن لاقبله كما أن الصورة فاضت من ذى الصورة على المرآة في

حكم الوهم من غير تغير حدث فى ذى الصورة ولكن كان لايحصل من قبل لا لأن الصورة ليست مهيأة لأن تنطبع فى المرآة بل لأن المرآة لم تكن قابلة ولا ينبغي أن يفهم من الفيض هنا مايفهم من فيض الماء من الاناء على اليد بل ما يفهم من فيض نور الشمس على الجدار ولقد غلط قوم وظنوا أنه ينفصل من جرم الشمس شعاع ويتصل بالجدار وينبسط عليه وذلك خطأ بل النور سبب لحدوث شئ يناسبه فى النورية وان كان أضعف منه في الجدار فهو كفيضان الصورة على المرآة من ذى الصورة لا بمعنى انفصال جزء من صورة الانسان اتصل بالمرآة بل على معنى أن الصورة سبب لحدوث صورة تماثلها فى المرآة القابلة للمحاذاة وليس فيها انفصال واتصال الا السببية المجردة فكذا الجود الإلهي سبب لحدوث أنوار الوجود فى كل ماهية قابلة للوجود فيعبر عنه بالفيض وتكون الاضافة حينئذ في قوله تعالى من روحى كقول الشمس لونطقت أفضت على الارض من نورى فيكون صدقا ويكون معنى الاضافة أن النور الحاصل من جنس نور الشمس بوجه من الوجوه وان كان فى غاية الضعف بالاضافة اليه انتهى .. فقد تبين لك أنه ليس له نسبة من ذات الله تعالى الا ماتقدم من كونه أفاض عليه من جوده هذا النور وأما تحليه بصفات الحياة والعلم والسمع والبصر والقدرة والارادة والكلام فلا يوهم تشبيها لانه مع كون صفاته هذه متلاشية النسبة الى صفات الباري سبحانه مسلوب عنه أخص وصف لله تعالى وهو كونه قيوماً أي هو قائم بذاته وكل ماسواه قائم به وهو موجود بذاته لا بغيره وكل ماسواه موجود به لا بذاته ليس للأشياء من ذواتها الا العدم وانما لها الوجود من غيرها على سبيل العارية والوجود لله تعالى ذاتي وهذه الصفة وهي القيومية ليست الا لله تعالى .. وأما تقدم خلقها على الجسد ففيه قولان

وممن ذهب الي تقدم خلقها محمد بن نصر المروزى وأبو محمد بن حزم وحكاه اجماعاً واحتجوا بقوله تعالى ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا﴾ وثم للترتيب والمهلة فتضمنت الآية ان خلقها مقدم على أمر الملائكة بالسجود لآدم ومن المعلوم أن أبداننا حادثة بعد ذلك وبقوله ﴿واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾ وهذا انما كان للأرواح ولم تكن الابدان موجودة وفي الموطأ قال الحاكم إنه على شرط مسلم عن زيد بن أبى أنيسة أن عبد الحميد بن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب أخبره عن مسلم بن يسار الجهنى أن عمر سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسئل عنها فقال خلق الله آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون وخلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون فقال رجل يارسول الله ففيم العمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا خلق الرجل للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار وللحاكم وقال أيضاً على شرط مسلم من طريق هشام بن زيد عن زيد بن أسلم عن أبى صالح عن أبى هريرة مرفوعا لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها الي يوم القيامة أمثال الذر ثم جعل بين عيني كل انسان منهم وبيصاً من نور ثم عرضهم على آدم فقال من هؤلاء يارب قال هؤلاء ذريتك فرأى رجلا منهم أعجبه وبيص ما بين عينيه فقال يارب من هذا قال هذا ابنك داود يكون فى آخر الأمم قال كم جعلت له من العمر قال ستين سنة قال يارب زده من

عمري أربعين سنة فقال الله تعالى اذاً يكتب ويختم فلا يبدل فلما انقضى
عمر آدم جاءه ملك الموت قال أولم يبق من عمرى أربعون سنة قال أولم تجعلها
لابنك داود قال فجحد فجحدت ذريته ونسى فنسيت ذريته وخطئ فخطئت
ذريته ورواه الترمذى وقال حسن صحيح والامام احمد من حديث ابن
عباس قال لما نزلت آية الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول من
جحد آدم وزاد محمد بن سعد ثم أكمل الله لآدم ألف سنة ولداود مائة سنة
وفى صحيح الحاكم أيضاً من طريق أبى جعفر الرازى حدثنا الربيع بن أنس
عن أبى العالية عن أبىّ بن كعب فى قوله ﴿ واذ أخذ ربك من بنى آدم من
ظهورهم ذرياتهم ﴾ الآية قال جمعهم له يومئذ جميعاً ماهو كائن الى يوم القيامة
فجعلهم أرواحاً وصورهم واستنطقهم فتكلموا وأخذ عليهم العهد والميثاق
وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا
كنا عن هذا غافلين قال فانى أشهد عليكم السموات السبع والارضين السبع
وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين فلا تشركوا
بى شيئاً فانى أرسل اليكم رسلى يذكرونكم عهدى وميثاقي وأنزل عليكم كتبى
فقالوا نشهد أنك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك ورفع لهم أبوهم آدم فرأى فيهم
الغني والفقير وحسن الصورة وغير ذلك فقال رب لو سويت بين عبادك فقال
إنى أحب أن أشكر ورأى فيهم الانبياء مثل السرج وخصوا بميثاق آخر
بالرسالة والنبوة فذلك قوله ﴿ واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح ﴾
وهو قوله ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل
لخلق الله ﴾ وهو قوله هذا نذير من النذر الأولى وقوله ﴿ وما وجدنا لأكثرهم
من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين ﴾ وكان روح عيسى من تلك الأرواح

التي أخذ عليها الميثاق فأرسل ذلك الروح الى مريم حين انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً فدخل من فيها وهذا اسناد صحيح

قلت كيف يكون صحيحاً والربيع له أوهام وأبو العالية كثير الارسال وقد روى هذا بصيغة عن وقال عبد الله بن الامام احمد في زيادات المسند حدثني محمد بن يعقوب الرباني قال حدثنا المعتمر بن سليمان سمعت أبي يحدث عن الربيع بن أنس عن رفيع أبي العالية عن أبيّ بن كعب فذكره بنحوه انتهى .. وقال اسحق بن راهويه أخبرنا بقية بن الوليد أخبرني الزبيدى محمد بن الوليد عن راشد بن سعد عن عبد الرحمن بن أبي قتادة البصري عن أبيه عن هشام بن حكيم بن حزام رضى الله عنهما أن رجلا قال يارسول الله أتبتدأ الاعمال أم قدمضى القضاء فقال ان الله لما أخرج ذرية آدم من ظهره أشهدهم على أنفسهم ثم أفاض بهم في كفيه فقال هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار أخبرنا النضر أنبأنا أبو معشر عن سعيد المقبرى ونافع مولى الزبير عن أبي هريرة قال لما أراد الله أن يخلق آدم الحديث فقال يا آدم أى يدى أحب اليك أن أريك ذريتك فيها فقال يمين ربي وكلتا يدى ربي يمين فبسط يمينه واذا فيه ذريته كلهم وماهو خالق الى يوم القيامة الصحيح على هيئته والمبتلي على هيئته والانبياء على هيئاتهم فقال الا أعفيتهم كلهم وقال اني احببت أن أشكر وذكر الحديث

قلت وقال الاستاذ أبو عثمان اسمعيل بن عبد الرحمن بن احمد الصابوني في كتاب المائتين أخبرنا جدي يعنى أبا حامد احمد بن اسمعيل بن ابراهيم ابن عابد بن عامر الصابوني عن جد والدى يعنى أبا أمه الشيخ أبا عبد الله محمد بن عدى بن حمرويه الصابوني أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو حفص

عمرو بن علي حدثنا صفوان بن عيسى حدثنا الحارث بن عبدالرحمن عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال الحمد لله حمداً لله باذن الله فقال له ربه عز وجل يرحمك ربك يا آدم ثم قال اذهب الى أولئك الملا من الملائكة جلوس فقل السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله ثم رجع الى ربه فقال هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم ثم قال ربه ويداه مقبوضتات يا آدم اختر أيهما شئت قال اخترت يمين ربى وكلتا يدى ربي يمين مباركة ثم بسطها فاذافيها آدم وذريته واذا كل انسان عمره مكتوب فاذا لآدم ألف سنة فاذا رجال منهم عليهم النور فيهم رجل أضوأهم أو من أضوائهم لم يكتب لهُ الا أربعون سنة قال أي رب ما هذا قال هذا ابنك داود قال يا رب زد في عمره قال ذاك الذي كتبت لهُ قال فاني انقص من عمرى ستين سنة قال أنت وذاك ثم أسكن آدم الجنة ماشاء الله ثم أهبطه منها وكان يعد لنفسه فأتاه ملك الموت فقال عجلت أليس قد كتب لى ألف سنة قال بلي ولكنك جعلت لابنك داود منها ستين سنة قال ما فعلت فجحد آدم فجحدت ذريته ونسي فنسيت ذريته فيومئذ أمر بالكتاب والشهود قال الاستاذ هذه قصة مشهورة حسنة واسناده صحيح ومتنه غريب انتهى هكذا نقلته من خط شيخناشيخ الاسلام ابن‌حجر وأخرجه أبو يعلي الموصلي فى الجزء الحادى والثلاثين من مسنده حدثنا عقبة بن مكرم حدثنا عمرو بن محمد عن اسمعيل بن رافع عن المقبري عن أبي هريرة بنحوه وأتم منه وجعل الذى لداود ستين والذى وهبه لهُ آدم أربعين كما هو المشهور .. وقال محمد ابن نصر حدثنا محمد بن يحيي حدثنا سعيد بن أبىمريم أخبرنا الليث بن‌سعد

حدثنى ابن عجلان عن سعيد بن أبي سعيد المقبرى عن أبيه عن عبد الله
ابن سلام قال خلق الله آدم ثم قال يديه فقبضهما فقال اختر يا آدم فقال
اخترت يمين ربي وكلتا يدى ربى يمين فبسطها فاذا فيها ذريته فقال من
هؤلاء قال من قضيت أن أخلق من ذريتك من أهل الجنة الي أن تقوم
الساعة قال وأخبرنا اسحق اخبرنا جعفر بن عون حدثنا هشام بن سعد عن
زيد بن أسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته
الى يوم القيامة وقال اسحق أخبرنا جرير عن منصور عن مجاهد عن عبد الله
ابن عمرو فى هذه الآية قال أخذهم كما يؤخذ بالمشط من الرأس .. وأسند
عن ابن عباس ان ذلك كان بنعمان قال هذا الذى وراء عرفة .. وعنه قال
أن الله ضرب منكبه الأيمن فخرجت كل نفس مخلوقة للجنة بيضاء نقية فقال
هؤلاء الجنة ثم ضرب منكبه الأيسر فخرجت كل نفس مخلوقة للنار سوداء
فقال هؤلاء للنار ثم أخذ عهده على الايمان به والمعرفة له ولامره والتصديق به
وبأمره من بنى آدم كلهم وأشهدهم على أنفسهم فآمنوا وصدقوا وعرفوا وأقروا
وذكر محمد بن نصر من تفسير السدى عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن
عباس وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم فى قوله تعالى ﴿ واذ أخذ ربك من بنى آدم ﴾ الآية لما أخرج
الله آدم من الجنة قبل أن يهبط من السماء مسح صفحة ظهر آدم اليمنى
فأخرج منه ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ وكهيئة الذر فقال لهم أدخلوا الجنة برحمتي
ومسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء فقال أدخلوا النار ولا
أبالى فذلك حين يقول وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال ثم أخذ منهم الميثاق

قال ألست بربكم قالوا بلى فأعطاه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التقية
فقال هو والملائكة شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين
أو تقولوا انما أشرك أباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فليس أحد من
ولد آدم الا وهو يعرف أن ربه الله ولا يشرك الا وهو يقول انا وجدنا أباءنا
على أمة فذلك قوله تعالى « واذ أخذ ربك من بنى آدم » وقوله « وله أسلم
من فى السموات والارض طوعاً وكرهاً » وقوله « فلله الحجة البالغة فلو شاء
لهدا كم أجمعين » قال يعنى يوم أخذ عليهم الميثاق •• وأسند من عند اسحق
عن محمد بن كعب قال أقر له بالايمان والمعرفة الارواح قبل أن يخلق
أجسادها وعن عطاء قال أخرجوا من صلب آدم حين أخذ منهم الميثاق ثم
ردوا فى صلبه •• وقال أخبرنا أبو عامر العقدى وأبو نعيم الملائى قالا حدثنا
هشام بن سعد عن يحيي وليس بابن سعيد قال قلت لابن المسيب ما تقول فى
العزل قال ان شئت حدثتك حديثاً هو حق أن الله تعالى لما خلق آدم أراه
كرامة لم يرها أحد من خلقه أراه كل نسمة هو خالقها من ذريته الى يوم القيامة
فمن حدثك أنه يزيد فيهم شيئاً أو ينقص منهم فقد كذب ولو كان لى سبعون
ما باليت •• وفى تفسير ابن عيينة عن الربيع بن أنس عن أبى العالية وله أسلم
من فى السموات والأرض طوعا وكرها فاليوم أخذ الميثاق قال اسحق قد كانوا
فى ذلك الوقت مقرين وذلك أن الله تعالى أخبر أنه قال ألست بربكم قالوا
بلى والله لا يخاطب الا من يفهم عنه المخاطبة ولا يجيب الا من فهم السؤال
فأجابتهم اياه بقولهم دليل على أن قد فهموا عن الله وعقلوا عنه استشهاده اياه
ألست بربكم فأجابوه من بعد عقل منهم المخاطبة وفهم لها بأن قالوا بلي فأقروا
له بالربوبية قال وأجمع أهل العلم أنها الأرواح قبل الاجساد خاطبهم •• وقال ابن

مندة أخبرنا محمد بن صابر البخاري حدثنا محمد بن المنذر بن سعيد الهروى حدثنا جعفر بن محمد بن هرون المصيصي أخبرنا عتبة بن السكن أخبرنا ارطاة ابن المنذر أخبرنا عطاء بن عجلان عن يونس بن حلبَس عن عمرو بن عبسة مرفوعا أن الله خلق أرواح العباد قبل العباد بألفي عام فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف واحتج الآخرون بقوله تعالي «يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثي وهذا خطاب للإنسان الذى هو روح وبدن فدل على أن جملته مخلوقة بعد خلق الابوين وأصرح منه «يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء» وهذا صريح فى أن جملة النوع الانسانى مخلوقة بعد أصله ولو كان الروح وجود قبل البدن وهي حية عالمة ناطقة عاقلة لكانت ذاكرة لذلك فى هذا العالم بعد اتصالها بالبدن شاعرة به ولو بوجه مّا ومن الممتنع أن تكون حية عالمة ناطقة عارفة بربها وهي بين عامة الارواح ثم تنتقل الى هذا البدن ولا تشعر بحالها قبل ذلك بوجهٍ مّا واذا كانت بعد المفارقة تشعر بحالها قبل الذى كان في البدن على التفصيل مع أنها اكتسبت بالبدن أموراً عائقة عن كثير من كمالها فلان تشعر بحالها الاول وهي غير معوّقة هناك بطريق الاولي .. وأيضاً فعدم شعورها بالعهد يفوت فائدة الشهادة لان أحداً لا يشهد الا بما يذكر .. فان قيل تعلقها بالبدن واشتغالها بتدبيره منعها من شعورها بحالها الاول وأنساها ذلك كما ان أحوال الانسان الحالية تنسيه أغلب احواله الماضية قيل أفيمنعها ذلك عن شعور ما ولو علي ادنى الوجوه .. وايضا كونها تكون عاقلة عالمة ناطقة قبل البدن فلما تعلقت به سلبت ذلك كله فكانت كما قال تعالى «والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئاً» ثم حدث لها العلم والنطق شيئا فشيئا من

أعجب العجب .. وأما ما احتجوا به من الآثار فانما تدل على اثبات القدر السابق و بعضها يدل على أنه سبحانه استخرج أمثالهم وصورهم وميز أهل السعادة من أهل الشقاوة .. وأما مخاطبتهم واستنطاقهم واقرارهم بالربوبية وشهادتهم على أنفسهم بالعبودية فالحديث المسند الدال عليه ليس بحجة وهو حديث مالك فقد قال أبو عمر بن عبد البر هو حديث منقطع مسلم بن يسار لم يلق عمر بن الخطاب و بينهما فى هـذا الحديث نعيم بن ربيعة وهو أيضاً مع الاسناد لا تقوم به حجة ومسلم بن يسار هذا مجهول قيل أنه مدنى وليس بمسلم بن يسار البصرى قال ابن أبى خيثمة قرأت على يحيى بن معين حديث مالك هذا عن زيد بن أنيسة فكتب بيده على مسلم بن يسار لا يعرف ثم ساقه من طريق النسائى أخبرنا محمد بن وهب أخبرنا محمد بن سلمة حدثنى أبو عبد الرحيم حدثنى زيد بن أبى أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن عن مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة ثم قال وزيادة من زاد نعيما ليست بحجة لان الذى لم يذكره أحفظ وانما تقبل الزيادة من الحافظ المتقن وجملة القول في هذا الحديث أنه حديث ليس اسناده بالقائم لان مسلم بن يسار ونعيم بن ربيعة جميعاً غير معروفين بحمل العلم انتهى .. وأما حديث أبى صالح عن أبى هريرة فانما يدل على استخراج الذرية وتمثيلهم فى صورة الذر وكان منهم حينئذ المشرق والمظلم

قلت ﴿وأما حديث هشام بن حكيم﴾ [1] وأما بقية الآثار عن السلف فمن صرح منهم بأخذ العهد فانما هو بناء منه على فهم الآية وهى لم تدل على هذا وحديث أبى بن كعب لو صح كانت غايته أن يكون من قوله ولم يصح عنه

(١) هكذا بياض فى الاصل

وهذا الاسناد تروى به أشياء منكرة جداً وأبوجعفر الرازى وثق وضعف قال
علي ابن المديني كان ثقة وقال أيضاً كان يخلط وقال ابن معين هوثقة وقال
أيضاً يكتب حديثه الا أنه يخطئ وقال الامام احمد ليس بقوي فى الحديث
وقال الفلاس سيئ الحفظ وقال أبو زرعة يهم كثيراً وقال ابن حبان تفرد
بالمنا كير عن المشاهير هذا مع أن الآثار ليست بنص فى الدلالة علي خلق
الأرواح قبل الاجساد .. قال أبواسحاق جائز أن يكون الله تعالى جعل لامثال
الذر التي أخرجها فهما تعقل به كماقالت نملة ياأيها النمل ادخلوا مسا كنكم وقد
سخر مع داود الجبال يسبحن معه والطير .. وقال ابن الانباري مذهب أصحاب
الحديث وكبراء أهل العلم فى هذه الاية أن الله تعالى أخرج ذرية آدم من
صلبه واصلاب أولاده وهم فى صورة الذر فأخذ عليهم الميثاق وذلك بعد أن
ركب فيهم عقولا عرفوا بها ماعرض عليهم كما جعل للجبل حين خوطب
وللبعير حين سجد والنخلة حين سمعت وانقادت حين دعيت أى وللجذع
حين حن وللحجر حين كان يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم كما مر به
وقال الحسن بن يحيي الجرجانى ليس بين الاية اذ فيها من بنى آدم وبين
الخبر اذ فيه مسح ظهر آدم اختلاف فان مسحه لظهره واستخراجه لذريته منه
مسح لظهور ذريته واستخراج لذرياتهم من ظهورهم للعلم بأن جميع ذرية آدم
لم يكونوا من صلبه لكن لما كان البطن الأول من صلبه ثم الثانى من صلب
الأول ثم الثالث من صلب الثانى جاز أن ينسب ذلك كله الى ظهر آدم
لانهم فرعه وهو أصلهم علي أن كثيراً من الناس نازع فى كون المذكور في
الآثار هو المراد بالاية وقال انما المعنى أنه أخرج ذرياتهم من ظهورهم بالولادة
وأنشأهم شيئاً فشيئاً بعد أن كانوا نطفاً فى الاصلاب وأشهدهم علي أنفسهم

أنه ربهم بما أظهر لهم من الآيات الموجبة للعلم فلما دعاهم الي التصديق بذلك كانوا بمنزلة الشاهدين والمشهدين على أنفسهم بصحته كما قال شاهدين علي أنفسهم بالكفر يريد بمنزلة الشاهدين ونحو ذلك من التأويل . . قال الجرجانى ونحن ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم فى الاية وماذهب اليه أهل العلم من السلف الصالح أميل وله أقبل وبه آنس والله ولي التوفيق . . وأما حديث عمرو بن عبسة فى خلق الارواح قبل الاجساد بألفي عام فلا يصح اسناده ففيه عتبة بن السكن قال الدارقطنى متروك

قلت وقال البيهقى أنه منسوب الى الوضع والله أعلم . وارطاة بن المنذر قال ابن عدى بعض أحاديثه غلط

قلت وقال شيخنا أنه ثقه وفيه أيضا عطاء بن عجلان أطلق عليه ابن معين والفلاس وغيرهما الكذب والله الموفق

المسئلة الثالثة

فى ان الروح تموت مع البدن أم الموت للبدن وحده فقالت طائفة تموت وقالت أخرى لا والصواب أنه ان أريد بذوقها الموت مفارقة لجسدها فنعم هي ذائقة الموت بهذا المعني وان أريد أنها تعدم فلا بل هي باقية بعد خلقها فى نعيم أو عذاب كما دلت عليه أحاديث النعيم والعذاب وبهذا يجاب عن مثل قوله تعالى ﴿ كل من عليها فان . كل شيء هالك الا وجهه ﴾ وسيأتى له مزيد

بيان وعن قولهم الملائكة تموت مع كونها أرواحاً مجردة فالنفوس البشرية أولي بالموت وحياة الشهداء ثابتة بالنص ورزقهم وفرحهم واستبشارهم .. وأما قوله تعالى عن أهل النار ﴿ ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ﴾ فبينت معناه آية البقره ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ﴾ فأطلق على ماقبل نفخ الروح موتاً وهي الموتة الأولي .. وأما ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض الا من شاء الله فصعق الأحياء بالموت وصعق الاموات بالغشى بدليل قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح فأكون أول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدرى أفاق قبلي ام كان ممن استثنى الله فسمي القيام من الصعقة افاقة

قلت قال البيهقي عن الأنبياء فيما نقله ابن الحسين المراغي في تاريخ المدينة الشريفة فهم أحياء عند ربهم يرزقون كالشهداء فاذا نفخ في الصور النفخة الاولي صعقوا فيمن صعق ثم لايكون ذلك موتاً في جميع معانيه الافي ذهاب الاستشعار فان كان موسى ممن استثنى الله بقوله الا من شاء الله فانه لايذهب استشعاره في تلك الحالة فيحاسبه بصعقة يوم الطور ويقال إن الشهداء ممن استثنى الله به .. قال السبكي وعود الروح الى الجسد ثابت في الصحيح لسائر الموتى فضلا عن الشهداء وانما النظر في استمرارها في البدن وفي أن البدن يصير حياً بها كحالته في الدنيا أو حياً بدونها وهي حيث شاء الله فان ملازمة الحياة للروح أمر عادي لا عقلي

قلت وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام أجرى الله العادة انها اذا كانت في الجسد كان حياً فاذا فارقته مات الجسد فاذا رجعت اليه حي الجسد انتهي قال ابن الحسين فهذا يعني أن البدن يصير بها حياً كحاله في الدنيا مما يجوزه

العقل فان صح به سمع اتبع وقد ذكره جماعة من العلماء ويشهد له صلاة موسى فى قبره فان الصلاة تستدعي جسداً حياً وكذلك الصفات المذكورة فى الأنبياء ليلة الاسراء كلها صفات الاجسام ولايلزم من كونها حياة حقيقية أن تكون الأبدان معها كما كانت فى الدنيا من الاحتياج الى الطعام والشراب وغير ذلك من صفات الأجسام التى نشاهدها بل يكون لها حكم آخر فليس فى العقل ما يمنع من اثبات الحياة الحقيقية لهم وأما الادراكات كالعلم والسماع فلا شك أن ذلك ثابت لهم ولسائر الموتى قال ابن الحسين انتهى ملخصاً فالشهداء أحياء حقيقة عند جمهور العلماء وهل ذلك للروح فقط أو الجسد معها بمعنى عدم البلى له فيه قولان واذا ثبتت الحياة للشهيد ثبتت للنبي بطريق الأولى وقد قال صاحب التلخيص من أصحابنا أن ماله عليه الصلاة والسلام بعد موته قائم علي نفقته وملكه قال السبكي ويكون انتقال الملك ونحوه مشروطاً بالموت المستمر والا فالحياة الثانية حياة أخروية ولا شك أنها أعلى وأكمل من حياة الشهيد وهى ثابتة للروح بلا اشكال والجسد قد ثبت أن أجساد الانبياء لا تبلى .. وقد روى عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه قال لا ينبغى رفع الصوت على نبي حيا ولا ميتاً .. وعن عائشة رضى الله عنها كانت تسمع الوتد يوتد والمسمار يضرب في بعض الدور المطيفة بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم فترسل اليهم لا تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا وما عمل على بن طالب رضى الله عنه مصراعي داره الا بالمناصع توقياً لذلك كما نقله ابن زبالة ويحيي والله أعلم وسيأتى فى أواخر المسئلة الخامسة عنها رضى الله عنها أنها كانت تستتر بعدموت عمر رضى الله عنه .. وقد نظم احمد بن الحسين الكندي هذا الاختلاف فى قوله

تنازع الناس حتى لا اتفاق لهم الا على شجب والخلف في الشجب
فقيل تخلص نفس المرء سالمة وقيل تشرك جسم المرء فى العطب

قلت وأنت اذا تأملت معنى موت الجسد اتضح لك ما صو به المصنف
فى الروح فان موته انما هو نزع الروح منه لانه يعدم بعد وجوده لأنه اما
أن يبقى كأجساد الانبياء أومن يكرمه الله من الشهداء وغيرهم أو يصير رفاتاً
واما أنه يصير لا شئ فلا قال القاضي عضد الدين فى حشر الاجساد من
كتابه المواقف وشارحه السيد الجرجاني أجمع أهل الملل والشرائع عن آخرهم
على جوازه ووقوعه أما الجواز فلان جمع الاجزاء على ما كانت عليه واعادة
التأليف المخصوص فيها أمر ممكن لذاته كما مر وذلك لان الأجزاء المتفرقة
المختلطة بغيرها قابلة للجمع بلا ريبة .. ثم قال تذنيب هل يعدم الله الاجزاء
البدنية ثم يعيدها أو يفرقها و يعيدفيها التأليف الحق أنه لم يثبت ذلك ولاجزم
فيه نفياً ولا اثباتاً لعدم الدليل على شيء من الطرفين ومايحتج به على الاعدام
من قوله كل شئ هالك الا وجهه ضعيف في الدلالة فان التفريق هلاك
كالاعدام فان هلاك كل شئ خروجه عن صفاته المطلوبة منه وزوال التأليف
الذي به تصلح الاجزاء لافعالها وتتم منافعها والتفريق كذلك أي زوال التأليف
والتفريق خروج الشئ عن صفاته المطلوبة منه فيكون هلاكا ومثله يسمى
فناءعرفا فلا يتم الاستدلال بقوله كل من عليها فان على الاعدام أيضاً والله أعلم

المسئلة الرابعة

فى أن الروح هل تعاد الى الميت ومتي تعاد .. والجواب أنها تعاد اليه عند جمهور أهل السنة والحديث لما رواه الامام أحمد قال المنذر باسناد رواته محتج بهم في الصحيح وأبو داود الطيالسى والسجستانى والنسائى وابن ماجة وأبو عوانة الاسفرائينى في صحيحه من طريق حماد بن سلمة عن يونس بن حبان عن المنهال بن عمرو عن زادان عن البراء بن عازب

قلت والذى رأيته عن أبى دواد من غير طريق حماد فقال الطيالسى حدثنا أبو عوانة عن الأعمش عن المنهال وحدثنا عمرو بن ثابت سمعه من المنهال بن عمرو عن زادان عن البراء..وقال السجستانى حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير وحدثنا هناد بن السرى أخبرنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال وحدثنا هناد حدثنا عبد الله بن نمير حدثنا الأعمش أخبرنا المنهال عن زادان عن البراء بن عازب وقد أدخلت منهما ألفاظاً فى رواية حماد قال البراء قال كنا فى جنازة رجل من الأنصار فى بقيع الغرقد فأتانا النبى صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله كأن علي رؤسنا الطير وقع وهو يلحد له وفي يده عود ينكت به فى الأرض فجعل يرفع بصره ينظر الي السماء ويخفض الى الارض فقال أعوذ بالله من عذاب القبر ثلاث مرات وفى رواية السجستانى فقال أستعيذ بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثاً ثم قال ان العبد المؤمن اذا كان فى اقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت اليه ملائكة من الجنة بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم أكفان من الجنة وحنوط من الجنة فجلسوا منه على مد

البصر ثم يجيء ملك الموت حتي يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الطيبة اُخرجي الى مغفرة من الله و رضوان فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء وان كنتم ترونه غير ذلك فيأخذها فاذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وذلك الحنوط فذلك قوله تعالى ﴿ توفته رسلنا وهم لا يفرطون ﴾ ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الارض فيصعدون بها ولا يمرون بها يعنى علي ملأ من الملائكة وقال الطيالسي فلا يأتون علي جند فيما بين السماء والارض الا قالوا ما هذا الروح الطيب فيقولون فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا حتي ينتهوا بها الى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها الى السماء التى تليها حتى ينتهي بها الى السماء السابعة فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب عبدى فى عليين وأعيدوه الى الأرض فانى وعدتهم انى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخري فيرد الى الارض فتعاد روحه فى جسده وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين فيأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه ويجلسانه فيقولان لهمن ربك فيقول ربى الله فيقولان له ما دينك فيقول دينى الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان وما علمك به فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت ٠٠ وقال الطيالسي فيقول جاءنا بالبينات من ربنا فآمنت به وصدقته فذلك قول الله عز وجل ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة الآية ﴾ فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فافرشوه من الجنة واكسوه من الجنة وافتحوا له باباً الى الجنة وفي رواية الطيالسى وأروه منزله منها فيلبس من الجنة ويفرش منها

ويري منزله منها فيأتيه من ريحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره ويأتيه
رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول ابشر بالذي يسرك ابشر
بما أعد الله لك ابشر برضوان من الله وجنات لهم فيها نعيم مقيم هذا يومك
الذي كنت توعد فيقول بشرك الله بالخير من أنت فوجهك الوجه الذي
يجيء بالخير فيقول أنا عملك الصالح فوالله ماعلمتك الا كنت سريعاً في
طاعة الله عز وجل بطيئاً عن معصيته فجزاك الله خيراً فيقول يارب أقم الساعة
حتى أرجع الى أهلي ومالي ٠ وان العبد الكافر اذا كان في انقطاع من
الآخرة واقبال من الدنيا نزل اليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم
مسوح من نار فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند
رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة اخرجي الى سخط الله وغضبه فتتفرق في
جسده فينتزعها تقطع معها العروق والعصب كما ينزع السفود الكثير الشعب
من الصوف المبلول فيأخذها فاذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى
يدعوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه
الأرض فيصعدون بها ولا يمرون بها على ملأ من الملائكة فيما بين السماء
والارض الا قالوا ماهذا الروح الخبيث فيقولون فلان بن فلان بأقبح أسمائه
التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهى بها الى سماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح
له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون
الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط فيقول الله عز وجل اكتبوا كتابه في
سجين في الارض السفلى ردوه الى الارض اني وعدتهم انى منها خلقتهم
وفيها اعيدهم ومنها اخرجهم تارة أخرى فيطرح روحه طرحاً ثم قرأ ومن
يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان

سحيق فيعاد روحه في جسده و يأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه و يجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان له مادينك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فلا يهتدى لاسمه فيقال محمد فيقول هاه هاه لاأدرى سمعت الناس يقولون ذاك فيقال لادريت فينادي مناد من السماء ان كذب فافرشوه فى النار والبسوه من النار وافتحوا له باباً الى النار فيأتيه من حرها وسمومها و يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه و يأتيه رجل قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول ابشر بعذاب الله وسخطه وفي رواية ابشر بهوان من الله وعذاب مقيم فيقول من أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر وفى رواية فيقول بشرك الله بالشر من أنت فيقول أنا عملك الخبيث والله ماعلمتك الا كنت بطيئاً عن طاعة الله سريعاً الى معصيته فجزاك شراً فيقول رب لا تقم الساعة . . وعند السجستانى وأحمد ثم يقيض له أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبل لصار تراباً فيضربه بها ضربة يسمعه ما بين المشرق والمغرب الا الثقلين فيصير تراباً ثم تعاد فيه الروح وعند الطيالسي وأحمد فيضرب ضربة أخري فيصيح صيحة يسمعها كل شيء الا الثقلين . . وقدح فى هذا الحديث أبو محمد بن حزم بانه غير صحيح لانه تفرد به زاد أن وتفرد بزيادة رد الارواح فى القبور الى الأجساد المنهال بن عمرو قال وليس بالقوى تركه سعيد وغيره وقال فيه المغيرة بن مقسم الضبي وهو أحد الائمة ما جازت للمنهال بن عمرو قط شهادة فى الاسلام وهذا من مجازفته . . والحديث صحيح لا شك فيه مشهور مستفيض صححه جماعة من الحفاظ ولا نعلم أحداً من أئمة الحديث طعن فيه بل رووه فى كتبهم وتلقوه بالقبول وجعلوه أصلا من أصول الدين

فى عذاب القبر ونعيمه ومسائلة منكر ونكير وقبض الأرواح وصعودها ثم رجوعها الى القبور وزادان من الثقات وروى عن أكابر الصحابة كعمر وغيره وروي له مسلم فى صحيحه وقال يحيى بن معين ثقة وقال حميد بن هلال وقد سئل عنه هو ثقة لايسئل مثل هولا٠ وقال ابن عدي أحاديثه لا بأس بها اذا روي عن ثقة

قلت وقال الحافظ عبد العظيم المنذري فى مختصر سنن أبى داود وأخرجه النسائى وابن ماجة مختصرا فى اسناده المنهال بن عمرو وقد أخرج له البخاري فى صحيحه حديثاً واحداً وقال يحيي بن معين ثقة وقال الامام أحمد تركه شعبة على عمد وغمزه يحيي بن سعيد وحكي عن شعبة انه تركه وقال ابن عدي والمنهال بن عمرو هو صاحب حديث القبر الحديث الطويل رواه عن زادان عن البراء ورواه عن منهال جماعة وقال أبو موسى الأصبهاني انه حديث حسن مشهور بالمنهال عن زادان وللمنهال حديث واحد فى البخاري حسب ولزادان فى كتاب مسلم حديثان وقال فى الترغيب والترهيب نحو هذا وزاد ورواه البيهقي من طريق المنهال بنحو رواية أحمد ثم قال وهذا حديث صحيح الاسناد انتهى على انه لم ينفرد به بل رواه عن البراء أيضاً عدي بن ثابت ومجاهد بن جبير ومحمد بن عقبة وغيرهم وقد جمع الدارقطني طرقه فى جزء مفرد

قلت وأورده البغوي فى تفسير قوله تعالى ﴿ يثبت الله الذين آمنوا ﴾ عن البراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن قال فتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فى قبره ويقولان من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيي محمد فينتهرانه

ويقولان الثانية من ربك وما دينك ومن نبيك وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن فيثبته الله فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد فينادى مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ﴾ انتهى وقال الحافظ أبو عبد الله بن مندة فى كتاب الروح والنفس أخبرنا محمد بن يعقوب بن يوسف أخبرنا محمد بن اسحق الصفار أخبرنا أبو النضر هاشم بن القاسم حدثنا عيسى بن المسيب عن عدي ابن ثابت عن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الأنصار فانتهينا الى القبر ولما يلحد فجلس وجلسنا حوله كأن على أكتافنا فلق الصخر وعلى رؤسنا الطير فأرمّ قليلا والارمام السكوت فلما رفع رأسه قال ان المؤمن اذا كان فى قبل من الآخرة ودبر من الدنيا وحضره الموت نزلت عليه ملائكة معهم كفن من الجنة وحنوط من الجنة فجلسوا منه مد البصر وجاء ملك الموت فجلس عند رأسه ثم قال اخرجي أيتها النفس الطيبة اخرجي الى رحمة من الله ورضوان فتسيل نفسه كما تسيل القطرة من السقاء فاذا خرجت نفسه صلى عليه كل من فى السماء والارض الا الثقلين ثم يصعد به الى السماء فيفتح له السماء ويشيعه مقربوها الى السماء الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة الى العرش مقربوا كل سماء فاذا انتهى الى العرش كتب كتابه فى عليين ويقول الرب عز وجل ردوا عبدى الى مضجعه فانى وعدتهم انى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى فيرد الى مضجعه فيأتيه منكر ونكير يثيران الارض بأنيابهما ويفحصان الارض باشعارهما وفى رواية ويلحفان الارض بشفاههما فيجلسانه ثم يقال له يا هذا من ربك فيقول ربى

الله فيقولان له صدقت ثم يقال له ما دينك فيقول ديني الاسلام فيقولان له
صدقت ثم يفسح له في قبره مد بصره ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب
طيب الريح فيقول جزاك الله خيراً فوالله ما علمت ان كنت لسريعاً في طاعة
الله بطيئاً عن معصية الله فيقول وأنت فجزاك الله خيراً فمن أنت فقال أنا عملك
الصالح ثم يفتح له باب الى الجنة فينظر الى مقعده ومنزله منها حتى تقوم الساعة
وان الكافر اذا كان في دبر من الدنيا وقبل من الآخرة وحضره الموت نزل
عليه من السماء ملائكة معهم كفن من نار وحنوط من النار فيجلسون منه
مد البصر وجاء ملك الموت فجلس عند رأسه ثم قال اخرجي أيتها النفس الخبيثة
اخرجي الى غضب الله وسخطه فتتفرق روحه في جسده كراهية أن يخرج
لما ترى وتعاين فيستخرجها كما يستخرج السفود من الصوف المبلول فاذا خرجت
نفسه لعنه كل شيء بين السماء والارض الا الثقلين ثم يصعد به الى السماء فتغلق
دونه فيقول ردوا عبدي الى مضجعه فاني وعدتهم اني منها خلقتهم وفيها نعيدهم
ومنها نخرجهم تارة أخرى فترد روحه الى مضجعه فيأتيه منكر ونكير يبتدران
بأنيابهما ويفحصان الارض باشعارهما وفي رواية ويلحفان الارض بشفاههما
أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف فيجلسانه ثم يقولان له
يا هذا من ربك فيقول لا أدري فينادى من جانب القبر لا دريت ولا تليت
فيضربانه بمرزبة من حديد لو اجتمع عليها من بين الخافقين لم تقل وفي رواية
لم يقلوها يشتعل منها قبره ناراً ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ويأتيه
رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول جزاك الله شراً فوالله ما علمت
ان كنت لبطيئاً عن طاعة الله سريعاً في معصيته فيقول ومن أنت فيقول أنا
عملك الخبيث ثم يفتح له باباً الى النار فينظر الى مقعده فيها حتى تقوم الساعة

رواه الامام أحمد ومحمود بن غيلان وغيرهما عن أبي النضر ثم ساقها بن مندة من طريق محمد بن مسلمة عن خصيف الجزرى عن مجاهد عن البراء بن عازب قال كنا فى جنازة رجل من الانصار ومعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتهينا الى القبر ولما يلحد ووضعت الجنازة وجلس رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال ان المؤمن اذا احتضر أتاه ملك فى أحسن صورة وأطيبه ريحا فجلس عنده لقبض روحه وأتاه ملكان بحنوط من الجنة وكفن من الجنة وكانا منه على بعد فيستخرج ملك الموت روحه من جسده رشحا فاذا صارت الى ملك الموت ابتدرها الملكان فأخذاها منه فحنطاها بحنوط من الجنة وكفناها بكفن من الجنة ثم عرجا بها الى الجنة فيفتح له أبواب السماء وتستبشر الملائكة بها ويقولون لمن هذه الروح الطيبة التى فتحت لها أبواب السماء ويسمى بأحسن الاسماء التى كان يسمى بها فى الدنيا فيقال له هذه روح فلان فاذا صعد بها الى السماء شيعها مقربو كل سماء حتى توضع بين يدي الله عزوجل عند العرش فيخرج عملها فى عليين فيقول الله تعالى للمقربين اشهدوا أنى قد غفرت لصاحب هذا العمل ويختم كتابه فيرد في عليين ثم يقول عزوجل ردوا روح عبدي الى الارض فانى وعدتهم انى أردهم فيها ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فاذا وضع المؤمن فى لحده فتح له باب عند رجليه الى الجنة فيقال له انظر الى ما أعد الله لك من الثواب ويفتح له باب عند رأسه الى النار فيقال له انظر ماذا صرف الله عنك من العذاب ثم يقال له نم قرير العين فليس شئ أحب اليه من قيام الساعة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وضع المؤمن فى لحده تقول له الارض ان كنت لحبيبا الىّ وأنت على ظهرى فكيف اذا

صرت اليوم فى بطنى سأريك ما أصنع بك فيفسح له فى قبره مد بصره ..
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وضع الكافر فى قبره أتاه منكر ونكير
فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول لا أدرى فيقولان له لا دريت فيضربانه
ضربة فيصير رماداً ثم يعاد فيجلس فيقال له ما قولك فى هذا الرجل فيقول
أى رجل فيقولان محمد صلى الله عليه وسلم فيقول قال الناس أنه رسول الله
فيضربانه ضربة فيصير رماداً .. وأما تضعيف ابن حزم للمنهال ودعواه أنه
تفرد بقوله فتعاد روحه فى جسده فليس كذلك فان المنهال أحد العدول
الثقات .. قال ابن معين المنهال ثقة وقال العجلى كوفى ثقة وأعظم ماقيل فيه
أنهُ سمع من بيته صوت غناء وهذا لايوجب القدح فى روايته واطراح حديثه
فلا يلتفت الى تضعيف ابن حزم له فانه لم يذكر موجباً لذلك غير تفرده باعادة
الروح وقد تبين لك أنه لم يتفرد بها

قلت وقد تقدم أن البخاري احتج به والله أعلم .. وقد أعل أيضاً بعضهم
الحديث بأن زادان لم يسمعه من البراء وهذه علة باطلة فان أبا عوانة الاسفرائينى
رواه فى صحيحه باسناده وقال عن أبى عمر زادان الكندي قال سمعت البراء
ابن عازب قال الحافظ أبو عبد الله بن مندة هذا اسناد متصل مشهور رواه
جماعة عن البراء ولو تركنا حديث البراء فسائر الأحاديث الصحيحة صريحة
في ذلك مثل حديث ابن أبى ذئب عن محمد بن عمرو عن عطاء بن سعيد
ابن يسار عن أبي هريرة أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال أن الميت
تحضره الملائكة فاذا كان الرجل الصالح قال أخرجى أيتها النفس الطيبة التى
كانت فى الجسد الطيب أخرجي حميدة وابشري بروح وريحان ورب راض
غير غضبان قال فلا يزال يقال ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء فيستفتح

لها فيقال من هذا فيقولون فلان بن فلان فيقولون مرحباً بالنفس الطيبة كانت
فى الجسد الطيب أدخلى حميدة وابشرى بروح وريحان ورب غير غضبان
فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهى بها الى السماء التى فيها الله واذا كان الرجل
السوء قال لها أخرجى أيتها النفس الخبيثة التى كانت فى الجسد الخبيث أخرجى
دميمة وابشرى بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج فلايزال يقال لها ذلك
حتى تخرج فينتهي بها الى السماء فيقال من هذا فيقولون فلان بن فلان
فيقولون لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة فانها
لاتفتح لك أبواب السماء فترسل من السماء الى الارض فتصير الي القبر فيجلس
الرجل الصالح في قبره غير فزع ولا متعب ثم يقال فيم كنت فيقول فى
الاسلام فيقال ما هذا الرجل فيقول محمد صلى الله عليه وسلم جاءنا بالبينات
من قبل الله فآمنا وصدقنا وذكر تمام الحديث قال أبونعيم هذا حديث متفق
على عدالة ناقليه اتفق الامامان محمد بن اسميعل البخارى ومسلم بن الحجاج
على بن أبي ذئب ومحمد بن عمرو بن عطاء وسعيد بن يسار وهم من شرطهما
ورواه المتقدمون الكبار عن ابن أبي ذئب مثل ابن أبي فديك وعبد الرحيم
ابن ابراهيم انتهي .. ورواه عن ابن أبي ذئب غير واحد وقال المصنف
فى مسئلة حقيقة الروح وهو حديث صحيح

قلت وأخرج الطبرانى فى الأوسط فى ترجمة عبيد الله بن محمد بن
عبد الرحيم البرقي عن أبى هريرة رضي الله عنهُ قال شهدنا جنازة مع النبي
صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من دفنها وانصرف الناس قال نبى الله صلى الله
عليه وسلم أنهُ الآن يسمع خفق نعالكم أتاه منكر ونكير أعينهما مثل قدور
النحاس وأنيابهما مثل صياصى البقر وأصواتهما مثل الرعد فيجلسانه فيسئلانه ما

كان يعبد ومن كان نبيه فاذا كان يعبد الله قال كنت أعبدالله ونبي محمد
صلى الله عليه وسلم جاءنا بالبينات والهدي فآمنا واتبعنا فذلك قول الله تعالى
يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحيواة الدنيا وفى الآخرة فيقال له على
اليقين حييت وعليه مت وعليه تبعث ثم يفتح له باب الى الجنة و يوسع له فى
حفرته وان كان من أهل الشك قال لا أدرى سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته
فيقال له على الشك حييت وعليه مت وعليه تبعث ثم يفتح له باب الى النار
ويسلط عليه عقارب وتنانين لو نفخ أحدهم على الدنيا ما أنبتت شيئاً تنهشه
وتؤمر الأرض فتضطمر عليه حتى تختلف أضلاعه قال الطبرانى تفرد به ابن
لهيعة قال الترمذي وحديثه حسن فى المتابعات وروى الامام أحمد باسناد قال
المنذرى صحيح عن عائشه رضي الله عنها قال جاءت يهودية استطعمت على
بابى فقالت أطعموني أعاذكم الله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر فلم أزل
أحدنها حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله ماتقول هذه
اليهودية قال وما تقول قلت تقول أعاذكم الله من فتنة عذاب القبر ومن فتنة
الدجال قالت عائشة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع يديه مداً يستعيذ
بالله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر ثم قال أما فتنة الدجال فانه لم يكن
نبي الا حذر أمته وسأحدثكم بحديث لم يحدثهُ نبي أمتهُ إنه أعور وأن الله ليس
بأعور مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن وأما فتنة القبر فبي تفتنون
وعنى تسئلون فاذا كان الرجل الصالح أجلس في قبره غير فزع ولا مشعوف
ثم يقال له فما كنت تقول في الاسلام (١) فيقال ما هذا الرجل الذى كان فيكم
فيقول محمد رسول الله جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه فيفرج له فرجة

(١) هكذا في الاصل ولعله سقط منه شيء

قبل النار ينظر اليها يحطم بعضها بعضاً فيقال له أنظر الى ما وقاك الله ثم تفرج
له فرجة الى الجنة فينظر الي زهرتها وما فيها فيقال له هذا مقعدك منها ويقال له
علي اليقين كنت وعليه مت وعليه تبعث ان شاء الله واذا كان الرجل السوء
أجلس فى قبره فزعاً مشعوفاً فيقال له فما كنت تقول فذكره قال سمعت
الناس يقولون شيئاً فقلتهُ كما قالوا فيفرج له فرجة الى الجنة فينظر زهرتها وما
فيها فيقال له أنظر الى ما صرف الله عنك ثم يفرج له فرجة قبل النار فينظر
اليها تحطم بعضها بعضاً ويقال هذا مقعدك منها علي الشك حييت وعليه مت
وعليه تبعث ان شاء الله ثم يعذب .. قال المنذرى قوله غير مشعوف هو بشين
معجمة بعدها عين مهملة وأخره فاء قال أهل اللغة الشعف هو الفزع حتي
يذهب بالقلب .. وقد روى مثل الزيادة التي أنكرها ابن حزم على المنهال
من اعادة الروح في عدة أحاديث كقوله فترد اليه روحه وقوله فيصير الى قبره
فيستوى جالساً وقوله فيجلس فى قبره أحاديث صحاح لامغمز فيها لكن هذه
الاعادة لاتحصل بها الحياة المعهودة التى تقوم بها الروح بالبدن وتدبيره ويحتاج
معها الي الطعام ونحوه وانما يحصل بها للبدن حياة أخرى يحصل بها الامتحان
بالسؤال وكما أن حياة النائم وهو حي غير حياة المستيقظ فان النوم أخو الموت
ولا ينفي عن النائم اطلاق الحياة فكذلك حياة الميت عند الاعادة غير حياة
الحي وهي حياة لاتنفي عنه اطلاق اسم الموت بل أمر متوسط بين الموت
والحياة كما أن النوم متوسط بينهما ولا دلالة فى الحديث على أنها مستقرة
وانما تدل على تعلق ما لها بالبدن وهى لا تزال متعلقة به وان بلى وتمزق
وتقسم وتفرق وسر ذلك أن الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة
الاول فى بطن الأم الثاني بعد الولادة الثالث فى حال النوم فلها تعلق به من

وجه ومفارقة من وجه الرابع فى البرزخ فانهـا وان كانت قد فارقته بالموت فانها لم تفارقه فراقاً كلياً بحيث لم يبق لها اليه التفات الخامس تعلقها يوم البعث وهو أكمل أنواع التعلقات ولا نسبة لما قبله اليه اذ لا يقبل البدن معه موتاً ولا نوماً ولا فساداً

قلت قال الشريف الجرجانى فى المعاد من شرح المواقف قال الامام الرازي وأما القائلون بالمعاد الروحانى والجسمانى معاً فقد أرادوا أن يجمعوا بين الحكمة والشريعة فقالوا دل العقل على أن سعادة الأرواح بمعرفة الله ومحبته وأن سعادة الاجسام فى ادراك المحسوسات والجمع بين هاتين السعادتين فى هذه الحياة غير ممكن لان الانسـان مع استغراقه فى استيفاء هذه اللذات لا يمكنه أن يلتفت الى اللذات الروحانية وانما تعذر هذا الجمع لكون الارواح البشرية ضعيفة فى هذا العالم فاذا فارقت بالموت واستمدت من عالم القـدس والطهارة قويت وكملت فاذا أعيدت الى الأبدان مرة ثانية كانت قوية قادرة على الجمع بين الأمرين ولا شبهة فى أن هذه الحالة هي الغاية القصوى من مراتب السعادات انتهى .. وهذه حكمة بالغة الا أن قوله بالمعاد الروحانى والجسمانى معا قول بأن النفس جوهر مجرد يعود الى البـدن قال الشريف وهو قول كثير من المحققين كالحليمى والغزالى والراغب وأبي زيد الدبوسى ومعمر من قدماء المعتزلة وجمهور من متأخري الامامية وكثير من الصوفية زاد الشيخ سعد الدين والـكرامية والـكعبى قال وبه يقول جمهور النصارى والتناسخية وقال قبل ذلك إن مذهب جمهور المسلمين أن المعاد جسمانى فقط لان الروح عندهم جسم سار فى البدن سريان النار في الفحم والماء في الورد والله أعلم ..وأما رؤية النبي صلى الله عليه وسلم الأنبيا ليلة الاسراء فالصحيح

أنهُ رأي الارواح في مثال الاجساد دون حقيقة الاجساد فانها في الارض قطعا انما تبعث يوم القيامة اذ لو بعثت لذاقت الموت عند النفخة ولكانت في الجنة وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أن الله حرم الجنة على الأنبيا حتى يدخلها هو وهو أول من يستفتح باب الجنة رواه مسلم عن أنس وأول من تنشق عنه الأرض على الاطلاق رواه مسلم وأبوداود عن أبي هريرة ومعلوم أن جسده في الارض طري وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنهُ قال ان الله وكل بقبرى ملائكة يبلغونى عن أمتى السلام

قلت لم أره أيضا وانما الذى رأيت في أبي داود والنساي عن ابن مسعود رفعه ان لله ملائكة سياحين يبلغونى عن أمتى السلام رواه الصابونى فى كتاب المأثر وقال ملائكة سياحين في الارض وقال هذا حديث غريب الاسناد والمتن فالله أعلم وصح أيضا أنه صلى الله عليه وسلم خرج بين أبي بكر وعمر وقال هكذا نبعث

قلت أخرجه الترمذي عن ابن عمر وقال غريب ورويناه فى جزء ابن الطلابة وأخرجه الطبرانى فى الأوسط فى ترجمه موسى بن جمهور عن أبى هريرة وزاد يوم القيامة لكن فى سنده خالد بن يزيد العمري وقد كذبوه وللترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا واستغربه أيضا انا أول من تنشق عنه الارض ثم أبو بكر ثم عمر وقال ابن الحسين فى تاريخ المدينة وفى المنتظم لابن الجوزى عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل عيسي بن مريم الى الارض فيتزوج و يولد له فيمكث خمسا وأربعين سنة ثم يموت فيدفن معي فى قبرى فأقوم أنا وعيسى بن مريم من قبر واحد بين أبى بكر وعمر انتهى وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى

الله صلى الله عليه وسلم من صلى عليّ عند قبرى سمعته ومن صلي عليّ نائياً بلغتهُ رواه البيهقي فى الشعب والله أعلم .. هذا مع القطع بأن روحه فى أعلي عليين مع أرواح الانبياء وهو الرفيق الاعلى .. وفى حديث الامراء أيضاً أنهُ مر بموسى عليه السلام قائماً فى قبره يصلي ورآه فى السماء السادسة فالروح كانت هناك فى مثال البدن ولها اتصال بالبدن بحيث يصلي فى قبره ويرد على من يسلم عليه وهو فى الرفيق الاعلى ولاتنافي بين الامرين فان شأن الارواح غير شأن الابدان وقد مثل بعضهم ذلك بالشمس فى السماء وشعاعها في الارض وان كان غير تام المطابقة من حيث أن الشعاع انما هو عرض للشمس وأما الروح فهي نفسها تنزل

قلت وأنت اذا تفكرت فى حال النائم وما يضرب له من الامثال لم يرد عليك فيما نحن فيه أشكال فانك تنام أنت وآخر بأبدانكما واشكالكما سائران فى قفار وبرارى ومهامه وصحارى أو راكبان تتقاتلان أو تقاتلان فى كروفر وضرب وطعن أو طائران فى خفض ورفع وفرقة وجمع وربما طالت غيبتكما حتي يمضي عليكما ليال وأيام وشهور وأعوام جميع ذلك في لحظة وجسدا كما مطرحان نوماً بلا مرية فتبارك الله أحسن الخالقين ثم اذا حركتما رجعت الروح فى أسرع وقت وبين البلدين مسافات تقطع الاعناق والله أعلم .. وقال ابن مندة محتجا علي اعادة الروح أخبرنا محمد بن الحسين بن الحسن حدثنا محمد بن يزيد النيسابورى أخبرنا حماد بن قيراط أخبرنا محمد بن الفضل عن يزيد بن عبدالرحمن الصائغ البلخي عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد تلا هذه ذات الآية ﴿ ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم ﴾ الآية

ثم قال والذي نفس محمد بيده ما من نفس تفارق الدنيا حتي ترى مقعدها من الجنة والنار ثم قال فاذا كان عند ذلك صف له سماطان من الملائكة ينتظمان ما بين الخافقين كان وجوههم الشمس فينظر اليهم ما يرى غيرهم وان كنتم ترون أنهُ ينظر اليكم مع كل ملك منهم أكفان وحنوط فان كان مؤمناً بشروه بالجنة وقالوا أخرجي أيتها النفس الطيبة الى رضوان الله وجنته فقد أعد الله لك من الكرامة ما هو خير لك من الدنيا وما فيها فلا يزالون يباشرونهُ ويحفون به فهم ألطف به وأرأف من الوالدة بولدها ثم يسلون روحه من تحت كل ظفر ومفصل ويموت الاول فالاول ويهون عليه وان كنتم ترونهُ شديداً حتى تبلغ ذقنهُ فهي أشد كراهية للخروج من الجسد من الولد حين يخرج من الرحم فيبتدرونها كل ملك منهم أيهم يقبضها فيتولى قبضها ملك الموت ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون ﴾ فيلقاها بأكفان بيض ثم يحتضنها اليه فهو أشد لزوماً لها من المرأة لولدها ثم يفوح منها ريح أطيب من المسك فيستنشقون ريحها ويتباشرون بها ويقولون مرحباً بالريح الطيبة والروح الطيب اللهم صل عليه روحاً وصل علي جسد خرجت منه فيصعد بها الى الله عز وجل خلق الهوى لا يعلم عدتهم الاهو فيفوح لهم منها ريح أطيب من المسك فيصلون عليها ويتباشرون بها وتفتح لهم أبواب السماء فيصلى عليها كل ملك في كل سماء تمر بهم حتي ينتهي بها الى الملك الجبار فيقول الجبار مرحباً بالنفس الطيبة وبجسد خرجت منه واذا قال الرب عز وجل لشيء مرحباً رحب له كل شيء ويذهب عنه كل ضيق ثم يقول لهذه النفس الطيبة أدخلوها الجنة أروها مقعدها من الجنة وأعرضوا عليها ما أعددت لها من الكرامة والنعيم ثم اذهبوا بها الى الارض

قالى قضيت انى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى فوالذي نفسي بيده لهى أشد كراهية للخروج منها حين كانت تخرج من الجسد وتقول أين تذهبون بي الى ذلك الجسد الذى كنت فيه فيقولون انامأمورون بهذا فلابد لك منه فيهبطون بها على قدر فراغهم من غسله وأكفانه فيدخلون ذلك الروح بين جسده وأكفانه

قلت وأخرج البخارى في الجنائز من صحيحه عن أبي سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال علي أعناقهم فان كانت صالحة قالت قدمونى وان كانت غير صالحة قالت ياويلها أين تذهبون بها يسمع صوتها كل شئ الا الانسان ولو سمعه صعق ولاحمد فى المسند عن أبي سعيد رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الميت يعرف من يحمله ويغسله ومن يدليه فى قبره انتهي قال شيخ الاسلام يعنى ابن تيمية الاحاديث الصحيحة متواترة علي عودة الروح الي البدن وقت السؤال وسؤال البدن بلاروح قول طائفة وأنكره الجمهور وقابلهم آخرون فقالوا السؤال للروح بلا بدن قاله ابن مرة وابن حزم وهوغلط والا لم يكن للقبر بذلك اختصاص .. وهذا يزداد وضوحا بذكر الجواب في أن عذاب القبر هل هو على النفس والبدن معاً أو على أحدهما والصحيح أنه يكون عليهما معاوعلي النفس وحدها كماسيأتى ان شاء الله تعالى فى المسئلة العاشرة

المسئلة الخامسة

أين مستقر الأرواح ما بين الموت والحياة ومتى تزار القبور .. قيل أرواح المؤمنين عند الله في الجنة شهداء أو غير شهداء اذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرة ولا دين وتلقاهم ربهم بالعفو عنهم والرحمة وهو مذهب أبى هريرة وابن عمر وقريب منه قول الامام احمد فى رواية ابنه عبد الله أرواح الكفار فى النار وأرواح المؤمنين فى الجنة لقوله تعالى ﴿ فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم ﴾ ذكره بعد خروجها من البدن وقسمها ثلاثة أقسام مقربين فى الجنة وأصحاب اليمين سالمين من العذاب ومكذبين لهم نزل من حميم وتصلية جحيم كما قسمها يوم البعث الأكبر يوم القيامة الى ثلاثة أقسام فى أول السورة في قوله فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون ﴾ وانما قدم هذا تقديم الغاية اذ هي أهم وأولى بالذكر وقوله تعالى ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلي جنتي ﴾ وقد قال غير واحد من الصحابة والتابعين ان هذا يقال لها عند خروجها من الدنيا ولا ينافى ذلك قول من قال انه يقال لها في الآخرة فانه يقال لها عند الموت وعند البعث .. ولما فى الموطأ والنسائى عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب ابن مالك عن أبيه مرفوعاً انما نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة حتى يبعثه الله الى جسده يوم يعلق بضم اللام وفتحها أى يأكل العلقة وقد أعل محمد بن يحيي الذهبى هذا الحديث بأن شعيب بن أبي حمزة ومحمد بن أخي

الزهرى وصالح بن كيسان رووه عن الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله
ابن كعب بن مالك عن جده كعب فيكون منقطعاً وقال صالح بن كيسان
عن ابن شهاب عن عبد الرحمن أنه بلغه ان كعب بن مالك كان يحدث قال
وهذا هو المحفوظ عندنا وقال ابن عبد البر اتفق مالك ويونس بن يزيد
والأوزاعى والحارث بن فضيل على رواية هذا الحديث عن الزهرى عن
عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه وصححه الترمذى وغيره • واتفاق
مالك ومن معه أولى بالصواب وهم من الحفظ والاتقان بحيث لا يقاس بهم من
خالفهم قال الذهلى سمعت على بن المديني يقول ولد لكعب خمسة عبد الله
وعبيد الله ومعبد وعبد الرحمن ومحمد قال الذهلى فسمع الزهرى من عبيد الله
ابن كعب وكان قائد أبيه حين عمي وسمع عن عبد الرحمن بن كعب انتهي

قلت ولفظ الترمذى عن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال أرواح الشهداء فى أجواف طير خضر تعلق من ثمر الجنة أو شجر
الجنة وقال حديث حسن صحيح انتهي فالحديث ان كان لعبد الرحمن عن
أبيه كما قال مالك ومن معه فظاهره الوصل وان كان لعبدالرحمن بن عبدالله
ابن كعب عن جده كما قال شعيب ومن معه فنهايته أن يكون مرسلا من هذه
الطريقه وموصولا من الأخري والذين وصلوا ليسوا بدون الذين أرسلوه
قدراً ولا عدداً فالحديث من صحاح الاحاديث وانما لم يخرجه صاحب الصحيح
لهذه العلة قال أبو عمر وهذا يعارضه مالا مدفع في صحة نقله حديث اذا مات
أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشيّ ان كان من أهل الجنة فمن أهل
الجنة وان كان من أهل النار فمن أهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك
الله اليه يوم القيامة وسيأتي أنه لا معارضة وقال أبوعبدالله بن مندة •• وروى

موسى بن عبيدة عن عبيدالله بن يزيد عن أم كبشة بنت المعرور قالت دخل علينا النبي صلى الله عليه وسلم فسألناه عن هذه الروح فوصفها صفة لكنه أبكي أهل الميت فقال ان أرواح المؤمنين في حواصل طير خضر ترعي فى الجنة وتأكل من ثمارها وتشرب من مياهها وتأوى الى قناديل من ذهب تحت العرش يقولون ربنا ألحق بنا اخواننا وآتنا ما وعدتنا وان أرواح الكفار في حواصل طير سود تأكل من النار وتشرب من النار وتأوي الى حجر في النار ربنا لا تلحق بنا اخواننا ولا تؤتنا ما وعدتنا وقال الطبرانى حدثنا أبو زرعة الدمشقي أخبرنا عبدالله بن صالح حدثني معاوية بن صالح عن ضمرة بن حبيب قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أرواح المؤمنين فقال فى طير خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت قالوا يا رسول الله أرواح الكفار قال محبوسه فى سجين ورواه أبوالشيخ عن هشام بن يونس عن عبد الله بن صالح ورواه أبو المغيرة عن أبى بكر بن أبى مريم عن ضمرة بن حبيب •• وذكر أبو عبد الله بن مندة من طريق غنجار عن الثورى عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرواح المؤمنين فى طير كازرازير تأكل من ثمر الجنة ورواه غيره موقوفا •• وذكر يزيد الرقاشى عن أنس وأبو عبد الله الشامى عن تميم الدارى عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا عرج ملك الموت بروح المؤمن الى السماء استقبله جبريل فى سبعين ألفاً من الملائكة كلهم يأتيه ببشارة من السماء سوى بشارة صاحبه فاذا انتهى به الى العرش خر ساجداً فيقول الله عز وجل لملك الموت انطلق بروح عبدى فضعه فى سدر مخضود وظل ممدود وماء مسكوب رواه بكر بن خنيس عن ضرار بن عمر عن يزيد وأبى عبدالله •• وقيل انما الذى في الجنة الشهداء

قوله تعالي ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ وروى ربيع بن مخلد عن هناد بن السرى عن اسمعيل بن المختار عن عطية عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً الشهداء يغدون ويروحون ثم يكون مأواهم الى قناديل معلقة بالعرش فيقول لهم الرب تبارك وتعالي هل تعلمون كرامة أفضل من كرامة أكرمتكموها فيقولون لاغير انا وددنا انك أعدت أرواحنا الى أجسادنا حتى نقاتل مرة أخرى فنقتل في سبيلك .. وفي صحيح مسلم واللفظ له وجامع الترمذي وغيرهما عن مسروق قال سألت عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ فقال انا قد سألنا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أرواحهم في أجواف طير خضر لها قناديل متعلقة بالعرش تسرح من الجنة في أيها شاءت ثم تأوى الى تلك القناديل فاطلع عليهم ربك اطلاعة فقال هل تشتهون شيئاً قالوا أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل بهم ذلك ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لم يتركوا من أن يسئلوا قالوا يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا .. ثم ذكر حديث أم حارثة الذي أصابه سهم غرب في بدر وانه في الفردوس أخرجه البخاري .. وقال تقي بن مخلد حدثنا يحيي عن عبد الحميد أخبرنا ابن عينة عن يزيد أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقول أرواح الشهداء تجول في أجواف طير خضر تعلق في ثمر الجنة وأخرج أحمد وأصحاب السنن الأربعة عن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أرواح الشهداء في طير خضر تعلق من ثمر الجنة أو شجر الجنة لفظ الترمذي وقال حسن صحيح .. ولاحمد وأبي دواد

والحاكم وقال صحيح الاسناد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصيب اخوانكم يعنى يوم أحد جعل الله أرواحهم فى جوف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب معلقه فى ظل العرش الحديث ٠٠ وفى بعض الآثار فى صور طير وفى بعضها فى أجواف طير كطير خضر قال الله عبد البر وهو اختيار ابن حزم والذي يشبه عندي أن يكون القول قول من قال كطير أو فى صور طير لمطابقته حديث كعب نسمة المؤمن طائر قال المصنف وفى صحيح مسلم فى أجواف طير ولا منافاة بين حديث أنه طائر و بين حديث المقعد بل ترد روحه أنهار الجنة وتأكل من ثمرها و يعرض عليه مقعده إلا انه لا يدخله الا يوم الجزاء بدليل أن منازل الشهداء يومئذ ليست هي التى تأوي اليها أرواحهم فى البرزخ فدخول الجنة التام انما يكون للانسان التام روحاً و بدناً ودخول الروح فقط أمر دون ذلك ٠٠ وقيل هم بفناء الجنة علي بابها يأتيهم من نعيمها ورزقها قاله مجاهد وقد يحتج له بما فى المسند عن ابن عباس مرفوعاً الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فى قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم بكرة وعشية من الجنة ٠٠ وقالت طائفة من الصحابة والتابعين أرواح المؤمنين عند الله لم يزيدوا على ذلك وقريب منه قول حذيفة بن اليمان الأرواح موقوفة عند الرحمن عز وجل ينتظر موعدها حتى ينفخ فيها وهذا تأدب منهم مع لفظ القرآن حيث يقول ﴿ أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ ٠٠ ولا احمد وغيره عن أبى هريرة مرفوعاً إن الميت اذا خرجت نفسه يعرج بها الى السماء حتى ينتهى بها الى السماء التى فيها الله واذا كان الرجل السوء فعرج بها الى السماء فانه لايفتح لها أبواب السماء فترسل من السماء فتصير الى القبر قال محمد بن اسحق

الصنعانى حدثنا يحيي بن أبي بكير حدثنا عبدالرحمن بن أبى ذئب عن محمد عن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبى هريرة فذكره وهذا اسناد لا يسئل عن صحته وقال أبو داود الطيالسى حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن أبى موسى الاشعرى قال تخرج روح المؤمن أطيب من ريح المسك فتنطلق بها الملائكة الذين يتوفونه فتلقاه الملائكة من دون السماء فيقولون هذا فلان بن فلان كان يعمل كيت وكيت لمحاسن عمله فيقولون مرحباً بكم و به فيقبضونها منهم فيصعد به من الباب الذي كان يصعد عمله منه فتشرق فى السموات ولها برهان كبرهان الشمس حتى ينتهى الي العرش وأما الكافر فاذا قبض انطلق بروحه فيقولون ماهذا فيقولون فلان ابن فلان كان يعمل كيت وكيت لمساوي عمله فيقولون لا مرحبا لا مرحبا ردوه فيرد الى أسفل الأرضين الى الثرى وقال الامام مالك بلغنى أن الروح مرسلة فى برزخ من الارض تذهب حيث شاءت وهو قول سلمان الفارسى رضى الله عنه والبرزخ هو الحاجز بين الشيئين فكأنه أراد في أرض بين الدنيا والآخرة وهو قول قوى فانها فارقت الدنيا ولم تلج الآخرة وقال ابن حزم فى طائفة مستقرها حيث كانت قبل خلق أجسادها أى عن يمين آدم وشماله وهذا ما قاله الله ونبيه صلي الله عليه وسلم لا يتعداه قال تعالي ﴿ واذ أخذَ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ﴾ وقال ﴿ ولقد خلقنا كم ثم صورنا كم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ ان الله تعالى خلق الأرواح جملة وكذلك أخبر صلى الله عليه وسلم أن الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وأخذ الله عهدها وشهادتها بالربوبية وهي مخلوقة مصورة عاقلة قبل أن تؤمر الملائكة بالسجود لآدم

وقبل أن يدخلها فى الاجساد والاجساد يومئذ تراب وماء ثم أقرها حيث شاء
وهو البرزخ الذى ترجع اليه عند الموت ثم لايزال يبعث بها الجملة بعد الجملة
فينفخها فى الاجساد المتولدة من المنى الي أن قال فصح ان الارواح أجسام
حاملة لأعراضها من التعارف والتناكر وانها عارفة مميزة فيلوهم الله فى الدنيا
كما يشاء ثم يتوفاها فترجع الى البرزخ الذي رآها فيه رسول الله صلي الله عليه
وسلم ليلة أسرى به الي سماء الدنيا أرواح أهل السعادة عن يمين آدم وأرواح
أهل الشقاوة عن يساره عند منقطع العناصر الماء والهواء والتراب والنار تحت
السماء ولا يدل ذلك على تعادلهم بل هؤلاء عن يمينه في العلو والسعة وهؤلاء
عن يساره فى السفل والسجن وتعجل أرواح الانبياء والشهداء الى الجنة قال
وقد ذكر محمد بن نصر المروزي عن اسحق بن راهويه أنه ذكر هذا الذى
قلنا بعينه وقال على هذا أجمع أهل العلم قال ابن حزم وهو قول جميع أهل الاسلام
وقول الله تعالى ﴿فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب
المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم ثلة من الأولين
وثلة من الآخرين﴾ وقوله ﴿فأما ان كان من المقربين فروح وريحان﴾ الى
آخرها فلا تزال الأرواح هناك حتى يتم عددها بنفخها فى الأجساد ثم برجوعها
الى البرزخ فتقوم الساعة فيعيدها عز وجل الي الأجساد وهى الحياة الثانية
انتهي قال المصنف فلعمر الله لقد قال قولا يؤيده الحديث الصحيح وهو
حديث الاسراء وقوله ان مستقرها حيث كانت قبل خلق أجسادها بناء منه
على مذهب طائفة من السلف والخلف ان الأرواح مخلوقة قبل الأجساد وليس
على ذلك دليل من كتاب ولا سنة ولا إجماع الا ما فهموه من آيات لا تدل
لهم وأحاديث لا تصح والجمهور على خلاف ذلك كما مضى .. وأما مانقله عن

محمد بن نصر فالذى ذكر محمد في كتاب الرد على ابن قتيبة فى تفسير ﴿ وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ﴾ الآثار التى ذكرها السلف من استخراج ذرية آدم من صلبه مثل الذر وقسمهم الى شقي وسعيد وكتب أعمالهم وأرزاقهم وما يصيبهم من خير وشر ثم قال قال اسحق أجمع أهل العلم انهـا الأرواح قبل الأجساد استنطقهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم أن يقولوا إنا كنا عن هذا غافلين أو يقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل ﴾ هذا نص كلامه وهو كما ترى لا يدل على أن مستقرها حيث منقطع العناصر قبل خلق الاجساد ولا بعده وقيل هي على أفنية قبورها وقد ذهب اليه بن عبدالبر وقال هو أصح ما ذهب اليه ألا ترى أن الأحاديث الدالة على ذلك ثابتة متواترة وكذلك أحاديث السلام على القبور يريد بالأحاديث المتواترة مثل حديث ابن عمر فى عرض المقعد وحديث البراء وفيه وهـذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة وحديث أنس وفيه أنه يرى مقعده من الجنة والنار وأنه يفسح للمؤمن فى قبره سبعون ذراعاً ويضيق على الكافر وحديث جابر أن هذه الأمة تبتلي في قبورها فاذا دخل المؤمن قبره وتولى عنه أصحابه أتاه ملك الحديث وفيه أنه يرى مقعده من الجنـة فيقول دعونى أبشر أهلي فيقال له إسكن فهذا مقعدك أبداً وكذا سائر أحاديث عـذاب القبر ونعيمه ومراده بأحاديث السلام أن فيها خطاب المسلم لأهل القبور خطاب العاقل الحاضر كما سيأتى ذلك وهذا القول أن أريد به أن كونهـا على القبور لازم لا تفارق فهذا خطأ يرده الكتاب المحكم والسنن الصحيحة وعرض المقعد لا يدل على أن الروح فى القبر ولا على فنائه بل على أن لها اتصالا به يصحح أن يعرض عليها مقعدها فان للروح شأناً آخر فتكون فى الرفيق الأعلى وهي

متصلة بالبدن بحيث اذا سلم المسلم علي صاحبها رد عليه السلام وهي في مكانها هناك وهذا جبريل عليه السلام رآه النبي صلى الله عليه وسلم وله ستمائة جناح منها جناحان قد سدبهما ما بين المشرق والمغرب وكان يدنوا من النبي صلى الله عليه وسلم حتى يضع ركبتيه على ركبتيه ويديه على فخذيه وقلوب المخلصين تتسع للايمان بأن من الممكن أنه كان يدنوا هذا الدنو وهو في مستقره من السموات وعلى هذا يحمل نزله تعالى الي السماء الدنيا ودنوه عشية عرفة ونحوه فهو منزه عن الحركة والانتقال وانما يأتى الغلط هنا من قياس الغائب على الشاهد فيعتقد أن الروح من جنس مايعهد من الأجسام التى اذا شغلت مكاناً لم يمكن أن تكون فى غيره وهذا غلط محض

قلت ففي الصحيح في حديث بدء الوحي فرفعت رأسي فاذا جبريل صاف قدميه بين السماء والارض يقول أنت يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل قال فجعلت لأصرف بصري الى ناحية الا رأيته كذلك وهذا من أعظم الأصول لمن تدبره والله الموفق .. وقد رأى النبي صلي الله عليه وسلم موسى عليه السلام ليلة الاسراء قائماً يصلي في قبره ورآه فى السماء السادسة أو السابعة فاما أن تكون سرعة الحركة والانتقال كلمح البصر واما أن يكون المتصل بها بالقبر بمنزلة شعاع الشمس يكون فى الأرض وجرمها فى السماء وهذا قول ابن عبد البر بعينه فانه قال أرواح الشهداء فى الجنة وأرواح عامة المؤمنين على أفنية قبورها والمعنى أنها قد تكون على أفنية قبورها لا أنها تلزم ولا تفارق أفنية القبور كما قال مالك بلغنا أن الأرواح تسرح حيث شاءت .. وروي ابن مندة من حديث عيسي بن عبد الرحمن أخبرنا ابن شهاب حدثنا عامر ابن سعد عن اسمعيل بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه قال أردت مالى بالغابة

فأدركني الليل فأويت الى قبر عبد الله بن عمرو بن حرام فسمعت قراءة من القبر ماسمعت أحسن منها فجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ذلك عبد الله ألم تعلم أن الله قبض أرواحهم فجعلها فى قناديل من زبرجد وياقوت ثم علقها وسط الجنة فاذا كان الليل ردت اليهم أرواحهم فلا تزال كذلك حتى اذا طلع الفجر ردت أرواحهم الي مكانها التى كانت فيه .. وقد ثبت أن روح النائم تصعد حتى تخترق السبع الطباق وتسجد لله ثم ترد الى جسده في أيسر زمان

قلت قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام أجرى الله العادة أنها اذا كانت في الجسد كان الانسان مستيقظاً فاذا خرجت من الجسد نام الانسان ورأت تلك الروح المنامات اذا فارقت الجسد فاذا رأتها فى السموات صحت الرؤيا اذ لا سبيل للشيطان الى السموات وان رأتها دون السماء كانت من إلقاء الشياطين وتحزينهم فان رجعت الى الجسد استيقظ الانسان كما كان والله أعلم .. وقال عكرمة ومجاهد اذا نام الانسان فان له سبباً تجرى فيه الروح وأصله فى الجسد فيبلغ حيث شاء الله فما دام ذاهباً فالانسان نائم فاذا رجع الي البدن انتبه الانسان وكان بمنزلة شعاع الشمس هو ساقط بالأرض وأصله متصل بالشمس وذكر ابن مندة عن بعض العلماء أن الروح تمتد من منخره وأصله فى بدنه فلو خرج بالكلية لمات كما أن السراج لو فرق بينه وبين الفتيلة لطفئت ألا ترى أن مركب النار فى الفتيلة وضوءها يملأ البيت فالروح تمتد من منخر الانسان فى منامه حتى تأتى السماء وتجول البلدان فاذا اراه الملك الموكل بأرواح العباد ماأحب وكان الرأى عاقلا ذكيا صدوقا لا يلتفت فى يقظته الى شيء من الباطل رجع اليه روحه فأدى الي قلبه الصدق مما أراه

الله واذا كان خفيفاً ورجعت اليه روحه فحيث ما رأى شيئاً من مخاريق الشيطان وأباطيله وقفت روحه عليه فلا تؤدى الى قلبه ولا يعقل مارأى لانه نخلط الحق بالباطل وهذا من أحسن الكلام وأنت ترى الرجل يسمع الذكر والحكمة ثم يمر بباطل ولهو فيصغي اليه ويفتح له قلبه حتى يتأدى اليه فيتخبط عليه ذلك الذى كان حفظه وأما بعد المفارقة فتعذب الروح بتلك الاعتقادات والشبه الباطلة التى كانت حفظتها حال اتصالها بالبدن مضافا الى عذاب آخر ينشئه الله تعالى لها من الأعمال التى اشتركت معه فيها وهي العيشة الضنك حتى لربما كانت فى حفرة من حفر النار والروح الزكيـة العلوية تنعم بتلك الاعتقادات الصحيحة والمعارف التي تلقتها من مشكاة النبوة و بتلك الارادات والهمم السنية وينشئ الله لها من أعمالها نعيما آخر فيصير لها روضة من رياض والجنة .. وما ذكر من شأن الروح يختلف بحسب حال الارواح من القوة الضعف والكبر والصغر فللروح العظيمة الكبيرة من ذلك ما ليس لمن هو دونها وأنت ترى أحكام الارواح فى الدنيا كيف تتفاوت أعظم تفاوت بحسب حال الارواح فى كيفياتها وقواها وإبطائها وإسراعها وللروح المطلقة من أسر البدن وعوائقه من التصرف والقوة ماليس للمحبوسة فى علائقه .. وقال جماعة من الصحابه والتابعين منهم عبد الله بن عمرو بن العاص ولعله مما تلقاه من أهل الكتاب أن إرواح المؤمنين بالجابيـة وأرواح الكفار ببرهوت بئر بحضرموت نقله ابن مندة فلا التفات الى قول ابن حزم انه انما هو قول الرافضة وروى ابن مندة عن على رضى الله عنه قال خير بئر فى الارض زمزم وشر بئر فى الارض برهوت بئر فى حضرموت وخير واد فى الارض وادي مكة والوادي الذي أهبط فيه آدم بالهند وشر واد في الارض الاحقاف

وهو فى حضرموت ترده أرواح الكفار ومن وجه آخر أنه قال أبغض بقعة فى الارض وادى بحضرموت يقال له برهوت فيه أرواح الكفار وفيه بئر ماؤها اسود كانه قيح ترده الهوام ثم ساق عن اسمعيل بن اسحق القاضي أخبرنا على بن عبد الله أخبرنا سفيان حدثنا أبان بن ثعلب قال قال رجل بت ليلة بوادى برهوت فكانما حشرت فيه أصوات الناس وهم يقولون يادومة يا دومة وحدثنا رجال من أهل الكتاب أن دومة هو الملك الذي على أرواح الكفار قال سفين سألنا الحضرميين فقالوا لا يستطيع أحد أن يبيت فيه بالليل ٠٠ وقال كعب أرواح المؤمنين فى عليين فى السماء السابعة وأرواح الكفار فى سجين فى الارض السابعة تحت حذاء ابليس وهو قول جماعة من السلف والخلف ويدل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم عند موته اللهم الرفيق الاعلى وفى حديث أبي هريرة الماضى قريباً إن الميت اذا خرجت روحه عرج بها الى السماء حتى تنتهى الي السماء السابعة وقال أبو موسى تصعد حتى تنتهي الي العرش الى غير ذلك من الاحاديث الماضية ولكن هذا لا يدل على استقرارها هناك لكن تصعد ليكتب كتابها فى عليين أو سجين ثم ترد الى القبر وقيل أرواح المؤمنين ببئر زمزم وأرواح الكفار ببئر برهوت وهذا من أفسد الاقوال ولا دليل عليه بل هو مخالف لصريح السنة الصحيحة أن نسمة المؤمن في طائر يعلق فى شجر الجنة ونحوه من الاحاديث وثم أقوال أخر طرحتها لوهائها ولا يحكم على قول من هذه الاقوال بعينه بالصحة وعلي غيره بالبطلان بل الصحيح أن الارواح متفاوتة فى مستقرها فى البرزخ أعظم تفاوت ولا تعارض بين الادلة فان كلا منها وارد على فريق من الناس بحسب درجاتهم فى السعادة أو الشقاوة ٠٠ فمنها أرواح فى أعلى عليين فى الملا الاعلي وهم الانبياء وهم

متفاوتون فى منازلهم كما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء .. ومنها أرواح فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنـة حيث شاءت وهي أرواح بعض الشهداء لاجميعهم فان منهم من يحبس عن دخول الجنة لدين أو غيره كما فى المسند عن محمد بن عبد الله بن جحش أن رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله مالى ان قتلت فى سبيل الله قال الجنة فلما ولى قال الا الدين سارنى به جبريل آنفاً .. ومنهم من يكون على باب الجنة كما في حديث ابن عباس الماضى الشهداء على بارق نهر بباب الجنة .. ومنهم من يكون محبوساً فى قبره كحديث صاحب الشملة انها لتشتعل عليـه ناراً فى قبره .. ومنهم من يكون محبوساً فى الارض لم تعل روحه الى الملا الأعلى فانها كانت روحاً سفلية أرضية فان الانفس الأرضية لاتجامع الانفس السماوية كما أنها لاتجامعها فى الدنيا فالروح بعد المفارقة تلحق باشكالها وأصحاب عملها فالمرء مع من أحب .. ومنهـا أرواح تكون في تنور الزناة وأرواح فى نهر الدم فليس للأرواح سعيدها وشقيها مستقر واحد وكلها على اختلاف محالهـا وتباين مقارها لها اتصال بأجسادها فى قبورها ليحصل له من النعيم أوالعذاب ما كتب له .. واذا أمعنت النظر فى السنن والآثار عرفت حجج ذلك وأنه لا تعارض بينها لـكن الشأن فى فهمها ومعرفة النفس وأحكامها وان لها شأناً غير شأن البدن وانها مع كونها فى الجنة هي فى السماء وتتصل بفناء القبر و بالبدن فيه وهى أسرع شئ انتقالا وانها تنقسم الى مرسلة ومحبوسة وعلوية وسفلية ولها بعد المفارقة صحة ومرض ولذة وألم وما أشبه حالها في هذا البدن بحال البدن فى بطن أمه وحالها بعد المفارقة بحاله بعد خروجه من البطن الى هذه الدار .. وللنفس أربعة دور كل دار أعظم من التى قبلهـا .. الأولى بطن

الام وذلك الحصر والضيق والغم والظلمات الثلاث .. الثانية هذه الدار التى نشأت فيها وألفتها واكتسبت فيها الخير والشر .. الثالثة دار البرزخ وهى أوسع من هذه الدار وأعظم ونسبة هذه الدار اليها كنسبة الدار الأولى الى هذه .. الرابعة الدار التى لا دار بعدها دار القرار الجنة أو النار والله تعالى ينقلها فى هذه الدور طبقاً بعد طبق حتى يبلغها الدار التي لا يصلح لها غيرها وهي التى خلقت لها وهيئت للعمل الموصل اليها ولها في كل دار من هذه الدور حكم وشأن غير شأن الاخرى

قلت اذا تقدر ذلك وصح لك اعتقاده علمت أن الزيارة لا تختص بوقت دون وقت ويوم دون يوم وليس فى الاحاديث ما يعينها كما فى جميع أحاديث السلام على أهل القبور في المسئلة بعدها .. وأخرج مسلم وأبوداود والترمذي وابن حبان والحاكم عن بريدة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكر الآخرة .. وأخرجه ابن ماجة عن ابن مسعود ولفظه كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تزهد فى الدنيا وتذكر الآخرة ورواه الحاكم عن أنس ولفظه كنت نهيتكم عن القبور ثم بدا لى أنه يرق القلب ويدمع العين ويذكر الاخرة فزوروها ولا تقولوا هجراً .. ولمسلم وأبي دواد والنسائى وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكي وأبكي من حوله فقال استأذنت فى أن أستغفر لها فلم يؤذن لى واستأذنته فى أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فانها تذكر الموت . ولأحمد عن عائشة رضى الله عنها قالت كنت أدخل البيت فأضع ثوبي وأقول انما هو أبي وزوجي فلما دفن عمر معهم ما دخلته إلا وأنا مشدودة على ثيابي حياء من عمر . ولأحمد

عن عمرو بن حزم رضي الله عنه قال رآني النبي صلى الله عليه وسلم
متكئاً على قبر فقال لا تؤذ صاحب هذا القبر وسيأتي في الباب الذي
يليه حديث عائشة مرفوعاً ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده الا
استأنس به ورد عليه وكذا حديث أبي هريرة ٠٠ وروى محمد بن الحسن
ابن زَبالة فى تاريخ المدينة الشريفة عن القطان ابن خالد وحاتم بن اسمعيل
عن عبد الأعلي بن عبد الله عن قطن بن وهب عن عبيد بن عمير أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انكشف عنه المشركون يوم اُحد وعن
أصحابه وقف على مصعب بن عمير أخي بنى عبد الدار فقال من المؤمنين
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الى تبديلا اللهم ان عبدك ونبيك يشهد أن
هؤلاء شهداء قال فنظر الينا وقال إئتوهم وسلموا عليهم فانه لن يسلم أحد
ما دامت السموات والأرض الا ردوا عليه وأخرجه الطبراني فى الاوسط
عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ولفظه مر رسول الله صلى الله عليه وسلم
على مصعب بن عمير رضى الله عنه حين رجع من اُحد فوقف عليه وعلى
أصحابه فقال أشهد انكم أحياء عند الله فزوروهم وسلموا عليهم فوالذي نفس
محمد بيده لا يسلم عليهم أحد الا ردوا الى يوم القيامة ونقل ابن الحاج فى
منسكه عن أبى اسحق بن سعيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يأتيهم فى كل عام برفع صوته يقول سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبي الدار
وفعل ذلك الخلفاء الثلاثة بعده ونقل ابن رزين وتبعه ابن النجار عن جعفر
بن محمد عن أبيه ان فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تزور
قبور الشهداء بين اليومين والثلاثة ٠ وقد نقل ابن النجار عن بعض العابدات
ركبت يوماً حتى جئت حمزة فصليت ما شاء الله ولا والله ما فى الوادى داع

ولا مجيب وغلامي آخذ برأس دابتي فلما فرغت من صلاتي قمت فقلت
السلام عليكم وأشرت بيدي فسمعت رد السلام من تحت الارض فاقشعر
كل شعرة مني فدعوت الغلام وركبت انتهى فهذه الاحاديث والآثار
تدل على ان الزائر متى جاء علم به المزور وسمع سلامه ورد عليه وأنس به
وهذا عام في حق الشهداء وغيرهم وانه لا توقيت في الزيارة لاسيما حديث
عائشة في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم كان يخرج كلما كان ليلتها الى
البقيع فيسلم عليهم لانه لاينتظم أن يكون ذلك في يوم واحد أصلا لأنها اما
أن تكون ثامنة بعد ماوهبتها سودة يومها أو تاسعة أو غير ذلك فيما قبل فيأتي
دورها في ليالي متفرقة والله أعلم لكن نقل المصنف عن ابن أبي الدنيا حدثنا
محمد بن الحسين حدثني بكر بن محمد حدثنا حسن القصاب قال كنت أغدو
مع محمد بن واسع في غداة كل سبت حتى نأتي الجبان فيقف على القبور
فيسلم عليهم ويدعوا لهم ثم ينصرف فقلت ذات يوم لو صيرت هذا اليوم يوم
الاثنين قال بلغني ان الموتي يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويومين قبلها ويوماً
بعدها .. حدثني محمد حدثنا عبد العزيز بن أبان حدثنا سفيان الثوري قال
بلغني عن الضحاك انه قال من زار قبراً يوم السبت قبل طلوع الشمس علم
الميت بزيارته فقيل له وكيف ذلك قال لمكان يوم الجمعة .. حدثنا محمد بن
الحسين حدثني يحيي بن بسطام الاصهر حدثني مسمع بن عاصم حدثني رجل
من آل عاصم الجحدري قال رأيت عاصماً الجحدري في منامي بعد موته
بسنتين فقلت أليس قدمت قال بلى قلت فأين أنت قال أنا والله في روضة
من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى بكر
ابن عبد الله المزني فنتلقي أخباركم قلت أجسامكم أم أرواحكم قال هيهات

بليت الاجسام وانما تتلاقي الارواح قلت فهل تعلمون بزيارتنا لكم قال نعم نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله وليلة السبت الى طلوع الشمس قلت فكيف ذلك دون الايام كلها قال لفضل يوم الجمعة وعظمته

قلت فهذان الأثران وهذا المنام قد وقتا كما ترى وكذا مارأيته فى منسكي شيخ الاسلام محيي الدين النووي وقاضي القضاة بدر الدين محمد بن ابراهيم ابن جماعة من ان شهداء أحد يزارون يوم الخميس وما دلت عليه الاحاديث الصحاح من الاطلاق أولى بالاتباع على ان من زار فى شيء من هذه الاوقات المعينة فقد ظفر بالمطلوب يقيناً ولم يخالف الاحاديث وربما أفهم التوقيت ما رواه البيهقي في الشعب عن محمد بن النعمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من زار قبر أبويه أو أحدهما فى كل جمعة غفر له وكتب براً وهو مرسل وقد أوصله الطبرانى فى الاوسط فقال حدثنا أبو شبل يعنى محمد بن محمد بن النعمان بن شبل حدثنى أبي حدثنى محمد بن النعمان بن عبد الرحمن عم أبي عن يحيي بن العلاء الرازي عن عبد الكريم أبي أمية عن مجاهد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زار قبر أبويه أو أحدهما فى كل جمعة غفر له وكتب براً لا يروى هذا الحديث عن رسول الله صلي الله عليه وسلم الا بهذا الاسناد وأخرج أبو عثمان الصابونى في المائتين عن أبي ذر قال أتيت النبي صلي الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد فجلست اليه فقال ياأبا ذر احفظ ثلاثاً ينفعك الله بها جاور أهل القبور تذكرك الآخرة وزرها أحياناً واياك وزيارتها ليلاً واغسل الموتى فان معالجة جسد خال من الروح عظة لك وشيع الجنائز لعل ذاك يحرك قلبك ويحزنك وسلم على من لقيت من أمتى بعد أن يكون مسلماً وهذا الحديث غير معتد به لان فى سنده ثلاثة

من الكذابين فى نسق محمد بن زكريا الغلابى عن العباس بن بكار عن عبد القدوس بن حبيب وعلى تقدير الاعتداد به فالنهي لمكان الوحشة والروع كما في النهى عن مبيت الانسان وحده ونحو ذلك لا لأن الأموات فى ذلك الوقت لا يدركون الزيارة والله أعلم

المسئلة السادسة

فى أن الارواح هل لها ادراك بعد الموت أم لا وفيه ثلاثة أمور .. الاول هل تدرك الاموات زيارة الأحياء وسلامهم عليهم أولا .. تواترت الآثار عن السلف بان الميت يعرف بزيارة الحي له ويستبشر به .. وقال ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور حدثنا محمد بن عون حدثنا يحيي بن يمان عن عبد الله بن سمعان عن زيد بن أسلم عن عائشة رضى الله عنها مرفوعاً مامن رجل يزور قبر أخيه الا استأنس به ورد عليه حتى يقوم

قلت وقال الاستاذ أبو عثمان الصابوني فى كتاب المائتين أخبرنا الامام أبو الطيب يعنى سهل بن محمد بن سليمان أخبرنا أبو العباس المعقلى يعنى محمد ابن يعقوب الأصم أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا بشر بن بكر أخبرنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال مامن عبد يمر بقبر رجل كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه الا عرفه ورد عليه السلام هذا حديث غريب من حديث زيد بن أسلم لم يروه عنه غير ابنه عبد الرحمن

قلت ورواته كلهم ثقات الا هو فضعيف والله أعلم ٠٠ وفي مسلم عن عبد الرحمن بن شماسة المهرى قال حضرنا عمرو بن العاصي وهو في سياقة الموت حتى قال قال عمرو فاذا دفنتموني فسنوا عليَّ التراب سناً ثم أقيموا حول قبرى قدر ما ينحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربى يعنى وكان الصحابة متوافرين وأكابر الاتباع ولم ينكر ذلك أحد والله أعلم ٠٠ وشرع صلى الله عليه وسلم لأمته اذا سلموا على أهل القبور أن يسلموا سلام من يخاطبونه ممن يسمع ويعقل ٠ ففى صحيح مسلم وسنن النسائى وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم خرج الى المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا ان شاء الله بكم لاحقون ٠٠ وفى الصحيح أيضاً عن بريدة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمهم اذا خرجوا الى المقابر السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء الله بكم لاحقون أنتم لنا فرط ونحن لكم تبع أسأل الله لنا ولكم العافية عزاه شيخنا فى تخريج المصابيح الى مسلم عن أبى هريرة ورأيته فى النسائى وابن ماجه عن بريدة ولم أره فى مسلم ٠٠ وفيه عن عائشة رضى الله عنه قالت قلت كيف أقول لهم يارسول الله قال قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وانا ان شاء الله بكم لاحقون ٠٠ وفيه وفى النسائى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج كلما كانت ليلتها الى البقيع فيقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون ٠٠ وفى الترمذي وقال حسن غريب عن ابن عباس رضى الله عنهما قال مر النبى صلى الله عليه وسلم بقبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله

لكم أنتم سلفنا ونحن بالأثر . . وقال ابن عبد البر ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أي من حديث ابن عباس انه قال ما من مسلم يمر بقبر أخ كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه الا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام . . وفي الصحيحين من وجوه متعددة انه أمر بقتلى بدر فألقوا فى قليب ثم جاء حتى وقف عليهم وناداهم بأسمائهم يافلان بن فلان ويافلان ابن فلان هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فانى وجدت ما وعدنى ربى حقاً فقال له عمر يا رسول الله ما تخاطب من أقوام قد جيفوا فقال والذى بعثنى بالحق ماأنتم بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يستطيعون جواباً وأما قوله تعالى (وما أنت بمسمع من فى القبور) فسياق الآية يدل على أن الكافر ميت القلب لا يقدر على اسماعه اسماعاً ينتفع به أي اجابته كما ان من فى القبر لا يقدر على اسماعه اسماعاً يجيب عنه وكذا انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين أي كما انك لا تسمع الموتي اسماعاً يستجيبون له فكذلك الصم اذا أدبروا فانضم اذا صممهم الى عدم ابصارهم بأدبارهم لم يقدر أن يسمعهم اسماعاً يستجيبون له فحال هؤلاء الكفار في عدم الاستجابة كحالهم فان قلوبهم ميتة وصم عن الحق ولم ينف عنهم السماع بالكلية يوضحه قوله عقبه ان أنت الا نذير كيف وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم ان الميت يسمع قرع نعال المشيعين له اذا انصرفوا يعنى من حديث أنس فى الصحيحين

قلت وروى البغوى في تفسير قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) من طريق الحافظ بن أحمد بن عدى باسناد جيد عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الميت ليسمع حس النعال اذا ولى عنه الناس مدبرين ثم يجلس ويوضع كفنه في عنقه ثم يسأل انتهى . . وذكر عن

جماعة من السلف انهم أوصوا أن يقرأ عند قبورهم وقت الدفن .. قال عبد الحق يروى أن ابن عمر أمر أن يقرأ عند قبره سورة البقرة وكان الامام أحمد ينكر ذلك أولا حيث لم يبلغه فيه أثر ثم رجع قال الجلال في الجامع باب القراءة عند القبر .. أخبرنا العباس بن محمد الدورى أخبرنا يحيي بن معين أخبرنا مبشر الحلبي أخبرنا عبد الرحمن بن العلاء اللجلاج عن أبيه قال قال لى اذا أنا مت فضعني في اللحد وقل بسم الله وعلى سنة رسول الله وسن عليّ التراب سناً واقرأ عند رأسي بفاتحة البقرة وخاتمتها فانى سمعت عبد الله بن عمر يقول ذلك . وأخبرنى الحسن بن أحمد الوراق حدثنى عليّ بن موسى الحداد وكان صدوقاً قال كنت مع أحمد بن حنبل ومحمد بن قدامة الجوهرى في جنازة فلما دفن الميت جلس رجل ضريراً يقرأ عند القبر فقال له أحمد ياهذا ان القراءة عند القبر بدعة فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لأحمد يا أبا عبد الله ماتقول في مبشر الحلبي قال ثقة قال كتبت عنه شيئاً قال نعم قال فأخبرنى مبشر عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه انه أوصى اذا دفن أن يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وخاتمتها وقال سمعت بن عمر يوصى بذلك فقال له أحمد فارجع وقل للرجل يقرأ .. وقال الحسن بن الصباح الزعفرانى سألت الشافعي عن القراءة عند القبر فقال لا بأس به .. وذكر الخلال عن الشعبي قال كانت الأنصار اذا مات لهم الميت اختلفوا الى قبره يقرأون له القرآن ويدل عليه عمل الناس قديماً والى الآن من تلقين الميت وسئل عنه الامام احمد فاستحسنه واحتج عليه بالعمل ويروى فيه حديث ضعيف ذكره الطبرانى فى معجمه عن أبى أمامة مرفوعاً اذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول يافلان

ابن فلان فانه يسمعه ولا يجيب ثم ليقل يافلان بن فلانة الثانية فانه يستوى
قاعداً ثم ليقل يا فلان بن فلانة فانه يقول أرشدنا يرحمك الله ولكنكم
لا تسمعون فيقول أذكر ماخرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله الا الله وأن
محمداً رسول الله وانك رضيت بالله رباً وبالاسلام ديناً وبالقرآن اماماً فان منكراً
ونكيراً يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول انطلق بنا ما يقعدنا عندهذ
وقد لقن حجته ويكون الله حجيجه دونهما فقال رجل يارسول الله فان لم يعرف
أمه قال ينسبه الى أمه حواء . فهذا الحديث وان لم يثبت فاتصال العمل به في
سائر الامصار والاعصار من غير انكار كاف في العمل به

قلت وقال شيخنا في تخريج أحاديث الرافعي اسناده صالح وقد قواه الضيا
في أحكامه وأخرجه عبدالعزيز في الشافي والراوي عن أبي أمامة سعيد الازدي
بيض له ابن أبي حاتم لكن له شواهد منها مارواه سعيد بن منصور من طريق
راشد بن سعد وضمرة بن حبيب وغيرهما قالوا اذا سوي علي الميت قبره
وانصرف الناس عنه كانوا يستحبون أن يقال للميت عند قبره قل لا اله ا
الله قل أشهد أن لا إله الا الله ثلاث مرات قل ربي الله ديني الاسلام ونبي
محمد والله أعلم .. الأمر الثاني هل تلاقى أرواح الموتى أرواح الاحياء أو
اعلم أن شواهد هذه المسئلة وأدلتها أكثر من أن يحصيها الا الله تعالى والحس
الواقع من أعدل الشهود بها فتلتقي أرواح الاحياء والاموات كما تلاقى أروا
الاحياء . وقد قال الله تعالى ﴿ الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت
منامها فيمسك التى قضا عليها الموت ويرسل الاخري الى أجل مسمى
في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ قال أبو عبد الله بن منده حدثنا أحمد
محمد بن أبي حاتم أخبرنا عبد الله بن الحسين الحرانى حدثني جدي احمد

أبي شعيب أخبرنا موسى بن أعين عن مطرف عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى هذه الآية قال بلغني أن أرواح الاحياء والاموات تلتقي فى المنام فيتساءلون بينهم فيمسك الله أرواح الموتي ويرسل أرواح الاحياء الى أجسادها

قلت وقال الطبرانى فى الأوسط حدثنا احمد بن يحيى بن خالد بن حيان الرقي أخبرنا عمرو بن خالد بن حيان أخبرنا موسى بن أعين فذكره بمعناه وقال لم يروه عن مطرف الا موسى انتهى ٠٠ وقال ابن أبي حاتم فى تفسيره حدثنا عبد الله بن سليمان أخبرنا الحسين أخبرنا عامر أخبرنا اسباط عن السدى فى قوله تعالي ﴿ والتى لم تمت فى منامها ﴾ قال يتوفاها فى منامها فتلتقي روح الحي وروح الميت فيتذاكران ويتفارقان فترجع روح الحي الى جسده فى الدنيا الى بقية أجلها وتريد روح الميت أن ترجع الى جسده فتحبس وهذا أرجح القولين فى تفسير الآية وقد تقدم فى المسئلة الثانية والخامسة أشياء مما يتصل بهذا ٠٠ ومن الدليل على تلاقى أرواحهم أن الحى يرى الميت فى منامه فيخبره الميت بما لا يعلمه الحي فيصادف وربما أخبره بمال دفنه الميت لم يعلم به سواه فيجده كما قال وأبلغ من هذا أن يقول له انك تأتينا لكذا وكذا فلا يتعداه فقد صح عن حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب أن الصعب ابن جثامة وعوف بن مالك كانا متواخيين فقال صعب لعوف أى أخي أينا مات قبل صاحبه فليتزايا له قال أو يكون ذلك قال نعم فمات صعب فرآه عوف فيما يرى النائم قال قلت أى أخي قال نعم قلت ما فعل بكم قال غفر لنا بعد المشاق قال ورأيت لمعة سوداء فى عنقه قلت أخي ما هذه قال عشرة دنانير استلفتها من فلان اليهودي فهن فى قرنى فاعطوه اياها واعلم أي أخي أنه لم

يحدث في أهلي حدث بعد موتي الا قد لحق بي خبره حتى هرة لنا ماتت منذ أيام
واعلم أن بنتي تموت الى ستة أيام فاستوصوا بها معروفا فلما أصبحت قلت ان
في هذا لعبرة فأتيت أهله فقالوا مرحباً بعوف أهكذا تصنعون بتركة اخوانكم
لم تقربنا منذ مات صعب فاعتللت بما يعتل به الناس فنظرت الى القرن يعني
بالقاف محركا وهو جعبة النشاب فأنزلته فانتثلت مافيه فوجدت الصرة التي
فيها الدنانير فبعثت الى اليهودي فقلت هل كان لك على صعب شئ قال رحم
الله صعباً كان من خيار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هي له قلت
لتخبرني قال نعم استلفته عشرة دنانير فنبذتها اليه فقال هي والله بأعيانها قلت
هذه واحدة فقلت هل حدث فيكم حدث بعد موت صعب قالوا نعم حدث
فينا كذا حدث فينا كذا قال قلت أذكروا قالوا نعم هرة ماتت منذ أيام
فقلت هاتان اثنتان قلت أين ابنة أخي قالوا تلعب فأتيت بها فمسستها فاذا هي
محمومة فقلت استوصوا بها معروفاً فماتت لستة أيام وقال أبو عمر أخبرنا عبد
الوارث بن سفيان أخبرنا قاسم بن أصبغ أخبرنا أبو الزنباع روح بن الفرج
أخبرنا سعيد بن عفير وعبد العزيز بن يحيي المدني أخبرنا مالك بن أنس عن
ابن شهاب عن اسمعيل بن محمد بن ثابت الانصاري عن ثابت بن قيس بن
شماس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أما ترضى أن تعيش حميداً
وتقتل شهيداً وتدخل الجنة قال مالك فقتل ثابت بن قيس يوم اليمامة شهيداً
قال أبو عمر وروى هشام بن عمار بن صدقة بن خالد أخبرنا عبد الرحمن بن
يزيد بن جابر حدثني عطاء الخراساني حدثتني ابنة ثابت بن قيس بن
شماس قالت لما نزلت ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت
النبي ﴾ دخل أبوها بيته وأغلق عليه بابه وطفق يبكي ففقده النبي صلى الله عليه

وسلم فأرسل اليه فأخبره فقال يارسول الله اني أحب الجمال وأحب أن أسود قومي قال لست منهم تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة فلما كان يوم اليمامة خرج مع خالد بن الوليد الي مسيلمة فلما التقوا انكشفوا فقال ثابت وسالم مولى أبي حذيفة ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حفر كل واحد له حفرة فثبتا وقاتلا حتى قتلا وعلى ثابت يومئذ درع له نفيسة فمرّ به رجل من المسلمين فأخذها فبينا رجل من المسلمين نائم اذ أتاه ثابت في منامه فقال أوصيك بوصية فاياك أن تقول هذا حلم فتضيعه إني لما قتلت أمس مرّ بي رجل من المسلمين فأخذ درعي ومنزله في أقصى الناس وعند خبائه فرس يستن في طوله وقد كفأ على الدرع برمة وفوق البرمة رحل فائت خالدا فمره أن يبعث الى درعي فيأخذها واذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني أبا بكر الصديق فقل له ان عليّ من الدين كذا وفلان من رقيقي عتيق وفلان فأتى الرجل خالداً فأخبره فبعث الى الدرع فأتى بها وحدث أبابكر برؤياه فأجاز وصيته قال ولا نعلم أحداً أجيزت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس أنتهي فقد اتفق خالد وأبو بكر الصديق وجميع الصحابة على العمل بهذه الرؤيا لعلمهم بصحتها بما حفها من القرائن وهكذا رؤيا عوف بل قرائنهما أقوى من وجوه الآجر ومعاقد القمط في دعوى الجدار ونحو ذلك وقال عبد الرحمن بن غنم رأيت معاذ بن جبل بعد وفاته بثلاث على فرس أبلق وخلفه رجال بيض عليهم ثياب خضر على خيل بلق وهوقدامهم وهو يقول ياليت قومي يعلمون بما غفرلى ربى وجعلنى من المكرمين ثم التفت عن يمينه يقول ياابن رواحة ياابن مظعون ﴿ الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين ﴾ ثم

صافحنى وسلم عليّ وذكر مسعدة عن هشام بن حسان بن واصل مولى ابن عيينة عن موسي بن عبيدة عن صفية بنت شيبة قالت كنت عند عائشة رضى الله عنها فأتتها امرأة مشتملة على يدها فجعل النساء يولعن بها فقالت ماأتيتك إلا من أجل يدى ان أبى كان رجلا سمحاً وانى رأيت فى المنام حياضاً عليها رجال معهم آنية يسقون من أتاهم فرأيت أبي فقلت أين أمي قال انظري فنظرت فاذا أمى ليس عليها الا قطعة خرقة فقال انها لم تتصدق قط الابتلك الخرقة وشحمة من بقرة ذبحوها فتلك الشحمة تذاب وتطرف بها وهي تقول واعطشاه قالت فأخذت أنا من تلك الآنية فسقيتها واذا بقائل يقول أيبس الله يد من سقاها فأصبحت يدى كما ترين

قلت ومن الأصول الكبيرة الواضحة المنيرة في هذا الباب ما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رآني في المنام فقدرآنى فان الشيطان لايتمثل بصورتى .. وفى رواية من رآنى فى المنام فسيرانى في اليقظة أولكأنما رآنى في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بى .. ولهما عن أبى قتادة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من رآنى فقدرأى الحق .. ولمسلم عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال من رآنى في النوم فقدرآنى فانه لاينبغى للشيطان أن يتمثل في صورتى .. والطبرانى فى الاوسط عن أبى سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رآنى في منامه فقد رآنى فان الشيطان لايتمثل بى ولا بالكعبة .. والمرائى في ذلك أكثر من أن تحصى .. ومن أعظمها ماحكاه القاضى زين الدين أبو بكر بن الحسين المراغي في تاريخ المدينة عن الحافظ عفيف الدين عبد الله بن أبى جعفر جمال الدين محمد المطري فى رؤيا الملك

العادل نور الدين محمود بن زنكي الشهيد فى سنة سبع وخمسين وخمسمائة قال أخبرنى يعقوب بن أبى بكر المحترق عن جماعة من أكابر الحرم بسبب رؤياه النبي صلى الله عليه وسلم في منامه ثلاث مرات فى ليلة واحدة يقول له فى كل مرة يا محمود أنقذني من هذين الشخصين الأشقرين تجاهه فاستحضر وزيره الموفق خالد بن محمد بن نصر القيسراني الشاعر قبل الصبح وذكر له ذلك وكان موفقا فقال هذا أمر حدث بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم ليس له غيرك فتجهز على عجل فى نحو ألف راحلة وما يتبعها من خيل وغيرها فدخل المدينة على حين غفلة من أهلها وزار وجلس فى المسجد فقال له الوزير أتعرف الشخصين اذا رأيتهما قال نعم فطلب الناس عامة للصدقة وفرق ذهبا كثيراً وفضة وقال لا يبقين أحد فتأخر رجلان مجاوران من أهل الاندلس نازلان فى قبلة حجرة النبي صلى الله عليه وسلم من خارج المسجد عند دار آل عمرو المعروفة اليوم بدار العشرة فطلبهما فامتنعا وأظهرا كفاية فجد في طلبهما حتى جيء بهما فلما رآهما قال للوزير هما هذان فسألهما عن حالهما وما جاء بهما فقالا لمجاورة النبي صلى الله عليه وسلم قال أصدقانى وتكرر السوآل حتى أفضى الى معاقبتهما فاقرا أنهما من النصارى ووجدهما قد حفرا نقباً تحت الارض من تحت حائط المسجد القبلي الي جهة الحجرة الشريفة باتفاق من ملوكها وسولت لهم أنفسهم ما سولت من التعرض لنقل يأباه الله وكانا يحملان التراب فى بئر عندهما فى البيت فضرب أعناقهما عند الشباك الشرقي للحجرة المقدسة خارج المسجد ثم أحرقا بالنار .. وكان نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم القارى اذا تكلم يشم من فيه رائحة المسك فقيل له كلما قعدت تتطيب فقال ما أمس طيباً ولا أقربه ولكن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وهو يقرأ فى

في فمن ذلك الوقت يشم من فىّ هذه الرائحة

قلت ومن أغرب ما شاهدته أنا أنه كان فى رأسى وأنا صبي قروح تسيل منها مدة ثم تجمد على رأسى حتى تستر الشعر ويكون بها دود فرأت مريم ابنة خالى محمد بن عليّ السلبعي البقاعى النبي صلي الله عليه وسلم فى منامها فقال لها تمنى عليّ فقالت ابن عمتي فى رأسه حب فقال خذى له هذا الدواء وأعطاها فى يدها شيئاً فأصبحت لا تقدر أن ترفع يدها التى أعطاها فيها الدواء الى رأسها نحو عشرة أيام ثم أتى الى قريتنا شيخ عليه آثار الخير فداوى رأسى بغير أجر فبرأ ولله الحمد حتي كأن لم يكن به شيء وصار من أغزر الرؤس شعراً وأطيبها ريحاً وقد أوسع المصنف فى ذكر المرائي فذكر فى هذه المسئلة وحدها نيفاً وأربعين رؤيا قال فى أواخر الكتاب وحدثنى القاضى نورالدين بن الصائغ قال كانت لى خالة وكانت من الصالحات العابدات عدتها فى مرض موتها فقالت لى الروح اذا قدمت على الله ووقفت بين يديه ما تكون تحيتها وقولها له فعظمت على مسألتها وفكرت فيها ثم قلت تقول اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام فلما توفيت رأيتها فى المنام فقالت لى جزاك الله خيراً لقد دهشت فما أدرى ما أقوله ثم ذكرت تلك الكلمة التى قلتها لى فقلتها ثم قال معناه والحكايات فى هذا الباب كثيرة وهذا باب طويل جداً والاعتماد فى حقية جميعه على ما يقع فيه الإخبار بالأشياء المغيبة فتبين حتماً كما وقع به الخبر سواء بسواء .. ويكفي في الرد على من يقول ان المرائي كلها علوم وعقائد فى النفس تظهر لصاحبها عند انقطاع نفسه عن الشواغل البدنية بالنوم ما يترتب علي الرؤيا من الاحوال والآثار من غير علم يتجدد للرائي بتلك الآثار أصلاً لاحال الرؤيا ولا بعدها كان يرى

النبي صلى الله عليه وسلم أو بعض أصحابه أو صالحى أمته في مكان فيرتفع عنه بلاء كان فيه أو تحل فيه بركة لم تكن وربما وقع بلاء فتكون رؤياهم حينئذ تثبيتاً ودلالة على أنه وان كان بلا صورة فهو نعمة فى الحقيقة أو ترى بعض الممقوتين فى مكان فيحل به العذاب ولقد تواترت مرائى الناس مراراً برؤية نصارى معهم حراب فيحصل عقب ذلك طاعون والله أعلم وقال على بن ابن أبي طالب القيروانى العابد كان عندنا وشاهدناه فى عصرنا بمدينتنا أبو محمد عبد الله النفاتسى وكان رجلا صالحاً مشهوراً برؤية الأموات وسؤالهم عن المغيبات ونقله الي أهلهم حتى اشتهر بذلك وكثر منه وكان المرء يأتيه فيشكو اليه أن حميمه قدمات من غير وصية وله مال لايهتدى لمكانه فيعده خيراً ويدعوا الله فى ليلته فيتراءي له ذلك الميت فيسأله عن الأمر فيخبره به فمن نوادره ان امرأة عجوزاً من الصالحات توفيت ولامرأة عندها سبعة دنانير وديعة فجاءت اليه وشكت اليه وأخبرته باسمها واسم الميتة ثم عادت اليه من الغد فقال لها تقول لك عدى من سقف بيتى سبع خشبات تجدى الدنانير في السابعة فى خرقة صوف فوجدتها كذلك قال واخبرنى رجل لا اظن به كذباً قال استأجرتنى امرأة على هدم دار لها فلزمتنى فقلت مالك قالت والله مالى الى هدم هذه الدار من حاجة لكن أبى مات وكان ذا يسار فلم نجد له كبير شئ فخلت ان ماله مدفون فقال بعض من حضر لقد فاتك ماهو اهون عليك فلان تمضين اليه وتسئلينه أن يبيت قضيتك الليلة فذهبت اليه فكتب اسمها واسم أبيها فلما كان من الغد قال ان أباك يقول المال فى الحنية فجعلنا نحفر تحت الحنية وفي جوانبها حتى لاح لنا شق واذا المال فيه فتعجبنا والمرأة تقول مال أبى أكثر من ذلك ولكن أعود اليه فعادت اليه فأخبرها أنه تحت الخابية

المربعة التي في مخزن الزيت فحفرت ذلك فوجدت كوزاً كبيراً ثم عادت اليه فرآه فقال قد أخذت ما قدر لها وما بقي قد جلس عفريت من الجن يحرسه الى من قدر له

قلت ومن أعظم الادلة على اجتماع الارواح وأغرب ماسمعت في زماننا ما حدثني غير واحد منهم سنقر بن عبد الله الجانبكي من أبناء الامير جانبك قرأ من طبقة القصر يوم الخميس مستهل شهر ربيع الأول من سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة أنه كان من أهل طبقتهم صبي يسمي على باى الابراهيمي سنه نحو عشر سنين أو فوقها بيسير وكان انما جلب الي القاهرة من نحو عام واحد أوزيد بقليل حتى أنه لم يكن يعرف من لسان العرب شيئاً ولا مهر فى اللسان التركي فطعن في أوائل صفر هذه السنة وغمر فغاب ثلاثة أيام ثم استيقظ فكان أول كلامه ان قال هاتوا الطاير فقلنا ماالطير فقال جاءني ناس فأخذوني الى المقابر فاذا أخي قانباي هناك وكان في نحو سنه وكان قد توفي قبله بيسير فضيفني بطير فأكلته فلما لم يبق منه الا العظام رميتها فعادت طيراً كما كان ورأيت فلاناً وفلاناً وعد ناسا كثيرا كانوا قد ماتوا قبل ان يجيء الى بلاد الاسلام قال ورأيت هناك قصوراً أمامها مقاعد في تلك المقاعد ناس قاعدون فقلت من هؤلاء فقالوا الحجاج وتحتهم ناس نائمون بثيابهم فقيل هؤلاء المجاهدون يدخلون الجنة كلهم بثيابهم ورأيت جهنم يوقد عليها بالزفت والكبريت ورأيت شخصاً قد أتوا به فقالوا له كنت تقول أنا أمير أنا أمير من جعلك أميرا فسكت فقالوا ما الذى كنت تعمل وضربوه ضربة انقلب منها حماراً وشرعوا يحملون عليه ما أرادوا ذاهباً وآيبا وذلك يوم السبت حادى عشر صفر يوم مات تمراز أمير سلاح وكان مولعاً بالشراب والأحداث وسألوه عن

شخص من أصحابهم كان يشرب الخمر فقال مارأيته ولكن أخبرني أخي أنه
رآه قد نزعت عنه ثيابه البيض وألبس ثياباً سودا وألقي فى النار وان نبينا صلي
الله عليه وسلم يشفع فيه قال ورأيت علياً بن الامير جانبك وكان سنه نحو
أربع سنين وكان قدمات فى هذا الطاعون وصبياً آخر في نحو سنه في حضن رجل
شيخ وكان لجانبك جارية سوداء ماتت فرآها تغمز رجل على ابن سيدها وهى
بيضاء اللون فمر عليهم نبينا صلى الله عليه وسلم فقال هذان يشير الى الصغيرين
مختونان فقال له ذلك الشيخ يشير الى أحدهم هذا مختتن وهذا غير مختتن فقال
صلي الله عليه وسلم يختنه بعد شهرين قال ورأيت الموضع الذى يسجد فيه النبي
صلى الله عليه وسلم كأنه للشفاعة وقال لشخص اسمه قانصوه أخوك وكان قد
مات في هذا الطاعون يطلبك ويقول انك ان لم تجيء اليه فى هذا القرب لم
تجتمع به بعد ذلك أبداً فمات بعد قليل وأخبرهم أن أولئك الاموات السعداء
أخبروه أن المديون وقاتل النفس وآكل مال اليتيم لايأتون اليهم يعنى بل
يذهبون الى النار وكان شخص من أصحابهم يسمي جانبك يشرب الخمر فقال
ان كنت أشربها فقد تبت وحججت فقيل له عاقبة امضوا به الى مكانه
فمضوا به الي قصر من تلك القصور وكان شخص من أصحابهم ملازماً للجامع
والصلاة والتسبيح ولكنه كان يقول فلان لايصلى فلان يفعل كذا يغتابهم
وكأنه كان يعجب بنفسه فأتي به فقيل له أنت كنت تتكلم فى الناس بالكذب
نحن أعلم بمن يصلى ومن لايصلي ثم صاروا يرفعونه الى فوق ويرمونه وأخبرهم
أنه رأي ناساً مدفونين فى الارض على مقادير ذنوبهم واحد الي كعبيه وآخر
الي ركبتيه وآخر الي أعلى من ذلك حتى أن منهم المدفون الي فوق عينيه وقد
جعلت عيناه فوق رأسه ورأى من الناس من يطير مثل الذباب ومنهم من

يسير كالبرق ومنهم من يجرى كالفرس ومنهـم من هو درن ذلك حتي أن بعضهم كالمقعد فلما رأى منه اهل طبقته هـذه العجائب شرعوا يسألونه عن انفسهم فيقول لهذا انت تشرب الخمر ولهذا انت تشرب البوزة ولهذا انت لاتشرب ونحو هذا لاناس كانوا يخفون منه احوالهم غاية الاخفاء ولم يعلموا أنه اطلع على شيء من أعمالهم السيئة يوماً أخبرونى هذا بحضور الأمير جانبك المذكور وهو يصدقهم ان هذا الأمر كان بحضور رجال الكثيرين جداً بحيث تواتر وان جميع من سمع كلامه تاب عما كان يرتكبه من المعاصى وانه استمر يحدثهم بمثل هـذه الأعاجيب يومين جميعها باللسان العربي وقال انه لايتكلم هناك الابه وما تكلم عندهم بالشركسى ثم مات رحمه الله .. الامر الثالث هل تتلاقى أرواح الاموات وتتزاور أولاأنت عليم بأن الأرواح قسمان منعمة ومعذبة .. أما المعذبة فهي لعمرى عن التزاور والتلاقى في أشـغل الشغل والله المسؤل أن يرحم ضعفنا فيجيرنا من ذلك ولا يكلنا الى أعمالنـا وأما المنعمة المرسلة غير المحبوسة فتتلاقي وتتزاور وتتذا كر ما كان منها في الدنيا وما يكون من أهل الدنيا فتكون كل روح مع رفيقها الذى هو على مثل عملها وروح نبينا صلى الله عليه وسلم فى الرفيق الاعلى قال تعالى ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾ وهذه المعية ثابتة في هـذه الدنيا وفى دار البرزخ وفى دار الجزاء والمرء مع من أحب فى هذه الدور الثلاث .. وقد تواترت المرائى بذلك قال صالح بن بشر رأيت عطاء السلمي في النوم بعد موته فقلت يا أبا محمد ألست فى زمرة الموتى قال بلى قلت فماذا صرت اليه بعد الموت قال صرت والله الي خير كثير ورب غفور شكور قلت أما والله

لقد كنت طويل الحزن فى دار الدنيا فتبسم وقال أما والله لقدأعقبنى ذلك فرحاً طويلا وسروراً دائماً فقلت فى أي الدرجات أنت قال مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً وقال عبد الله بن المبارك رأيت سفيان الثورى في النوم فقلت مافعل الله بك قال لقيت محمداً وحزبه وقال صخر بن راشد رأيت عبد الله بن المبارك فى النوم بعد موته فقلت اليس قدمت قال بلى قلت ما صنع الله بك قال غفرلي مغفرة أحاطت بكل ذنب قلت فسفيان الثوري قال بخ بخ ذلك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً وقال ابن أبى الدنيا قال حماد قال هشام بن حسان حدثتنى أم عبدالله وكانت من خيار نساء البصرة قالت رأيت فيما يرى النائم كأنى دخلت داراً حسنة ثم دخلت بستاناً فذكرت من حسنه ما شاء الله فاذا أنا فيه برجل متكيءٍ على سرير من ذهب حوله الوصفان بأيديهم الاكاويب فانى لمتعجبة من حسن ماأرى اذ قيل هذامروان المحلمى أقبل فاستوى جالساً على سريره واستيقظت من منامى فاذاجنازة مروان قد مربها على بابى تلك الساعة ..وأخرج الحاكم والبيهقي وغيرهما فى قصة الاسراء عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لقي ابراهيم وموسى وعيسى صلوات الله عليهم فتذاكروا الساعة فبدؤا بابراهيم فسألوه عنها فلم يكن عنده منها علم حتى أجمعوا الحديث الى عيسى فقال عهد الله الى فيما دون مجيئها فذكر خروج الدجال قال فأهبط فاقتله ويرجع الناس الى بلادهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فلا يمرون بماء الاشربوه ولايمرون بشيء الاأفسدوه فيجأرون الى الله فادعوا الله فيميتهم فتجأر الارض الى الله من ريحهم ويجأرون الى

فادعوا ويرسل الله السماء بالماء فتحمل أجسامهم فتقذفها فى البحر ثم تنسف الجبال وتمد الأرض مداً فعهد الله الي اذا كانت كذلك فان الساعة من الناس كالحامل المتم لا يدرى أهلها متى تفجأهم بولادها ليلا أو نهارا فهذا نص فى تذاكر الأرواح للعلم وكذا مافى الصحيحين عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احتج آدم وموسى عليهما السلام فقال موسى أنت آدم الذى أخرجت ذريتك من الجنة قال أنت موسى الذى اصطفاك الله برسالاته وكلامه ثم تلومنى على أمر قدر على قبل أن أخلق فحج آدم موسى وأخبر الله تعالى عن الشهداء أنهم أحياء عند ربهم يرزقون وأنهم يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم وأنهم يستبشرون بنعمة من الله وفضل .. وقال ابن أبى الدنيا حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع أخبرنا فضيل بن سليمان النميرى حدثنى يحيى بن عبد الرحمن بن أبى لبيبة عن جده قال لما مات بشر بن البراء ابن معرور وجدت عليه أم بشر وجداً شديداً فقالت يارسول الله انه لا يزال الهالك يهلك من بنى سلمة فهل تتعارف الموتى فأرسل الى بشر بالسلام فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم نعم والذي نفسى بيده ياأم بشر انهم ليتعارفون كما تتعارف الطير في رؤس الشجر فكان لا يهلك هالك من بنى سلمة لا جاءته أم بشر فقالت يافلان عليك السلام فيقول وعليك فتقول اقرأ على بشر السلام

قلت وقال ابن أبى الدنيا فى الجزء الثانى من المنامات حدثنى أبو محمد يعنى القاسم بن هاشم أخبرنا يحيى بن صالح الوحاظي أخبرنا محمد بن سليمان هو ابن أبى ضمرة القاص حدثنى راشد بن سعد أن رجلا توفيت امرأته فرأى نساء في المنام ولم ير امرأته معهن فسألهن عنها فقلن انكم قصرتم فى كفنها فهي

تستحى أن نخرج معنا فأتى الرجل النبي صلى اللهُ عليه وسلم فأخبره فقال النبي صلى اللهُ عليه وسلم أنظر هل الى ثقة من سبيل قال فأتى رجلا من الانصار قد حضرته الوفاة فأخبره فقال الانصارى ان كان أحد يبلغ الموتى بلغت فتوفي الانصارى فجاء بثوبين مثرودين بالزعفران فجعلهما فى كفن الانصارى فلما كان الليل رأى النسوة ومعهن امرأته وعليها الثوبان الاصفران وهذا السند منقطع بين راشد والصحابى وقال حدثنى العباس بن جعفر هو ابن الزبرقان البغدادى أخبرنا سلم بن ابراهيم الوراق أنبأنا عكرمة بن عمار عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبى قتادة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ولى أحدكم أخاه فليحسن كفنه فانهم يتزاورون فى قبورهم وهذا السند ضعيف وقد أخرجه الترمذى وابن ماجه عن محمد بن يسار عن عمر بن يونس عن عكرمة لكن لم يذكرا ما فى آخره والله أعلم ٠٠ وروى يعنى ابن أبى الدنيا من حديث سفيان عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال أهل القبور يتوقعون الاخبار فاذا أتاهم الميت قالوا مافعل فلان فيقول صالح ما فعل فلان فيقول صالح ما فعل فلان فيقول ألم يأتكم أو ما قدم عليكم فيقولون لا فيقول انا لله وانا اليه راجعون سلك به غير سبيلنا وذكر معاوية بن يحيي عن عبد الله بن سلمة أن أبارهم المسمعي حدثه أن أبا أيوب الانصارى حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نفس المؤمن اذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير فى الدنيا فيقولون أنظروا أخاكم حتى يستريح فانه كان في كرب شديد فيسألونه ما فعل فلان وما فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة فاذا سألوه عن رجل مات قبل قال انه مات قبلي قالوا انا لله وانا اليه راجعون ذهب به الي أمه الهاوية بئست الأم وبئست المربية ورواه عبد الله

ابن التكريتي المعروف بابن سويده في كتاب اللباب في مناقب الالباب من طريق ثور عن خالد بن معدان عن أبي رهم عن أبي أيوب الانصاري ولفظه قال رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم ان المؤمن اذا مات تلقته أقرباؤه وذوو رحمه من الأموات كما يتلقون البشير في دار الدنيا فيقبلون عليه فيسألونه ثم يقول بعضهم لبعض روحوه ساعة فقد خرج من كرب شديد فيتنفس ساعة ثم يقبلون عليه ويسألونه ما فعل فلان ما فعلت فلانة هل تزوجت فاذا سألوه عن انسان قد مات يقول الميت هيهات مات قبلي فيقولون انا لله وانا اليه راجعون سلك به الي أمه الهاوية فبئست الأم وبئست المربية وتعرض علي الموتى أعمالكم فان رأوا حسنة استبشروا وقالوا اللهم هذه نعمتك فاتممها علي عبادك وان رأوا سيئة اكتأبوا وقالوا اللهم راجع بعبدك فقال صلى اللهُ عليه وسلم لاتحزنوا أمواتكم بالعمل السيئ فان أعمالكم تعرض وسيأتي في أوائل العاشرة ما يشاكل هذا .. وقال سعيد بن المسيب اذا مات الرجل استقبله والده كما يستقبل الغائب

المسئلة السابعة

﴿ بأي شئ تتمايز الارواح بعد مفارقة الاشباح حتى تتعارف وهل تتشكل باشكال أبدانها ﴾

اعلم أن جواب هذه المسئلة لايمكن الا على أصول أهل السنة في أن الروح ذات قائمة بنفسها تصعد وتنزل وتتصل وتنفصل وتذهب

ويجئ وتتحرك وتسكن قال وعلى هذا أ كثر من مائة دليل قد ذكرتها في الكتاب الكبير فى معرفة الروح والنفس وقد وصفها الله تعالى بالدخول والخروج والقبض والتوفى والرجوع والصعود وأن أبواب السماء تفتح لها أو تغلق عنها فقال والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم وقال فيما يقال لها عند فراق الجسد يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى وقال تعالى ﴿ الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخري الى أجل مسمي ﴾ وقال ﴿ونفس وما سواها ﴾ كما قال عن البدن ﴿ الذى خلقك فسواك فعدلك ﴾ فسوى بدنه كالقالب لنفسه فتسوية البدن تابع لتسوية النفس ..

ومن هنا تعلم أنها تأخذ من بدنها صورة تتميز بها عن غيرها فلها تتأثر وتنتقل عن البدن كما يتأثر البدن وينتقل عنها فيكسب البدن الطيب والخبث من طيب النفس وخبثها وهي كذلك تطيب بطيبه وتخبث بخبثه فأشد الاشياء إرتباطاً وتناسباً وتفاعلا وتأثراً من أحدهما بالآخر الروح والبدن ولهذا يقال لها عند المفارقة أخرجي أيتها الروح الطيبة كانت فى الجسد الطيب أو أخرجي أيتها الروح الخبيثه كانت فى الجسد الخبيث وقال تعالى عن الشهداء ﴿ أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم هذه الحياة بأن أرواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى تلك القناديل وفي رواية فى صور طير كما تقدم فى المسئلة الخامسة وأخبر أن نسمة المؤمن وهى روحه طائر يعلق فى شجر الجنة وأن الله اطلع على الشهداء فقال هل تشتهون شيئاً حتى قال فقالوا نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا كما قتل فى سبيلك مرة أخرى وهذا صريح في أكلها وشربها وكلامها

وحركتها وانتقالها واذا كان هذا شأنها فتميزها بعد المفارقة يكون أظهر من تميز الأبدان والاشتباه بينهما أبعد من اشتباه الأبدان فان الأبدان تشتبه كثيراً .. وأما الأرواح فقل ماتشتبه يوضح هذا انا لم نشاهد أرواح الانبياء والائمة وهم يتميزون فى علمنا أظهر تميز وليس ذلك التميز راجعاً الي مجرد أبدانهم بل هي بما عرفنا من صفات أرواحهم وأنت ترى أخوين شقيقين مشتبهين فى الخلقة غاية الاشتباه وبين روحيهما غاية التباين وقل أن ترى بدناً قبيحاً وشكلا شنيعاً الا وجدته مركباً علي نفس تشاكله وتناسبه وقل ان ترى آفة فى بدن الا وفي روح صاحبه آفة تناسبها ولهذا يأخذ أصحاب الفراسة أحوال النفوس من اشكال الأبدان وقل ان تخطئ ويحكى عن الشافعى رحمه الله فى ذلك عجائب وقل ان تري شكلا حسناً وصورة جميلة وتركيباً لطيفاً الا وجدت الروح المتعلقة به مناسبة هذا مالم يعارض ذلك ما يوجب خلافه من تعلم وتدرب واعتبار واذا كانت الملائكة تتميز من غير أبدان تحملهم وكذلك الجن فالارواح البشرية أولى

المسئلة الثامنة

﴿ فى فتنة القبر بالسوآل وفيه أمور ﴾

الأول فى أنه أيخص هذه الأمة أم يعم جميع الأمم قال أبوعبد الله الترمذي انه يخص هذه الامة لقوله صلى الله عليه وسلم ان هذه الأمة تبتلى فى قبورها وقال أوحي الىّ أنكم تفتنون فى قبوركم ولقول الملكين ما تقول فى هذا الرجل الذي بعث فيكم وقال صلى الله عليه

وسلم انكم بى تمتحنون وعنى تسئلون .. وقال عبد الحق والقرطبي السؤال لها ولغيرها وتوقف آخرون منهم ابن عبد البر والحق ماقال عبدالحق أنه عام لنا ولغيرنا ولا دلالة فى الاحاديث المذكورة على الخصوص غايتها أنه خاطبنا بما ينفعنا فقال انكم تفتنون لحذرنا لنعمل ولا دلالة فيه هل نفى ذلك عمن تقدمنا وكذا ما بعده والظاهر والله أعلم ان كل نبى مع أمته كذلك وأنهم يعذبون فى قبورهم بعد السؤال لهم واقامة الحجة عليهم كما يعذبون فى الآخرة بعد السؤال واقامة الحجة عليهم فيقال لهم ماذا أجبتم المرسلين وقال تعالى ﴿ فلنسئلن الذين أرسل اليهم

قلت بل فى بقية هذا الحديث بعينه ما يشعر بالعموم وهو حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن يهودية جاءت تسألها فقالت أعاذك الله من عذاب القبر .. وفى رواية فذكرت عذاب القبر فقالت لها أعاذك الله من عذاب القبر فسألت عائشة رسول الله صلي الله عليه وسلم أيعذب الناس فى قبورهم فقال صلي الله عليه وسلم عائذاً بالله من ذلك ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم مركبا فخسفت الشمس الحديث وفى آخره وانصرف فقال ما شاء الله أن يقول ثم أمرهم أن يتعوذوا من عذاب القبر أخرجه الشيخان والنسائى .. وفى لفظ للنسائى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الناس يفتنون فى قبورهم كفتنة الدجال وعند البخارى من حديث اسماعيل نحوه وزاد يؤتى أحدكم فيقال ما علمك بهذا الرجل الى آخره وللنسائى في حديث عائشة إنكم تفتنون في القبور كفتنة الدجال فسمعته بعد ذلك يتعوذ من عذاب القبر .. وفى لفظ له دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى امرأة من اليهود وهي تقول انكم تفتنون فى القبور فارتاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال

انما تفتن يهود فلبثنا ليالى ثم قال أنه أوحى اليّ أنكم تفتنون في القبور فسمعته بعد ذلك ليستعيذ من عذاب القبر .. وفى لفظ له دخل على عجوزتان من عجز يهود المدينة فقالتا ان أهل القبور يعذبون فى القبور فكذبتهما فسألت النبي صلى الله عليه وسلم فقال صدقتا فما رأيته صلى صلاة الا تعوذ من عذاب القبر وفى رواية البخارى فسألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر فقال نعم عذاب القبر حق فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلى صلاة الا تعوذ من عذاب القبر وقد تقدم هذا الحديث فى المسئلة الرابعة ويأتى فى أول العاشرة أتم مما هنا .. وجه الدلالة من هذا الحديث أن اللفظ الذى فيه تفتنون فى القبور ان كان لفظ اليهودية صلح دليلا على العموم لأنها لا تعرف ذلك هي ولا أحد من أهل ملتها الا عن أنبيائهم فحكمه حكم المرفوع الى نبي ويبعد أن يكون أخبرهم نبيهم في هذا عن أمر يخصنا لانه حينئذ يكون منفراً من دين هذا شأن من يدخل فيه وان كانت عبرت فى عذاب القبر وفهمت عائشة منه الفتنة فحكته بذلك فهو كفاية فى المقصود وأعظم من ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم انما تفتن يهود فكأنه صلى الله عليه وسلم لم يكن أوحى اليه اذ ذاك أن الفتنة الا لليهود ولاجل ذلك حصر بالنسبة الى علمه حينئذ .. فان قيل سلمنا ولكن هذه الفتنة انما هي كناية عن العذاب لا عن خصوص الفتنة بالسؤال قيل روي الشيخان وغيرهما وهذا لفظ مسلم عن البراء ابن عازب رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ﴾ نزلت فى عذاب القبر يقال له من ربك فيقول ربي الله ونبيي محمد فذلك قوله ﴿ يثبت الله آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفى الآخرة ﴾ فقد فسر عذاب القبر بالسؤال وكأنه لكونه ربما كان سبباً له فان

كان من هذه الأمة فقال نبي محمد وان كان من غيرها ذكر نبيه والله أعلم ..
الاسر الثانى هل يعم السؤال مكلفى هذه الأمة وغير مكلفيهم أولا اختلف الناس فى ذلك على قولين هما وجهان لأصحاب احمد والحجة فى سؤالهم مشروعية الصلاة عليهم والدعاء لهم كالمكلفين .. وفي الموطأ عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه صلى على جنازة صبي فسمع من دعائه اللهم قه عذاب القبر وسيأتى فى ضمة القبر عن عائشة وغيرها ثبوته للصبي .. وقال هناد بن السري حدثنا أبو معاوية عن يحيي بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضي الله عنه قال ان كان ليصلى عن المنفوس ما ان عمل خطية قط فيقول اللهم أجره من عذاب القبر

قلت ومن ذلك حديث أبي هريرة أيضاً صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فقال اللهم اغفر لحينا وميتنا وصغيرنا الحديث رواه احمد وأبو داود والترمذى وابن ماجة وابن حبان والحاكم قال وله شاهد صحيح فرواه من حديث أبى سلمة عن عائشة بنحوه وأعله الترمذى بعكرمة بن عمار وقال انه يهم في حديثه ذكره شيخنا فى تخريج أحاديث الرافعي .. وأخرج النسائي من حديث أبى ابراهيم الانصارى عن أبيه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول فى الصلاة على الميت اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا ذكرنا وانثانا وصغيرنا وكبيرنا ونقل شيخنا عن البخارى أنه قال أنها أصح الروايات والله أعلم .. وقد ورد فى امتحانهم فى الآخرة أحاديث كثيرة وحكاه الأشعرى عن أهل السنة والحديث فاذا امتحنوا فى الاخرة لم يمتنع امتحانهم فى القبور والذي كان يكمل عقولهم لو بقوا فى الدنيا قادر على أن يكملها بعد الموت فى لحظة .. وأجيب عن حديث إن الله لايعذب أحداً بلاذنب عمله بأن عذاب

القبر قد يراد به الألم الذى يحصل للميت بسبب غيره والعذاب أعم من العقوبة

قلت ووراء ذلك حديث اللهُ أعلم بما كانوا عاملين الدال على أن غير المكلف قد يعذب بعلم الله فيه أنهُ لو وصل الى حد المكلفين عصي ٠٠ فان قيل انما هذا فى أطفال الكفار قيل ومن أين لنا أن أبا هذا الطفل الذى يصلى عليه ختم له ويختم له بخير فلعمرى إن ذلك الامر ما يعلمه الا علام الغيوب وما قطع قلوب الأكابر الا خوف الخاتمة وهول المطلع والله أعلم ٠٠ الامر الثالث أيعم السؤال مسلم هذه الأمة وكافرها أم يخص المؤمن والمنافق قال ابن عبد البر فى التمهيد الآثار دالة علي أن الفتنة لا تكون الا لمؤمن أومنافق والقرآن والسنة يدلان على خلاف ذلك وان السؤال للكافر والمسلم قال الله تعالى ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ٠٠وفي الصحيح أنها نزلت في عذاب القبر حين يسئل من ربك ٠٠ وفى الصحيحين عن أنس رضي الله عنه أن العبد اذا وضع فى قبره الحديث في السؤال زد البخاري وأما المنافق والكافر فيقال ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول لاأدرى فقال المنافق والكافر بالعطف بالواو وعامة من روى حديث البراء قال وأما الكافر بالجزم وبعضهم قال وأما الفاجر وبعضهم المنافق والمرتاب ٠٠ وفى حديث أبى سعيد وان كان كافراً أومنافقاً وسيأتى فى مسئلة عذاب القبر كثير من أحاديث السؤال ٠٠وروى الامام احمد قال المنذرى باسناد صحيح وابن حبان فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى أيضاً رضي الله عنه قال كنا فى جنازة مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس ان هذه الأمة تبتلى فى قبورها فاذا الإنسان دفن وتولى عنه أصحابه

جاءه ملك وفي يده مطراق فأقعده فقال ماتقول في هذا الرجل فان كان مؤمناً قال أشهد ان لا آله الا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول له صدقت فيفتح له باباً الى النار فيقال له هذا منزلك لو كفرت بربك وأما الكافر والمنافق فيقول له ما تقول فى هذا الرجل فيقول لأدرى فيقول لادريت ولا تليت ثم يفتح له بابا الى الجنـة فيقول له هذا منزلك لو آمنت بربك فأما اذ كفرت فان الله أبدلك به هذا ثم يفتح له بابا الي النار ثم يقمعه الملك بالمطراق قمعة يسمعه خلق الله الا الثقلين فقال بعض أصحابه يارسول الله ما أحد يقوم عند رأسه ملك الاهبل عند ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيـا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾

قلت وفى مسند أبي يعلى عن جابر موقوفاً اذا أدخل قبره فجاءه الملك فقام يهب كما يهب النائم فيسئلانه فيجيبهم فيقولان ما دينك فيقول الاسلام دعوني حتى أخرج فيقولان له أسكت .. ولاحمد قال المنذرى من طريق ابن لهيعة والطبرانى باسناد جيد عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر فتان القبر فقال عمر أترد علينـا عقولنا يارسول اللهِ فقال رسول اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم نعم كهيئتك اليوم فقال عمر بفيـه الحجر وللبزار قال المنذري رواته ثقات عن عائشة قالت قلت يارسول الله تبتلي هذه الأمة فى قبورها فكيف بى وأنا امرأة ضعيفة قال ﴿ يثبت اللهُ الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفي الآخرة واللهُ أعلم

المسئلة التاسعة

هل تنتفع أو تضر أرواح الموتى بشئ من سعي الأحياء أولا .. أجمع أهل السنة على انتفاعهم بشيئين .. أحدهما ماتسبب فيه الميت فى حياته لقوله تعالى ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ وفي صحيح مسلم عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه مرفوعاً من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شئ ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شئ .. وفى المسند عن حذيفة رضى الله عنه قال سأل رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسك القوم ثم ان رجلا أعطاه فأعطي القوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم من سن خيراً فاستن به كان له أجره ومن أجور من يتبعه غير منتقص من أجورهم شيء ومن سن شرًا فاستن به كان عليه وزره ومن أوزار من يتبعه غير منتقص من أوزارهم شيء .. وفى الصحيحين والترمذى والنسائى وابن ماجة عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلي الله عليه وسلم قال لاتقتل نفس ظلماً الا كان على ابن آدم كفل من دمها لانه أول من سن القتل .. وفى صحيح مسلم وسنن أبى داود والترمذي والنسائى عن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعا اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث الا من صدقة جارية أوعلم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له .. وأخرجه ابن ماجة فى أول سننه في فضل العلماء وابن خزيمة فى صحيحه بلفظ أن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً نشره وولداً صالحاً تركه ومصحفاً ورثه ومسجداً بناه وبيتاً لابن السبيل

بناه ونهرًا أجراه وصدقة أخرجها من ماله فى صحته وحياته تلحقه بعد موته

قلت وأخرجه البزار وأبو نعيم في الحلية من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال سبع يجرى للعبد أجرها بعد موته وهو فى قبره من علم علماً أو أجرى نهرًا أو حفر بئرًا أو غرس نخلا أو بنى مسجدًا أو ورّث مصحفاً أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته فنظمت مااجتمع فى الروايتين من الخصال وهى عشر الا واحدة فقلت

للعبد يجرى الأجر بعد الموت فى ... تسع كما قال الرسول المصطفي
اجراء نهر حفر بئر غرس نـ ... ـر نشر علم والتصدق فى الشفا
وبنا بيت ابن السبيل ومسجد ... وبتركه ابناً صالحاً أو مصحفا

الثانى دعاء المسلمين له واستغفارهم والتصدق عنه والحج لقوله تعالى ﴿ والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان﴾ وأجمع الامة على الدعاء للميت فى صلاة الجنازة والأحاديث الصحيحة فى صلاته صلى الله عليه وسلم على الجنائز ودعائه لهم كثيرة جدًا وفى السنن عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً اذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء

قلت قال شيخنا أبوالفضل بن حجر رحمه الله فى تخريج أحاديث الرافعى رواه أبو داود وابن ماجة وابن حبان والبيهقى وفيه ابن اسحق وقد عنعن لكن أخرجه ابن حبان من طريق أخرى عنه مصرحاً بالسماع والله أعلم ٠٠ وفى السنن عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذاوقف من دفن الميت وقف عليه فقال استغفروا لاخيكم واسألوا له التثبيت فانه الآن يسئل

قلت قال شيخنا رواه أبوداود والحاكم والبزار والله أعلم ٠٠ وفي الصحيحين

عن عائشة رضى الله عنها أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان أمي افتلتت نفسها ولم توص وأظنها لو تكلمت تصدقت أفلها أجران تصدقت عنها قال نعم ٠٠ وفي البخاري عن ابن عباس أن سعد بن عبادة توفيت أمه وهو غائب عنها فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول أن أمى توفيت وأنا غائب عنها فهل ينفعها ان تصدقت عنها قال نعم قال فانى أشهدك ان حائطى المخرف صدقة عنها ٠٠ وفى السنن والمسند عن سعد بن عبادة رضي الله عنه أنه قال يارسول الله أن أم سعد ماتت فأى الصدقة أفضل قال الماء فحفر بئراً وقال هذه لأم سعد ٠٠ وفى مسلم عن أبى هريرة أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان أبى مات وترك مالاً ولم يوص فهل يكفي عنه أن أتصدق عنه قال نعم ٠٠ وفى البخاري أن امرأة من جهينة جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت أن أمى نذرت أن تحج فلم تحج حتي ماتت أفأحج عنها قال حجي عنها أرأيت لو كان علي أمك دين أكنت قاضيته اقضوا الله فالله أحق بالوفاء ٠٠ وفى سنن النسائى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن امرأة سنان بن سلمة الجهنى أرسلت تسأل رسول الله عليه وسلم أن أمها ماتت ولم تحج أفيجزى ابنتها أن تحج عنها قال نعم لو كان على أمها دين فقضته ألم يكن يجزى عنها ٠٠ وفيه عنه أيضاً أن امرأة سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن أبيها مات ولم يحج أفأحج عنه قال أرأيت لو كان على أبيك دين أكنت قاضيته قال نعم قال فدين الله أحق ٠٠ والواصل الى الميت ثواب العمل عند الجمهور ٠٠ وقال بعض الحنفيه بل ثواب الانفاق واختلف فى العبادات البدنية كالصوم والصلاة وقراءة القرآن والذكر فمذهب أحمد وجمهور السلف وصولها نص عليه الامام أحمد في رواية محمد بن يحيي الكحال قال قيل لابى

عبد الله الرجل يعمل الشيء من الخير من صلاة أو صدقة أو غير ذلك فيجعل
نصفه لابيه أو لامه قال أرجو وقال الميت يصل اليه كل شيء من صدقة وغيرها
وقال اقرأ آية الكرسي ثلاث مرات وقل هو الله أحد وقل اللهم فضله لاهل
المقابر وهو قول بعض الحنفية لما في الصحيحين عن ابن عباس رضى الله
عنهما قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أن أمى
ماتت وعليها صوم شهراً فأقضيه عنها قال نعم فدين الله أحق أن يقضى ..
وفيهما عن عائشة رضى الله عنها مرفوعاً من مات وعليه صيام صام عنه وليه
ولاحمد وأصحاب السنن عن ابن عباس رضى الله عنهما أن امرأة ركبت
البحر فنذرت ان نجاها الله أن تصوم شهراً فنجاها الله فلم تصم حتى ماتت
فجاءت ابنتها وأختها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرها أن تصوم عنها
وفى السنن عن ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعاً من مات وعليه صيام شهر
فليطعم عنه لكل يوم مسكين .. وفي المسند عن عبد الله بن عمرو بن العاص
أن ابن وائل نذر فى الجاهلية ان ينحر مائة بدنة وان هشام بن العاص نحر حصته
خمسين وان عمراً سأل النبي صلي الله عليه وسلم عن ذلك فقال أما أبوك فلو
أقر بالتوحيد فصمت وتصدقت عنه نفعه ذلك .. والعبادات قسمان مالية
و بدنية وقد نبه الشارع صلى الله عليه وسلم بوصول ثواب الصدقة على وصول
ثواب سائر الأعمال المالية أما اداء الدين فبالاجماع ولو كان من أجنبى بلا اذن
أو من غير تركة الميت و بوصول ثواب الصوم على وصول ثواب سائر العبادات
البدنية و بوصول ثواب الحج على وصول ثواب المركب منهما والمشهور من
مذهب الشافعي ومالك أن ثواب العبادات البدنية المتمحضة لا يصل لان
العبادات نوعان أحدهما لاتدخله النيابة بحال كالاسلام والصلاة وقراءة القرآن

والصيام فهذا النوع يختص ثوابه بفاعله لا يتعداه كما في الحياة والثاني تدخله النيابة كرد الروائع واداء الديون واخراج الصدقة والحج فهذا يصل ثوابه الى الميت لانه يقبل النيابة في الحياة فبعد الموت أولى .. وأما مسئلة الصوم فجوابها من وجوه أحدها أن مالكا قال في موطائه لا يصوم أحد عن أحد قال وهذا أمر مجمع عليه عندنا لا خلاف فيه .. الثاني أن حديث ابن عباس فيها اختلف في اسناده كما قال صاحب المفهم في شرح مسلم وقد طعن فيه الشافعي بأن في بعض طرقه وهو في الصحيحين أن سعد بن عبادة استفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان أمي ماتت وعليها نذر فقال اقضه عنها فلم يبين ابن عباس نذرها ماهو وأحتمل أن يكون نذر حج أو عمرة أوصدقة الثالث أنه معارض بالنص وهو قوله وأن ليس للانسان الا ماسعى الرابع أنه معارض بما رواه النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يصوم أحد عن أحد ولا يصلي أحد عن أحد ولكن يطعم عنه مكان كل يوم مدًّا من حنطة الخامس أنه معارض بالقياس الجلي علي الصلاة والاسلام والتوبة وأما الدعاء فانما هو شفاعة والجواب أن مراد مالك اجماع أهل المدينة لا اجماع الامة ثمن قال بالصيام الحسن وهو قبل مالك .. وأما دعوي الاختلاف في سند الحديث فباطلة فالحديث متفق على صحته ولم يختلف في اسناده وهب أنه اختلف فيه فما الجواب عن حديث عائشة وغيرها قال ابن عبد البر ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من مات وعليه صيام صام عنه وليه وصححه الامام أحمد وذهب اليه وعلق الشافعي القول به على صحته فقال وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصوم عن الميت شئ فان كان ثابتا صيم عنه كما يحج عنه

قلت وهو مذهبه في القديم وهو المفتي به فى الجديد .. قال الشيخ محيي الدين فى المنهاج قلت القديم هنا أظهر أى لحديث عائشه رضى الله عنها وغيره من الأحاديث الصحيحة .. وحكي البندنيجى أن الشافعى رضي الله عنه قال في أماليه ان صح الحديث قلت به قاله ابن الملقن فى عجالتـه علي المنهاج والله أعلم .. قال البيهقي فى كتاب المعرفة بعد حكاية هذا التعليق فقد ثبت جواز القضاء عن الميت برواية سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وعكرمة عن ابن عباس وفي رواية أكثرهم أن امرأة سألت فأشبه أن يكون غير قصة أم سعد وفي رواية صومى عن أمك قال ويشهد له بالصحة رواية عبد الله بن اعطاء المدنى حدثنى عبد الله بن بريدة الاسلمي عن أبيه قال كنت عند رسول الله صلي الله عليه وسلم فأتته امرأة فقالت يا رسول الله انى كنت تصدقت بوليدة على أمي فماتت وبقيت الوليدة قال قد وجب أجرك ورجعت اليك في الميراث قال فانها ماتت وعليها صوم شهر قال صومى عن أمك قالت فانهـا ماتت ولم تحج قال فحجى عن أمك رواه مسلم فى صحيحه من أوجه عن عبد الله بن عطاء انتهى

قلت ومما يؤيد ان هناك قصة غير قصة أم سعد أيضاً رواية النسائي عن ابن عباس قال ركبت امرأة البحر فنذرت أن تصوم شهراً فماتت قبل أن تصوم فأتت أختها النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك فأمرها أن تصوم عنها وسنده ثقات كلهم والله أعلم ولو سلم أن الرواية التى فيها أم سعد وأنها ماتت وعليها نذر هي المحفوظة فترك الاستفصال يدل على أنه لافرق بين حكم نذر الحج وغيره والا لقال له ما الذى نذرته على أنه قد روى عن ابن عباس جاء رجل وفيه أن أمى ماتت وعليها صيام شهر وهو فى الصحيحين كما تقدم وأما كونه

معارضاً بالنص فيدفعه أن تودده الى المسلمين بدخوله فى حزبهم المقتضى لعطفهم عليه وعملهم عنه من جمله سعيه كما أن ولده من سعيه .. وأما معارضته بما رواه النسائى فخطأ فان النسائى نفسه قال أخبرنا محمد بن عبد الأعلى أخبرنا يزيد بن زريع أخبرنا حجاج الأحول أخبرنا أيوب بن موسى عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس قال لا يصلى أحد عن أحد ولا يصوم أحد عن أحد ولكن يطعم عنه مكان كل يوم مد من حنطة هكذا وقفه على ابن عباس فغايته أن يكون أفتى بخلاف ما روى وهو لا يقدح فى روايته لاحتمال نسيانه لها أو تأوله على أن فتواه غير معارضة لروايته فانه حمل الصيام فى روايته على النذر فأفتى بجواز صيامه وان رمضان لا يصومه أحد عن أحد ولم يبلغه حديث عائشة .. وأما القياس فالاسلام والتوبة سبب لقبول الأعمال فلا يقاس المسبب على السبب وسر المسئلة أن الثواب ملك العامل فاذا تبرع به لاخيه المسلم أوصله أكرم الاكرمين اليه فما الذى خص من هذا الثواب قراءة القران وحجر على العبد أن يوصله الي أخيه ولم يزل عمل الناس عليه حتى المنكرين في سائر الاعصار والامصار من غير نكير من أحد من العلماء والأنفع للميت من ذلك ما كان أنفع فى نفسه فالعتق والصدقة أنفع من الصيام لتعدى نفعهما وقصور نفعه وأفضل الصدقة ما صادف حاجة من المتصدق عليه وكان دائماً مستمراً ومنه حديث أفضل الصدقة سقى الماء علي الانهار وكذلك الدعاء والاستغفار له اذا كان بصدق واخلاص وتضرع فهو في موضعه أفضل من الصدقة عنه وذلك كالصلاة علي جنازته والوقوف على قبره للدعاء قلت والمجمع عليه كالصدقة أولى مما اختلف فيه

المسئلة العاشرة

في عذاب القبر ونعيمه وما محله أهو النفس أم البدن أم هما وهل ذكر
في القرآن أم لا وفي أنه دايم أم منقطع وما يوقع فيه وما ينجي منه

أما عذاب القبر فحق أعاذنا الله منه ولا خلاف بين أهل السنة فيه لثبوته في الأخبار الصحيحة الصريحة الكثيرة المتواترة أي تواتراً معنوياً .. ففي صحيح مسلم وجميع السنن عن أبي هريرة أن النبي صلي الله عليه وسلم قال اذا فرغ أحدكم من التشهد الاخير فليتعوذ بالله من أربع من عذاب جهنم ومن عذب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيخ الدجال .. وفي صحيح مسلم أيضاً وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن اللهم انى أعوذ بك من فتنة المحيا وأعوذ بك من فتنة الممات وأعوذ بك من فتنة المسيخ الدجال .. وفي الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم مرَّ بقبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير وفي رواية بلى أما أحدهما فكان لا يستتر من البول وأما الاخر فكان يمشى بالنميمة ثم دعا بجريدة رطبة فشقها نصفين فوضع على كل قبر نصفاً وقال لعله يخفف عنهما مالم ييبسا .. وفي صحيح مسلم ومسند احمد عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حائط لبنى النجار على بغلته ونحن معه اذ جادت به فكادت أن تلقيه فاذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال من يعرف أصحاب هذه القبور فقال رجل أنا فقال فمتى مات هؤلاء

قال ماتوا في الاشراك فقال ان هذه الامة تبتلي في قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع ثم أقبل علينا بوجهه فقال تعوذوا بالله من عذاب النار قالوا نعوذ بالله من عذاب النار فقال تعوذوا بالله من عذاب القبر قالوا نعوذ بالله من عذاب القبر قال تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن قالوا نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن قال تعوذوا بالله من فتنة الدجال قالوا نعوذ بالله من فتنة الدجال

قلت رواه أبو داود واللفظ له والنسائى عن أنس بن مالك ولفظه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل نخلا لبنى النجار فسمع صوتاً ففزع فقال من أصحاب هذه القبور قالوا يارسول الله ناس ماتوا فى الجاهلية فقال تعوذوا بالله من عذاب النار ومن فتنة الدجال قالوا ومم ذاك يارسول الله قال فان المؤمن اذا وضع فى قبره أتاه ملك فيقول له ما كنت تعبد فان الله هداه قال كنت أعبد الله فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول هو عبد الله ورسوله فما يسئل عن شئ غيرها فينطلق به الى بيت كان له فى النار فيقال له هذا بيتك كان فى النار ولكن الله عز وجل عصمك ورحمك فأبدلك بيتاً فى الجنة فيقول دعونى حتي أذهب فأبشر أهلى فيقال له أسكن وان الكافر اذا وضع فى قبره أتاه ملك فينتهره فيقول له ما كنت تعبد فيقول لا أدرى فيقال له لادريت ولا تليت فيقال ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول كنت أقول ما يقول الناس فيضربه بمطراق من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها الخلق غير الثقلين وأصله فى الصحيحين كما سيأتى فى اتساع القبر وضيقه من هذه المسئلة •• ورواه أبو يعلى عن جابر مختصراً قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بنى النجار فسمع صوتاً فخرج مذعوراً فقال استعيذوا

بالله من عذاب القبر انتهى ٠٠ وفى الصحيحين عن أبى أيوب رضى الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وجبت الشمس فسمع صوتاً فقال يهود تعذب فى قبورها ٠٠ وفي الصحيحين وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت دخلت على عجوز من عجائز يهود المدينة فقالت ان أهل القبور يعذبون فى قبورهم فكذبتها ولم أنعم أن أصدقها فخرجت ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أن عجوزاً من عجائز يهود المدينة دخلت علي فزعمت أن أهل القبور يعذبون في قبورهم قال صدقت انهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم كلها فما رأيته بعد في صلاة الا تعوذ من عذاب القبر وقد تقدم هذا الحديث في المسئلة الثامنة والرابعة بغير هذا اللفظ ٠٠ وفى صحيح ابن حبان عن أم مبشر قالت دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول تعوذوا بالله من عذاب القبر فقلت يارسول الله وللقبر عذاب قال انهم ليعذبون فى قبورهم عذاباً تسمعه البهائم قال بعض أهل العلم ولهذا السبب يذهب الناس بدوابهم اذا مغلت الي قبور اليهود والنصارى والمنافقين كالاسمعيلية والقرامطة بمصر والشام فاذا سمعت الخيل عذاب القبر أحدث لها ذلك فزعا وحرارة تذهب المغل قال عبدالحق الاشبيلي وقد سمع عليه صحيح مسلم فوصل القارئ الى حديث انهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم فقال حدثني الفقيه أبو الحكم بن برّجان وكان من أهل العلم والعمل أنهم دفنوا ميتاً بقريتهم فى شرف اشبيلية فلما فرغوا من دفنه قعدوا ناحية يتحدثون ودابته ترعي قريباً منهم فاذا بها قد أقبلت مسرعة الي القبر فجعلت أذنها عليه كأنها تستمع ثم ولت فارة ثم عادت الى القبر فجعلت أذنها عليه كأنها تستمع ثم ولت فارة فعلت ذلك مرة بعد أخرى وهذا السماع واقع على أصوات المعذبين

قال هناد بن السرى فى كتاب الزهد حدثنا وكيع عن الأعمش عن شقيق عن عائشة رضى الله عنها قالت دخلت على يهودية فذكرت عذاب القبر فكذبتها فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال والذى نفسى بيده انهم ليعذبون فى قبورهم حتى تسمع البهائم أصواتهم وقد تقدم فى مسئلة السؤال حديث البراء بن عازب رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم اذا سئل فى قبره فشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قول الله تعالي ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفى الآخرة ﴾ بلفظ آخر أخرجه الشيخان وأصحاب السنن .. وتقدم أيضاً فى مسئلة إعادة الروح من عند أهل السنن والمسانيد مطولاً جداً وفيه التصريح باعادة الروح الى الجسد وباختلاف أضلاعه وهذا بين في أن العذاب على الروح والبدن مجتمعين .. وفى جامع الترمذى وقال حسن غريب وصحيح أبى حاتم بن حبان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قبر أحدكم . أو الانسان أتاه ملكان اسودان أزرقان يقال لاحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو قائل ما كان يقول فان كان مؤمناً قال هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقولان ان كنا لنعلم أنك تقول ذلك ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعاً فى سبعين ذراعاً وينور له فيه ويقال له نم فيقول أرجع الى أهلى ومالى فأخبرهم فيقولون نم كنومة العروس الذى لا يوقظه الا أحب أهله اليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وان كان منافقاً قال لا أدرى كنت أسمع الناس يقولون شيئاً فكنت أقوله فيقولان له كنا نعلم أنك تقول ذلك ثم يقول للأرض التئمي

عليه فتلتئم عليه حتى تختلف فيها أضلاعه فلا يزال معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك .. وعن أبي هريرة أيضاً رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا حضر المؤمن أتته الملائكة بحريرة بيضاء فيقولون أخرجي أيتها الروح الطيبة راضية مرضياً عنك الى روح وريحان ورب غير غضبان فتخرج كأطيب ريح المسك حتى أنه ليناوله بعضهم بعضاً فيشمونه حتى يأتوا به باب السماء فيقول ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الارض ولا يأتون سماء الا قالوا مثل ذلك فيأتون به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحاً به من أحدكم بغائبه يقدم عليه يسألونه ماذا فعل فلان فيقولون دعوه يستريح فانه كان في غم الدنيا فاذا قال قد مات ألم يأتكم فيقولون ذهب به الى أمه الهاوية وان الكافر اذا حضر أتته ملائكة من العذاب بمسح فيقولون أخرجي الى غضب الله فتخرج كأنتن ريح جيفة فيقولون ما أنتن هذه الروح حتى يأتوا به أرواح الكفار وفي رواية فيذهب به الى باب الارض رواه النسائي والبزار ومسلم مختصراً وأخرجه أبو حاتم وابن حبان في صحيحه وقال إن المؤمن اذا حضره الموت حضرته ملائكة الرحمة فاذا قبض جعلت روحه في حريرة بيضاء فينطلق بها الى باب السماء فيقولون ما وجدنا ريحاً أطيب من هذه فيقولون ما فعل فلان ما فعلت فلانة فيقال دعوه ليستريح فانه كان في غم الدنيا وأما الكافر اذا قبضت نفسه ذهب بها الى الأرض فتقول خزنة الأرض ما وجدنا ريحاً أنتن من هذه فيبلغ بها الى الأرض السفلي قال المنذرى وهو عند ابن ماجه باسناد صحيح وقد تقدم في آخر المسئلة السادسة ما يتصل بهذا وسيأتي في ضمة القبر عدة أحاديث ومعلوم أنها للجسد بواسطة الروح .. وروى الطحاوى عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أمر بعبد من

عباد الله أن يضرب في قبره مائة جلدة فلم يزل يسأل الله ويدعوه حتى صارت واحدة فامتلأ قبره عليه ناراً فلما ارتفع عنه أفاق فقال علام جلدتموني قالوا انك صليت صلاة بغير طهور ومررت على مظلوم فلم تنصره ... وفي صحيح البخاري عن سمرة بن جندب قال كان النبي صلي الله عليه وسلم اذا صلي صلاة أقبل علينا بوجهه فقال من رأى منكم الليلة رؤيا فان رأى أحد رؤيا قصها فيقول ما شاء الله فسألنا يوماً فقال هل رأي أحد منكم رؤيا قلنا لا قال لكني رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي وأخرجاني الى الارض المقدسة فاذا رجل جالس ورجل قائم وبيده كلوب من حديد يدخله في شدقه حتى يبلغ قفاه ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك ويلتئم شدقه هذا فيعود فيصنع مثله قلت ما هذا قال انطلق فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه بصخرة أو فهر فيشدخ بها رأسه فاذا ضربه تدهده الحجر هاهنا فينطلق اليه ليأخذه فلا يرجع الى هذا حتي يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو فعاد اليه فضربه قلت ما هذا قالا انطلق فانطلقنا الى نقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع توقد تحته نار فاذا فيه رجال ونساء عراة فيأتيهم اللهب من تحتهم فاذا اقترب ارتفعوا حتى كادوا يخرجون فاذا خمدت رجعوا فقلت ما هذا قالا انطلق فانطلقنا حتي أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى وسط النهر رجل بين يديه حجارة فأقبل الرجل الذي في النهر فاذا أراد أن يخرج رمي الرجل بحجر في فيه فرده حيث كان كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر فرجع كما كان فقلت ما هذا قالا انطلق فانطلقنا حتى اذا أتينا الى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفي أصلها شيخ وصبيان واذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار توقدها فصعدا بي الى الشجرة وأدخلاني داراً لم أر قط أحسن منها فيها شيوخ

وشباب ثم صعدا بي وأدخلاني داراً هي أحسن وأفضل قلت طوفتماني الليلة فأخبراني عما رأيت قالا نعم الذى رأيته يشق شدقه فكذاب يحدث بالكذب فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به الى يوم القيامة والذى رأيته يشدخ رأسه فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل به بالنهار يفعل به الى يوم القيامة وأما الذى رأسه فى النقب فهم الزناة والذى رأيته فى النهر فآكلوا الربا وأما الشيخ الذى في أصل الشجرة فابراهيم والصبيان حوله فأولاد الناس والذى يوقد النار فمالك خازن النار والدار الأولى دار عامة المؤمنين وأما هذه الدار فدار الشهداء وأنا جبريل وهذا ميكائيل فارفع رأسك فرفعت رأسي فاذا قصر مثل السحابة قالا ذاك منزلك قلت دعانى أدخل منزلي قالا انه بقي لك عمر لم تستكمله فلو استكملته أتيت منزلك وهذا نص في عذاب البرزخ فان رؤيا الانبياء وحي مطابق لما فى نفس الأمر وقد قال يفعل به الى يوم القيامة .. وروى البيهقي من طريق الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبي هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية ﴿ سبحان الذى أسري بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ﴾ الآية قال أتى بفرس فحمل عليه خطوه منتهى أقصى بصره فسار وسار معه جبريل فأتى على قوم يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم كما حصدوا فى يوم عاد كان فقال يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ﴿ وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين ﴾ ثم أتى علي قوم ترضخ رؤسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت لا يفتر عنهم شئ من ذلك قال ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين تتثاقل رؤسهم عن الصلاة ثم أتي على قوم على اقبالهم رقاع وعلي أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح

الأنعام على الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها قال ماهؤلاء يا جبريل
قال هؤلاء الذين لايؤدون صدقات أموالهم ﴿ وما ظلمهم الله وما الله بظلام
العبيد ﴾ ثم أتي على قوم بين أيديهم لحم في قدور نضيج ولحم آخر خبيث فجعلوا
يأكلون من الخبيث ويدعون النضيج الطيب قال ياجبريل من هؤلاء قال
الرجل يقوم وعنده امرأة حلال طيب فيأتي المرأة الخبيثة فتبيت معه حتى تصبح
ثم أتي على خشبة على الطريق لايمر بها شئ الا قصفته يقول الله تعالي ﴿ ولا
تقعدوا بكل صراط توعدون ﴾ ثم مرّ على رجل جمع حزمة عظيمة لا يستطيع
حملها وهو يريد أن يزيد عليها قال ياجبريل ماهذا قال هذا رجل من أمتك
عليه أمانة لايستطيع أداءها وهو يزيد عليها ثم أتى على قوم تقرض شفاههم
بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لايفتر عنهم شئ قال ياجبريل
من هؤلاء قال هؤلاء خطباء الفتنة ثم أتى على حجر صغير يخرج منه ثور عظيم
فجعل الثور يريد أن يدخل من حيث خرج فلايستطيع قال ماهذا ياجبريل
قال هذا الرجل يتكلم بكلمة فيندم عليها فيريد أن يردها فلايستطيع وذكر
الحديث .. وله أيضا من حديث أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه في الاسراء
عن النبي صلي الله عليه وسلم قال فصعدت أنا وجبريل فاستفتح جبريل فاذا
بآدم كهيئته يوم خلقه الله على صورته تعرض له أرواح ذريته من المؤمنين
فيقول روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها في عليين ثم تعرض عليه أرواح ذريته
من الفجار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها في سجين ثم مضيت هنية
فاذا بأخونة عليها لحم مشرح ليس يقربها أحد واذا باخونة أخرى عليها لحم
قد أروح وأنتن وعندها ناس يأكلون منه قلت ياجبريل من هؤلاء قال
هؤلاء يتركون الحلال ويأتون الحرام ثم مضيت هنية فاذا بقوم بطونهم أمثال

البيوت كما نهض أحدهم خرَّ يقول اللهم لا تقم الساعة وهم على سابلة آل فرعون فتجيءُ السابلة فتطؤهم فيصبحون قلت ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون الربا لايقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ثم مضيت هنية فاذا بقوم مشافرهم كشافر الابل فتفتح أفواههم فيلقمون الجمر ثم يخرج من أسافلهم فسمعتهم يضجون قلت من هؤلاء قال الذين يأكلون أموال اليتامى ثم مضيت هنية فاذا بنساء معلقات بثديهن فسمعتهن يصحن قلت من هؤلاء قال هؤلاء الزواني ثم مضيت هنية فاذا أنا بقوم يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمون فيقال كل كما كنت تأكل من لحم أخيك قلت من هؤلاء قال هؤلاء الهمازون من أمتك وذكر الحديث بطوله .. ولأبى داود عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لما عرج بى مررت بأقوام لهم أظفار منْ نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء ياجبريل قال الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى اعراضهم وهذا كما أنه مقتضى الاحاديث الصحيحة فهومتفق عليه بين أهل السنة قال المروزى قال أبو عبد الله يعنى أحمد بن حنبل لاينكره الاضال مضل وقال حنبل قلت لابى عبد الله فى عذاب القبر فقال هذه أحاديث صحاح نؤمن بها ونقربها كلما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد جيد أقررنا به اذا لم نقر بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم رددنا على الله أمره قال تعالى ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ قال وسمعت أبا عبد الله يقول نؤمن بعذاب القبر ومنكر ونكير وان العبد يسئل فى قبره ﴿ فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ﴾ فى القبر وقال أحمد بن القاسم قلت ياأبا عبد الله تقر بمنكر ونكير وبما يروى فى عذاب القبر قال سبحان الله نعم نقر بذلك

ونقوله .. قلت وهذه اللفظة تقول منكر ونكير هكذا أو تقول ملكين قل منكر ونكير .. قلت يقولون ليس فى حديث منكر ونكير قال هكذا يعنى انهما منكر ونكير .. واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ فكل ميت أراد الله تعذيبه ناله ما أراده به قبر او لم يقبر ولوصلب أوغرق فى البحر ولو أكلته الدواب أو حرق حتي صار رماداً وذرى فى الريح فسبحان ذى القدرة الشاملة والعظمة الباهرة الكاملة .. وأما محل العذاب فالروح والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة فاذا مات العبد تبقي روحه منعمة أو معذبة تارة منفردة عن البدن الا عند من شدد فقال انما الروح الحياة ولا تبقي بعد فراق البدن وتارة تتصل به وهو متصل بها فيكون النعيم والعذاب عليهما فى هذه الحالة مجتمعين وهل يكون النعيم والعذاب للبدن بدون الروح فيه قولان مشهوران لاهل الحديث وأهل الكلام .. والحاصل أن مذهب سلف الامة أن المرء اذا مات يكون فى نعيم أو عذاب وأن ذلك يحصل لروحه و بدنه وان الروح تبقي بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة وأنها تتصل بالبدن أحياناً يحصل له معها النعيم أو العذاب فاذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الارواح الى الاجساد .. وجميع هذا ثابت بالكتاب والسنة واتفاق الامة ومعاد الابدان متفق عليه بين أهل الشرائع المسلمين واليهود والنصاري .. وانما أوقع من أحال عذاب القبر فى الضلال قياسهم غيب المآل علي شاهد الحال .. والجواب عن شبههم أنا نعلم أن الرسل صلوات الله عليهم وسلامه لم يخبروا بما يحيله العقل غاية مايقال انهم قد يخبرون بما لا تدركه العقول بمجردها كالغيوب من تفاصيل البرزخ واليوم الآخر والثواب والعقاب ولا يكون خبرهم محالا فى العقل أصلا بل كل خبر يظن أن العقل يحيله فلا يخلوا من أمرين أحدهما أن يكون كذبا

عليهم والثانى أن يكون ذلك العقل فاسداً قال الله تعالى ﴿ أفمن يعلم أن ما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى ﴾ وهذا ينفع بأمور ملا كما أن تمعن النظر فى السنة مع التلبس بأثواب الافتقار والتضرع للملك الجبار حتى تفهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم مراده من غير غلو ولا تقصير فلا تحمل كلامه مالا يحتمله ولا تقصر به عن مراده وقد حصل باهمال ذلك من الضلال مالا يعلمه الا الله وسوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة بل أصل كل خطأ فى الاصول والفروع لاسيما إن أضيف اليه سوء القصد وانك ربما مررت علي الكتاب من أوله الى آخره فلا تجد صاحبه فهم عن الله ورسوله مراده كما ينبغى فى موضع واحد وهذا انما تعرفه اذا عرضت الآراء على ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم. وأما من عكس هذا الأمر فعرض ماجاء به الرسول على ما اعتقده مما قلد فيه من أحسن الظن فهو في الضلال لا ينفعه جدال فقد يتفق الغلط من المتبوع فيتبعه مقلده احساناً للظن أو لسوء قصد نسئل الله العافية من ذلك وأن لا يكلنا الى أنفسنا طرفة عين ولا الى أحد من خلقه انه حسبنا ونعم الوكيل .. الامر الأول أن الله جعل الدور ثلاثة دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار وجعل لكل دار أحكاماً تختص بها وركب هذا الانسان من بدن ونفس وجعل أحكام دار الدنيا على الابدان والأرواح تبع لها ولهذا جعل الأحكام الشرعية مرتبة على مايظهر من حركات اللسان والجوارح وان أضمرت النفوس خلافه وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبع لها فكما تبعت الأرواح الأبدان فى أحكام الدنيا فتألمت بألمها والتذت براحتها وكانت هي التى باشرت أسباب النعيم والعذاب تبعت الابدان الأرواح في القبور في نعيمها وعذابها والارواح حينئذ

هي التي تباشر العذاب والنعيم فالابدان هنا ظاهرة والارواح خفية والابدان كالقبور لها والارواح هناك ظاهرة والابدان خفية في قبورها تجرى أحكام البرزخ على الارواح فتسري الى أبدانها نعيما وعذاباً كما تجري أحكام الدنيا على الابدان فتسري الي الارواح كذلك وجعل أحكام الدار الاخرة على الارواح والابدان معاً فأحط بهذا الموضع علماً يزل عنك كل اشكال وقد أراك الله تعالى نموذجاً في الدنيا من حال النائم فان ما ينعم به أو يعذب يجرى على روحه أصلا والبدن تبع له وقد يتعدى أثره الى البدن تأثيراً مشاهداً فيري النائم أنه عذب أو نعم فيصبح وأثر ذلك في جسمه ونحو ذلك ذكر الحرث ابن أسد المحاسبي وأصبغ وخلف بن القاسم وجماعة عن سعيد بن سلمة قال بينا امرأة عند عائشة اذ قالت بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا أشرك بالله شيئاً ولا أسرق ولا أزنى ولا أقتل ولدي ولا أتى ببهتان أفتريه بين يدى ورجلى ولا أعصى في معروف فوفيت لربى فوالله لا يعذبني الله تعالى فأتاها في المنام ملك فقال لها كلا انك تتبرجين وزينتك تبدين وخيرك تكدرين وجارك تؤذين وزوجك تعصين ثم وضع أصابعه الخمس على وجهها فقال خمس بخمس ولو زدت زدناك فأصبحت وأثر الاصابع في وجهها ..

وقال عبد الرحمن بن القاسم صاحب مالك سمعت مالكا يقول ان يعقوب ابن عبد الله بن الاشج كان من خيار هذه الامة نام في اليوم الذى استشهد فيه فقال لاصحابه انى قد رأيت أمراً ولأخبرن به انى رأيت كأنى أدخلت الجنة فسقيت لبناً فاستقاء فقاء اللبن واستشهد بعد ذلك قال ابن القاسم وكان في غزوة في البحر بموضع لا لبن فيه وقد سمعت غير مالك يذكره ويذكر أنه معروف فقال انى رأيت كأنى أدخلت الجنة فسقيت فيها لبناً فقال له بعض

القوم أقسمت عليك الا تقيأت فقاءلبنا يصلد وما فى السفينة لبن ولا شاة •• يصلد
أى يبرق •• وذكر مسعدة في كتابه عن ربيع بن يزيد الرقاشى قال أتانى
رجلان فقعدا الىّ فاغتابا رجلا فنهيتهما فأتانى أحدهما بعد ذلك فقال انى رأيت
فى المنام كأن زنجياً أتانى بطبق عليه جنب خنزير لم أر لحماً قط أسمن منه
فقال لى كل فقلت آكل لحم خنزير فتهددنى فأكلت فأصبحت وقد تغير
فمى فلم يزل يجد الريح فى فمه شهرين وكان العلاء بن زياد له وقت يقوم فيه
فقال لاهله ليلة أنى أجد فترة فاذا كان وقت كذا فأيقظونى فلم يفعلوا قال
فأتاني آت فى منامى فقال قم علاء بن زياد الله يذكرك وأخذ شعرات فى
مقدم رأسى فقامت تلك الشعرات فى مقدم رأسه فلم تزل قائمة حتى مات قال
يحيي بن بسطام فلقد غسلناه يوم مات وهن قيام فى رأسه ••وكان سماك بن
حرب قد ذهب بصره فرأى ابراهيم الخليل عليه السلام فى المنام فمسح على
عينيه وقال اذهب الي الفرات فانغمس فيها ثلاثاً ففعل فأبصر •• وكان اسمعيل
ابن بلال الحضرمي قد عمي فأتى فى المنام فقيل له قل ياقريب يامجيب ياسميع
الدعاء يا لطيفا بما يشاء أردد على بصرى فقاله فأبصر ••قال القيروانى وأخبرنى
شيخ من أهل الفضل أخبرنى فقيه قال كان عندنا رجل يكثر الصوم و يسرده
ولكنه كان يؤخر الفطر فرأى فى المنام كأن اسودين أخذا بضبعيه وأتيا به
الي تنور محمي يلقيانه فيه قال فقلت لهما على ماذا فقالا علي خلافك لسنة رسول الله
صلي الله عليه وسلم فانه أمر بتعجيل الفطر وأنت تؤخره قال فأصبح وجهه قد
اسود من وهج النار فكان يمشى متبرقعاً فى الناس •• وأعجب من ذلك
أنك ربما رأيت النائم يقوم ويضرب ويبطش ويتكلم كأنه يقظان وهو نائم
لاشعور له بشئ من ذلك لكن الحكم لما جرى علي الروح استعانت بالبدن

من خارجه ولو دخلت فيه استيقظ فاذا كانت الروح هنا يتألم ويتنعم فيصل ذلك الى البــدن بطريق الاستتباع ففى البرزخ أقوى فاذا كان يوم الحشر صار الحكم على الارواح والاجساد معا كل منهما أصل فى ذلك ومتى أعطيت هذا الموضع حقه لاحت لك أسرار أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر ونعيمه ومن أشكل عليه شيء من ذلك فمن غلظ كبده ورداءة فهمه ونقده .. وأغرب من ذلك أنك ترى النائمين فى فراش هذا روحه في نعيم وهذا روحه في عذاب وربما استيقظا أو أحدهما وأثر ذلك موجود ولا شعور لاحدهما بما فيه الآخر

قلت بل ولا حاجة فى هذا المقام الى التمثيل بالمنام فانك حال يقظتك ربما شاهدت النعيم لروحك فقط بالفرح والسرور والرضوان والعذاب كذلك بالقبض والهموم والأحزان وربما ظهر أثرها على البدن من هزال وسمن وربما لم يظهر وربما كان أعز الناس عليك الى جانبك فى لهو ولعب وليس عنده شعور بما انت فيه وربما رأيت حصول ذلك للروح بواسطة البدن بنحو الاكل والشرب والجماع والضرب والطعن والدفاع والله أعلم .. الامر الثانى أن الله تعالى حجب أمر الآخرة وما كان متصلا بها عن ادراك المكلفين في هذه الدار وذلك من كمال حكمته ليتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم فأول ذلك نزول الملائكة على المحتضر على الهيآت التي تقدمت فى الاحاديث وقد يسلمون عليه فيرد عليهم بلفظه أو اشارته وربما سأل من عنده عنهم من أين هؤلاء الرجال الحسان ونحو ذلك وكل من امتدت حياته فى هذه الدار رأى من ذلك مايغنيه عن الاخبار ويكفي من ذلك قوله تعالى ﴿ حتي اذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون ﴾ أي أقرب

بملائكتنا ورسلنا الى غير ذلك من قبض الروح وخروجها والشعاع الذي
يخرج معها والريح الطيب أو الخبيث وهو غير مرئيٍ لنا ولا محسوس وهوفى
هذه الدار ثم تأتي الروح فتشاهد غسل الميت وتكفينه وحمله ٠٠ روي البخارى
عن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم فان كانت صالحة قالت قدموني
وان كانت غير صالحة قالت ياويلها أين تذهبون بها يسمع صوتها كل شيء الا
الانسان وقد ثبت نحو هذا فى هذه الدار وأطلع الله عليه بعض من اختار فهذا
جبريل كان ينزل على النبي صلي الله عليه وسلم ويتمثل له رجلا يكلمه تارة
بكلام الرجال وتارة مثل صلصلة الجرس ويدارسه القرآن ويشاهد الصحابة
من النبي صلى الله عليه وسلم من الاحوال الاضطرارية الطبيعية ما يعلم بها مجيئه
اليه قطعا من غير إخبار ولا يسمعون كلامه ولا يرون شخصه وربما رآه بعضهم
كما فى صحيح الاخبار وقد كانت الملائكة تضرب الكفار بالسياط
وتصيح بهم ويراهم الكفار ويسمعونهم كما أخبر كثير منهم بذلك بعد اسلامه
ولا يسمعهم المسلمون ولا يرونهم وكل من له نظر فى كتب السنة الصحيحة
قطع بذلك وهذه الجن تتكلم بالاصوات المرتفعة بيننا ونحن لا نسمعهم والعبد
أضعف بصراً وسمعاً من أن يثبت لمشاهدة عذاب القبر وربما كشف لبعض
الناس عن شيء فربما ثبت وربما صعق

قلت ولقد سمعت وأنا مراهق الكلام من القبور فى بلدنا بالبقاع
مرتين المرة الاولي وشخص من أقاربي يدفن وهناك ناس كثير فاذا أنين
طويل من قبر الى جانبي بما تكون الانة الواحدة منه فى مقدار ربع درجة
ولم يسمعه أحد ممن الى جانبي فسألت عنه فاذا هو شخص من أقاربي كان

صفا كالدماء أسأل الله تعالى أن يتجاوز عنه ويدخله وايانا في رحمته انه أهل التقوى وأهل المغفرة. والمرة الثانية كنت ماشياً أنا وجدي لامي على بن محمد السليمى بالتصغير متقاربين جداً فاذا قبور عن شمائلنا وقد خرج من قبر منها كلام متصل نحو عشر كلمات بينة الاحرف لم أفهم منها شيئاً لكنها على صورة التهديد والتقريع فقلت لجدى هل سمعت هذا الكلام من هذا القبر فقال لا .. وسمعت باذنى الهاتف مراراً في بلدنا في مكانين لناس صالحين منها كلمى بغيب وقع بعد قليل كنت أتردد فى ذلك السن أيضاً الى زاويتهم وتعرف بزواية الشيخ موسى أدرس ماضى من القرآن فى المصحف فاجلس وحدى فاسمع من الزاوية القبلية الشرقية قائلا يقول يقتلون أباك وليس بها ديار ولا ساتر للابصار وكنت اذا مررت على قبور أصحاب الزاوية سمعت مثل ذلك فقتل أبى وجماعة من أقاربه بعد ذلك بقليل بغتة فى كائنة جرت والله أعلم وليس بعزيز على من أوجد هذا الانسان من العدم وجعله حيا عالماً سميعاً بصيراً بعد ان لم يكن شيئاً مذكوراً أن يجمع أجزاءه بعد أن تفرقت رماداً فى هواء البر والبحر وفى حواصل الطير وبطون السباع ويجعل للروح اتصالا بها لتحس بالعذاب والنعيم فقد أرانا أعجب من ذلك بأن جعل فى الجمادات شعوراً وادراكا فقد صح أنه صلى الله عليه وسلم كان يسمع تسليم الحجر والشجر عليه وأن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يسمعون تسبيح الطعام وهو يؤكل والحصا فى أيديهم .. وأما حنين الجذع فاشهر من أن يذكر

قلت الامر الثالث اتساع القبر وضيقه ونوره وظلمته أمر معلوم من الدين بالضرورة لا مرية فيه لمتشرع لما فى الصحيحين وغيرهما من حديث أنس

ابن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال ان العبد اذا
وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه انه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه
فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد فأما المؤمن فيقول أشهد أنه
عبد الله ورسوله فيقال له أنظر الى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً
من الجنة فيراهما جميعاً قال قتادة وذكر لنا أنه يفسح فى قبره سبعون ذراعاً
ويملأ عليه خضراً الي يوم يبعثون ثم رجع الى حديث أنس وأما الكافر
والمنافق فيقولان له ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول لاأدرى كنت أقول
ما يقول الناس فيقولان لادريت ولا تليت ثم يضرب بمطارق من حديد بين
أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من عليها الا الثقلين ٠٠ وعند احمد وأبوى داود
الطيالسي والسجستانى وابن ماجة وأبي عوانة من حديث البراء الطويل الذى
تقدم فى اعادة الروح الى الجسد فى القبر عند مايجيب الملكين بالحق فينادى
مناد من السماء أن قد صدق عبدى فألبسوه من الجنة وأفرشوه منها وأروه
منزله منها فيلبس من الحرائر ويفرش منها ويرى منزله منها ويفسح له مد بصره
ويمثل له عمله فى صورة رجل حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول له
إبشر بما أعد الله لك الحديث وقد تقدم في أول هذه المسئلة ما ينضم الى هذا
٠٠ وعند النسائي وابن ماجة من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن
رسول الله صلي الله عليه وسلم قال ان الرجل اذا مات بغير مولده قيس له من
مولده الى منقطع أثره فى الجنة ٠٠ وعند الشيخين وهذا لفظ مسلم من حديث
أبى هريرة فى قصة الذى كان يقم المسجد ودفنهم له من غير إعلام النبي صلى
الله عليه وسلم وأن النبي صلى الله عليه وسلم صلي على قبره وفيه وهى زيادة لمسلم ان
هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها وأن الله عز وجل ينورها لهم بصلاتى عليهم

والله أعلم .. وفي مسند احمد ومعجم الطبراني الوسط بسند حسن وصحيح ابن حبان عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلي الله عليه وسلم قال ان الميت اذا وضع في قبره والذي نفسي بيده انه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه مدبرين فان كان مؤمنا كانت الصلاة عند رأسه والصيام عن يمينه والزكاة عن شماله وفى رواية الطبراني الزكاة عن يمينه والصوم عن شماله وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والاحسان عند رجليه فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة ما قبلي مدخل ثم يؤتي عن يمينه فيقول الصيام وعند الطبرانى الزكاة ماقبلى مدخل ثم يؤتى عن يساره فتقول الزكاة وعند الطبراني الصوم ما قبلى مدخل ثم يؤتي من قبل رجليه فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والاحسان ما قبلى مدخل وفى رواية الطبراني يؤتي الرجل فى قبره فاذا أتى من قبل رأسه دفعته تلاوة القرآن واذا أتى من قبل يديه دفعته الصدقة واذا أتي من قبل رجليه دفعه مشيه الى المساجد فيقال له اجلس فيجلس قد مثلت له الشمس وقد أضيفت للغروب فيقال هذا الرجل الذي كان فيكم يعنى النبي صلى الله عليه وسلم ما تقول فيه وماتشهد به عليه فيقول دعونى حتى أصلى فيقولون انك ستصلى أخبرنا عما نسئلك عنه أرأيتك هذا الرجل الذى كان فيكم ما تقول فيه وما تشهد عليه فيقول محمد أشهد أنه رسول الله جاءنا بالحق من عند الله وفى رواية الطبرانى بالبينات من عند ربنا فصدقنا واتبعنا فيقال له صدقت على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث ان شاء الله فيقال أفتحوا له بابا الى النار فيفتح له باب الى النار فيقال له هذا كان منزلك لو عصيت الله عز وجل فيزداد غبطة وسروراً ويقال افتحوا له بابا الي الجنة فيفتح له باب الى الجنة فيقال هذا مقعدك وما أعد الله لك فيها فيزداد غبطة

وسروراً ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعا وفى رواية مد بصره وينور له فيه ويعاد الجسد لما بدئ منه ونجعل نسمته فى القسم الطيب وهي طير يعلق فى شجر الجنة فذلك قول الله تعالى ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ﴾ وأما الكافر فيؤتى فى قبره من قبل رأسه فلا يوجد شيء ثم أتى عن يمينه فلا يوجد شيء ثم أتى عن شماله فلا يوجد شيء فيؤتى من قبل رجليه فلا يوجد شيء فيقال له اجلس فيجلس خائفاً مرعوباً فيقال له ما تقول في هذا الرجل الذى كان فيكم وماتشهد به فلايهتدى لاسمه فيقال محمد صلى الله عليه وسلم فيقول سمعت الناس يقولون شيئاً فقلت كما قالوا فيقال له صدقت على هذا حييت وعليه مت وعليه تبعث ان شاء الله فيضيق عليه فى قبره الى أن تختلف أضلاعه فتلك المعيشة الضنك التى قال الله تعالى ﴿ فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ فيقال افتحوا له بابا الى الجنة فيفتح له باب الي الجنة فيقال هذا كان منزلك وما أعد الله لك لو كنت أطعته فيزداد حسرة وثبوراً ثم يقال افتحوا له بابا الى النار فيفتح له باب اليها فيقال له هذا منزلك وما أعد الله لك فيزداد حسرة وثبوراً قال الطبرانى لم يروه عن محمد بن عمرو يعنى بن علقمة بهذا التمام الاحماد بن سلمة تفرد به أبو عمر الضرير

قلت وهو حفص بن عمر الكبير صدوق ولابي يعلى وابن حبان فى صحيحه عن أبى هريرة أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن لفي قبره فى روضة خضراء فيرحب له قبره سبعين ذراعاً وينور له كالقمر ليلة البدر أتدرون فيما أنزلت هذه الآية ﴿ فان له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ قال أتدرون ما المعيشة الضنكا. قالوا الله ورسوله أعلم قال عذاب

الكافر في قبره والذى نفسي بيده انه يسلط عليه تسعة وتسعون تنيناً أتدرون
ما التنين سبعون حية لكل حية سبعة أروس يلسعونهُ ويخدشونهُ الى يوم
القيامة انتهي •• وروى النسائى في سننه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا الذي تحرك له العرش وفتحت له أبواب
السماء وشهده سبعون ألفاً من الملائكة لقد ضم ضمة ثم فرج عنهُ قال النسائى
يعنى سعد بن معاذ وله عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ •• وقال هناد بن
السرى حدثنا محمد بن فضيل عن أبيه عن ابن أبي مليكة قال ما أجير من
ضغطة القبر أحد ولا سعد بن معاذ الذى منديل من مناديله خير من الدنيا وما
فيها وحدثنا عبدة بن عبيد الله بن عمر عن نافع قال لقد بلغنى أنهُ شهد جنازة
سعد بن معاذ سبعون ألف ملك لم ينزلوا الى الأرض قط ولقد بلغنى أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد ضم صاحبكم فى القبر ضمة •• وقال
علي بن معبد حدثنا عبد الله عن يزيد بن أبي أنيسة عن جابر عن نافع قال
أتتنا صفية بنت أبى عبيد امرأة عبد الله بن عمر وهي فزعة فقلنا ما شأنك
فقالت جئت من عند بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم فحدثتنى أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان كنت لارى لو أن أحداً أعفي من عذاب القبر
لأعفى منه سعد بن معاذ لقد ضم ضمة •• وحدثنا مروان بن معاوية عن علاء
ابن المسيب عن معاوية العبسى عن زادان عن ابن عمر قال لما دفن رسول الله
صلى اللهُ عليه وسلم ابنته جلس عند القبر فتغير وجهه ثم سرى عنه فقال له
أصحابه رأينا وجهك آنفاً ثم سرى عنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذكرت
ابنتى وضعفها وعذاب القبر فدعوت الله ففرج عنها وايم الله لقد ضمت ضمة

سمعها ما بين الخافقين

قلت وقد أخرجه الطبرانى فى الأوسط بسند رجاله ثقات فقال حدثنا عبد الله الحضرمي هو أبوجعفر مطين أخبرنا عثمان بن أبى شيبة أخبرنا اسحاق ابن سليمان الرازي عن زكريا بن سلام عن سعيد بن مسروق عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال لما ماتت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حزن ثم سرى عنه فقلنا يارسول الله رأينا منك مالم نر قال ذكرت زينب وضعفها وضغطة القبر(١) لقدهون عليها وعلى ذلك لقد ضغطها ضغطة بلغت الخافقين انتهي رجع الى عليّ بن معبد قال وحدثنا شعيب عن ابن دينار عن ابراهيم الغنوى عن رجل قال كنت عند عائشة رضى الله عنها فمرت جنازة صبي فبكت فقلت لها ما يبكيك ياأم المؤمنين فقالت هذا الصبي بكيت له شفقة عليه من ضمة القبر

قلت وهذا حكمه حكم المرفوع فانه لامجال للرأى فيه وقد رفعه الطبرانى فى الاوسط بسند حسن ان شاء الله عن أنس رضى الله أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على صبي أوصبية وقال لو كان نجا أحد من ضمة القبر لنجا هذا الصبي وهذه السعة والضيق على غير ما نشاهده يقظة في هذه الدار نعم أنت خبير به فى عالم النوم فربما كنت نائماً فى الصحراء فرأيت أنك فى ضيق يكاد يزهق الأرواح وربما كنت نائماً فى أضيق الأماكن فرأيت أنك فيما يعجز الوصف من السعة والخفض والدعة على أنك لا تعدم في كمال حسك نمطاً من ذلك هذا الوتد اذا ضربته فى الارض الصلبة انضم له بعض التراب الى بعض حتي يدخل فاذا أخرجته صار مكانه خلوا على مقدار ثخنه فاذا كان هذا

(١) هكذا في الاصل وليراجع

خلك وأنت أضعف قوة وأومى أمراً فكيف يمتنع ما هو أعظم من ذلك على ذى القدرة الشاملة والقوة الكاملة هل يمتنع عليه أن يأمر وهو المطاع الامر الارض فينزوى بعضها الي بعض حتى يتسع لهذا الميت فى لحد منها مقدار ما يريده وأى عقل يمنع من ذلك أشهد أنه لا يمترى فى هذا الا أعمي القلب غليظ الكبد والله الموفق .. قال المصنف واتساع القبر للروح بالذات والبدن تبع لها فيكون البدن في لحد أضيق من ذراع وقد فسح له مد بصره تبعاً لروحه وقد أخبرنا بعض الصادقين أنه حفر ثلاثة أقبر فلما فرغ منها اضطجع ليستريح فرأى فيما يرى النائم ملكين نزلا فوقفا على أحد الاقبر فقال أحدهما لصاحبه أكتب فرسخا في فرسخ ثم وقفا على الثانى فقال أكتب ميلا فى ميل ثم وقفا علي الثالث فقال أكتب فتراً فى فتر ثم انتبه فجيء برجل غريب لايؤبه له فدفن فى الاول ثم جيء برجل آخر فدفن فى الثانى ثم جيء بامرأة مترفة من وجوه البلد حولها ناس كثير فدفنت في القبر الضيق الذي سمعه فتر فى فتر - والفتر - بالفاء المكسورة والفوقية الساكنة مابين رأسى الابهام والسبابة .. الأمر الرابع أن الميت اذا وضع فى لحده ودفن لم يحجب التراب الملائكة عن الوصول اليه بل لو نقر له حجر واودع فيه وختم عليه بالرصاص لم يمنع وصولهم اليه فان هذه الاجسام الكثيفة لاتمنع خرق الارواح لها وأنت ربما شاهدت من الجن في ذلك العجائب وقد جعل الله الحجارة والتراب للملائكة بمنزلة الهواء للطير

قلت ولا بدع فى ذلك فقد أراك الله من نحوه نمطاً غريباً ومثالا عجيباً وهو أن الماء قريب من التراب فى الكثافة ومن الهواء فى اللطافة فهو درجة بين درجتين وقد جعله الله للسابح مناغير بعيد من منزلة الهواء للطير ولغير السابح

قريباً من منزلة الهواء لنا وجعل المـاء للسمك بمنزلة الهواء للطير سواء تقف فيه وتبصر وتبطش وتكسر وجعل بعض الاجسام يوسعه و يغوص فيه قهرا لايمكن فيه غير ذلك كالحديد والحجر و بعضـها يطيش على ظهره كالخشب ولا يوسعه و يغوص فيه إلا با كراه وجعل التراب للآلة الرفيعة من الحديد الذكر بمنزلة الماءلنا وجعل الاجسام الشديدةالصلابة لحجر الماس بمنزلة التراب للآلة الدقيقة من الحديد وسلط عليـه الرصاص الذى هو أرخي المعادن فكسره وانظر الى سريان عروق النبات فى الاراضى الصماء وخوارق العادات التي تواترت لنا عن الانبياء والصالحين كلها أمثلة عظيمة لهذا فمن كذب بجميع ذلك فهو حمار أو مكابر وقد سقط معـه الكلام الا بحد الحسام الباتر فسبحان من جلى بعض القلوب فأضاءهاوطمس بعضها وا كثف حجابها وغطاها(إن فى ذلك لذ كرى لمن كان له قلب أو ألقى السـمع وهو شهيد).. الامر الخامس ان النار التى في القبر والخضرة ليستا من نار الدنيا ولا نباتها ولاتحس به أهل الدنيا فالله تعـالى يحمى على الميت ذلك التراب وتلك الحجارة التى فوقه وتحته حتى تكون أعظم حراً من نار الدنيا بما لا يعلمه الا الله ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بذلك بل أعجب من هذا أن الرجلين يدفنان أحدهما الى جنب الآخر وهذا فى حفرة من حفر النار لايصل حرها الى جاره بل ربما كان في روضة من رياض الجنـة وقد أرانا اللهُ تعالي من آثار قدرته في هذه الدار ما هو أعجب من ذلك لـكن النفوس مولعـة بالتـكذيب بما لم تحط به علما الامن وفقه اللهُ

قلت والنار التىظهرت بالمدينة الشريفة فى جمادي الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة من المثل العظيمة لذلك وقد ذهبت الي موضعها فى مجاورتى

بطية المكرمة سنة تسع وأربعين وثمانمائة ورأيت من آثارها العجب قال
الامام زين الدين أبو بكر بن الحسين المراغي في تاريخ المدينة وكان ظهورها
من واد يقال له احيلين يعنى بالمهملة وكسر اللام وفتح التحتانية مصغراً
مثنى في الحرة الشرقية وسارت من مخرجها الى جهة الشمال مدة ثلاثة أشهر
تدب ديبب النمل تأكل كلما مرت عليه من جبل وحجر ولا تأكل الشجر فلا
تمر على شيء من ذلك الاصار سداً لامسلك لانسان فيه ولادابة الى منتهي
الحرة من جهة الشمال فقطعت في وسط وادى الشظاة المذكورة الى جهة جبل
وعيرة يعنى بمهملتين مصغر فسدت الوادي المذكور بسد عظيم بالحجر المسبوك
لا يصفه الا من رآه طولا وعرضاً وارتفاعا وانقطع وادى الشظاة بسببه وصار
السيل ينحبس خلف السد المذكور وهو واد عظيم فتجتمع خلفه المياه حتى
يصير بحراً مد البصر عرضاً وطولا كأنه نيل مصر عند زيادته قال المطري
شاهدته كذلك في شهر رجب من سنة تسع وعشرين وسبعمائة قال وأخبرني
علم الدين سنجر العزي عتيق الامير يوسف بن شبحة صاحب المدينة الشريفة
رحمه الله أن الأمير أرسله بعد ظهور النار بأيام ومعه شخص من العرب
ليتحققا أمرها قال ونحن فارسان الى أن قربنا منها فلم نجد لها حراً فنزلت عن
فرسى وسرت الى أن وصلت اليها وهى تأكل الصخر والحجر وأخذت سهما
من كنانتي ومددت به يدى الى أن وصل النصل اليها فلم أجد لذلك ألماً ولا
حراً فاحترق النصل ولم يحترق العود فأدرت السهم وأدخلت فيها الريش
فاحترق ولم يؤثر في العود قال وأخبرني بعض من أدركنا من النساء انهن
كن يغزلن على ضوئها بالليل على اسطحة المدينة وقال الشريف الجرجاني في
شرح المواقف في الكلام على القسم الخامس من الفصل الثاني من المرصد

الاول من موقف الجواهر فى الكلام علي حر الشمس وأنه يصعد الى الجو أجزاء منها نارية وأرضية وهو الدخان وأنه ليس ينحصر كما تعورف فى الجسم الاسود الذى يرتفع مما يحترق بالنار الي أن قال إنه يتصاعد الى أن يخالط السحاب وقد يشتعل بقوة التسخين فيكون منه لطيف وكثيف فلطيفه ينطفي سريعاً وهو البرق وكثيفه لا ينطفي حتى يصل الي الارض وهو الصاعقة واذا وصل اليها فر بماصار لطيفاً ينفذ فى المتخلخل ولايحرقه ويذيب الأجسام المندمجة فيذيب الذهب والفضة في الصرة مثلا ولا يحرقها الا مااحترق من الذوب وقد أخبرنا أهل التواتر بأن الصاعقة وقعت بشيراز علي قبة الشيخ الكبير أبى عبد الله بن حفيف قدس اللهُ سره فأذابت قنديلا فيها ولم تحرق شيئاً منها وربما كان كثيفاً غليظاً جداً فيحرق كل شئ أصابه واللهُ أعلم .. فكيف ينكر فى الحكمة الإلهية إسبال غطاء يحول بين المكلفين وبين مشاهدة ما يريد اللهُ عز وجل اخفاءه حتي اذا كشف الغطاء رأوه وشاهدوه عياناً وقد يطلع على ذلك بعض عبيده ولواطلع الكل عليه لزالت حكمة التكليف والايمان بالغيب ولتدافن الناس كما فى الصحيحين فى حديث زيد ابن ثابت الماضي لولا أن تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع .. وسر ذلك كله أن مافي البرزخ من النبات والنار والسعة والضيق ليس من جنس المعهود فى الدنيا فلا مانع من سؤال الملكين الميت ولو كان بين الناس ملقي أو على جذع مصلوباً ويعذبانه أو ينعمانه ولايحس الناس بذلك هذا الواحد منا ينام الي جنبه صاحبه فيعذب فى النوم بما قد يرى أثره عليه بعد ان يستيقظ وليس عند من الى جنبه علم بذلك البتة .. وحدثنى صاحبنا أبوعبد الله محمد بن الوزير الحرانى أنه خرج من داره بعد العصر بآمد الى بستان

قال فلما كان قبل غروب الشمس توسطت القبور فاذا قبر خرج منه جمرة نار
مثل كور الزجاج والميت فى وسطه فجعلت أمسح عينى وأقول أنائم أنا أو يقظان
ثم التفت الى سور المدينة وقلت والله ما أنا بنـائم ثم ذهبت الى أهلى وأنا
مدهوش فأتونى بطعام فلم أستطع الأكل ثم سألت عن صاحب القبر فاذا هو
مكاس قد توفى فى ذلك اليوم .. وذكر ابن أبي الدنيا فى كتاب القبور عن
الشعبي أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم مررت ببدر فرأيت رجلا يخرج
من الارض فيضربه رجل بمقمعة حتى يغيب فى الارض ثم يخرج فيفعل به
ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أبوجهل بن هشام يفعل به
الى يوم القيامة .. وذكر من طريق حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن
سالم بن عبدالله بن عمر عن أبيه قال بينما أنا أسير بين مكة والمدينة على راحلة
وأنا محتقب أداوة اذ مررت بمقبرة فاذا رجل خارج من قبره يلتهب ناراً وفي
عنقه سلسلة يجرها فقال يا عبد الله انضح فوالله ما أدرى أعرفنى باسمى أو
كما يدعوا الناس فخرج آخر فقال ياعبدالله لاتنضح ثم اجتذب السلسلة فأعاده
في قبره .. قال وحدثنى أبى أخبرنا موسى بن داود أخبرنا حماد بن سلمة
عن هشام بن عروة عن أبيه قال بينما راكب يسير بين مكة والمدينة اذ مر
بمقبرة فاذا برجل قد خرج من قبره يلتهب ناراً مصفداً في الحديد فقال
يا عبد الله انضح ياعبدالله انضح وخرج آخر يتلوه فقال ياعبد الله لاتنضح
يا عبدالله لاتنضح وغشى على الراكب وعدلت به راحلته الى العرج وأصبح
وقد ابيض شعره فأخبر عثمان بذلك فنهى أن يسافر الرجل وحده وذكر
عن حصين الاسدى قال سمعت مرثد بن حوشب قال كنت جالساً عند
يوسف بن عمر والى جنبه رجل كأن شقة وجهه صفحة من حديد فقال له

يوسف حدث مرثدا بما رأيت قال كنت شاباً قد أتيت هذه الفواحش فلما
وقع الطاعون قلت أخرج الى ثغر من هذه الثغور ثم رأيت أن أحفر القبور
فاني لليلة بين المغرب والعشاء قد حفرت قبرا وأنا متكئ على تراب قبر آخر
اذ جيئ بجنازة رجل حتى دفن في ذلك القبر وسووا عليه فأقبل عليه طيران
أبيضان مثل البعيرين سقط أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه ثم أثاراه
ثم تدلى أحدهما في القبر والآخر على شفيره فجئت حتى جلست على شفير
القبر وكنت رجلا لا يملأ جوفي شئ فسمعته يقول ألست الزائر أصهارك في
ثوبين ممصرين تسحبهما كبرا تمشي الخيلاء فقال أنا أضعف من ذلك فضربه
ضربة امتلأ القبر حتي فاض ماء ودهنا ثم عاد واعاد عليه القول حتى ضربه
ثلاث ضربات كل ذلك يقول ذلك ويذكر أن القبر يفيض ماء ودهنا قال
فرفع رأسه فنظر الى فقال أنظروا أين هو جالس نكسه الله ثم ضرب جانب
وجهي فسقطت فمكثت ليلتي حتى أصبحت ثم أخذت أنظر الي القبر فاذا
هو على حاله .. فهذا ماء ودهن في رأى العين لهذا وهما نار تأجج للميت كما
اخبر صلى الله عليه وسلم عن نار الدجال أنها ماء بارد وعن مائه انه نار تأجج
وقيل لنباش قد تاب ما أعجب ما رأيت قال نبشت رجلا فاذا هو مسمر
بمسامير في سائر جسده ومسمار كبير في رأسه وآخر في رجليه .. وقيل لآخر
قال رأيت جمجمة انسان مصبوباً فيها الرصاص .. وقيل لآخر ما كان سبب
توبتك قال عامة من كنت أنبش كنت أري وجهه محولا عن القبلة .. قال
المصنف وحدثني صاحبنا أبو عبد الله محمد بن مثاب السلامي وكان من خيار
عباد الله وكان يتحرى الصدق قال جاء رجل الى سوق الحدادين ببغداد
فباع مسامير فأخذها الحداد فجعل يحمى عليها فلا تلين حتى عجز عن ضربها

فطلب البائع فسأله من أين هي فقال لقيتها فلم يزل به حتى أخبره أنه وجد قبراً مفتوحاً فيه عظام ميت منظومة بهذه المسامير قال فعالجتها على أن أخرجها فلم أقدر فأخذت حجراً فكسرت عظامه وجمعتها قلت له فكيف صفتها قال المسمار صغير برأسين .. وذكر ابن أبي الدنيا بسنده قال لما حفر أبو جعفر خندق الكوفة حول الناس موتاهم فروئى شاب عاض على يديه .. وقال حدثني محمد بن الحسين قال حدثني أبو اسحاق قال دعيت الى ميت لأغسله فلما كشفت الثوب عن وجهه اذا بحية قد تطوقت على حلقه فذكر من غلظها قال فخرجت ولم أغسله فذكروا أنه يسب الصحابة .. الامر السادس أن يعلم أن عذاب القبر ونعيمه عبارة عن عذاب البرزخ ونعيمه وهو ما بين الدنيا والآخرة وانما أضيف الى القبر باعتبار الغالب فالمصلوب والغريق والحريق وأكيل السباع والطيور له من عذاب البرزخ ونعيمه قسطه حتى لو علق العاصي على رؤس الأشجار في مهاب الرياح لأصاب جسده من عذاب البرزخ حظه ولو ألقي الصالح فى أتون من النار لاصاب جسده من نعيم البرزخ وروحه نصيبه فيجعل النار على هذا برداً وسلاما والهواء على ذلك نارًا وسموماً فعناصر العالم ومواده منقادة لربها يصرفها كيف يشاء كما صرفها فيما نشاهد بخلق هذه القوى فيها بعد ان لم تكن تبارك اسمه وعزت مشيئته وتعالت قدرته وجلت قوته .. وأما هل ذكر فى القرآن فنعم في قوله تعالى ﴿ ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ﴾ فخاطبوهم عند الموت بقولهم اليوم تجزون وفى قوله ﴿ فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدواً

وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ فذكر عذاب الدارين ذكرًا صريحاً لا يحتمل غيره .. وفى قوله تعالى ﴿ ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الاكبر ﴾ احتج بها ابن عباس على عذاب القبر فان قيل انما المراد بهذا العذاب في الدنيا بالقتل والقحط والاسر وغيرها بدليل قوله لعلهم يرجعون أي عن الكفر قيل حبر الامة وترجمان القرآن يقول ذلك وهو أدق فهماً وأغزر علماً وتقرير قوله ان قوله تعالي من العذاب الادنى يدل على أنه يبقى بعد مايذوقونه منه فى الدنيا بقية يذوقونها بين الموت والعذاب الاكبر بعد الحشر وهذا نظير قوله صلى الله عليه وسلم فيفتح له طاقة الي النار فيأتيه من حرها وسمومها فان الذى يصل اليه بعض ذلك ويبقى أكثره .. وأما هل هو دائم أو منقطع فهو نوعان أحدهما دائم وهو عذاب الكفار و بعض العصاة لقوله تعالى في آل فرعون ﴿ النار يعرضون عليها غدوا وعشياً ﴾ وتقدم فى حديث سمرة عند البخارى فى رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم فهو يفعل به ذلك الى يوم القيامة .. وفي حديث أبى هريرة في الذين ترضخ رؤسهم لا يفتر عنهم .. وفى الصحيح عن أبى هريرة فى قصة الذى لبس بردين وجعل يمشى ويتبختر فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وفي بعض ألفاظ حديث البراء الطويل الماضي عند أحمد ثم يخرق له خرقا الي النار فيأتيه من غمها ودخانها الى يوم القيامة لكن ورد فى بعض الاحاديث أنه يخفف عنهم ما بين النفختين فاذا قاموا من قبورهم قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا .. الثاني منقطع وهو عذاب من خفت جرائمهم من العصاة فانه يعذب بحسب جريمته ثم يرفع عنه وقد يرفع عنه بدعاء أو صدقة أو نحو ذلك .. قال ابن أبي الدنيا حدثنى محمد بن موسى الصائغ أخبرنا عبدالله بن نافع قال

مات رجل من أهل المدينة فرآه رجل كأنه من أهل النار فاغتم لذلك ثم انه بعد سابعة أو ثامنة رآه كأنه من أهل الجنة فقال ألم تكن قلت أنك من أهل النار قال قد كان ذلك الا أنه دفن معنا رجل من الصالحين فشفع فى أربعين من جيرانه فكنت منهم .. وحدثنا احمد بن يحيي حدثنا بعض أصحابنا قال مات أخ لى فرأيته فى النوم فقلت له ما حالك حين وضعت فى قبرك قال أتاني آت بشهاب من نار فلولا أن داعياً دعالى لرأيت أنه سيضربنى به .. وحدثنى أبو عبد الله بن بجير حدثنى بعض أصحابنا قال رأيت أخاً لي فى النوم بعد موته فقلت أيصل اليك دعاء الاحياء قال أي والله يترفرف مثل النور ثم نلبسه .. وقال عمر بن جرير اذا دعا العبد لاخيه الميت أتاه بها الى قبره ملك فقال ياصاحب القبر الغريب هذه هدية من أخ عليك شفيق .. وقال بشار بن غالب رأيت رابعة فى منامى وكنت كثير الدعاء لها فقالت لي يا بشار بن غالب هداياك تأتينا على أطباق من نور مخمرة بمناديل الحرير قلت وكيف ذاك قالت هكذا دعاء المؤمنين الاحياء اذا دعوا للموتى فاستجيب لهم جعل ذلك الدعاء على أطباق النور ثم خمر بمناديل الحرير ثم أتى على الذي دعا له من الموتى فقيل هذه هدية فلان اليك وقد مضي تمام هذا في مسئلة انتفاع الأموات بسعى الاحياء .. وأما الاسباب الموقعة فى عذاب القبر فهى الجهل بالله والاضاعة لامره والارتكاب لمعاصيه المفضية الى سخطه المعبر به عن عذابه

قلت فان الغضب عبارة عن نوع تغير فى الغضبان يتأذي به ونتيجته اهلاك المغضوب عليه أو إيلامه فعبر عن المسبب كما سبق في المسئلة الثانية والله أعلم فمن أغضب الله وأسخطه فى هذه الدار ومات عن غير توبة كان

له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه فستقل ومستكثر .. وقد عين النبي صلى الله عليه وسلم للايقاع فيها أسباباً من اتقى ماذكرناه من هذا الاجمال استغنى عن تفصيلها ولما كان أكثر الناس مستحقاً بأكثر الارجاس كأن أكثر أصحاب القبور معذبين والفائز منهم قليل الا أن عفا الله وهو أهل العفو والمغفرة فظواهر القبور تراب و بواطنها حسرات وعذاب ظواهرها بالحجارة المنقوشة مبنيات وفي بواطنها الدواهي والبليات تغلي بالحسرات كما تغلى القدور بمافيها وحق لها لعمرى وقد حيل بينها و بين أمانيها .. ذكر ابن أبي الدنيا عن سماك بن حرب قال مر أبو الدرداء بين القبور فقال ما أسكت ظواهرك وفي باطنك الدواهي .. قال ثابت البناني بينا أنا أمشى فى المقابر واذا صوت خلفي يقول يا ثابت لا يغرنك سكوتها فكم من مغموم فيها فالتفت فلم أر أحداً .. ومر الحسن علي مقبرة فقال يالهم من عسكر ما أسكنهم وكم فيهم من مكروب .. وأما الاسباب المنجية منـه فالعلم بالله وخشيته وتقواه والامتثال لامره والوقوف عند نهيه وزجره وتجنب الاسباب المقتضية للعذاب ومن أنفع ذلك أن تجلس عند المنام ساعة تحاسب فيها نفسك ثم تجدد لكل ذنب توبة نصوحاً وتنام على تلك التـوبة فان مت كنت علي توبة والا استيقظت مستقبلا للعمل مسرورا بتأخير الأجل حتى تستقبل ربك وتستدرك ما فاتك وليس للعبد أنفع من هـذه التوبة لاسيما اذا عقب ذلك بذكر الله واستعمل السنن التى وردت عن رسول الله صلى الله عليـه وسلم حتى يغلبه النوم هذا وقد عين صلى الله عليه وسلم للنجاة منها أسبابا فعليك بها .. أخرج مسلم فى صحيحه عن سلمان رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامـه وان مات أجرى

عليه عمله الذى كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان •• والترمذى وقال حسن صحيح عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يختم على عمله الا الذى مات مرابطاً في سبيل الله فانه ينمى الى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر •• والنسائى عن رشدين بن سعيد عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال يارسول الله ما بال المؤمنين يفتنون فى قبورهم الا الشهيد قال كفى ببارقة السيوف علي رأسه فتنة معناه والله أعلم أنه امتحن إيمانه من نفاقه ببارقة السيف فدل على أن ايمانه هو الذى يحمله على بروزه للقتل وبذل نفسه لله وتسليمها له وهاج من قلبه حمية الغضب لله ورسوله واظهار دينه واعزاز كلمته فظهر أن دعواه الايمان بلسانه برزت عن قلب صادق وضمير بالله واثق فأغني ذلك عن الامتحان فى قبره •• والترمذى وهذا لفظه وقال حسن صحيح غريب وابن ماجه عن المقدام بن معدى كرب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للشهيد عند الله ست خصال يغفر له فى أول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الاكبر ويوضع علي رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا ومافيها ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين من أقاربه •• والترمذى أيضاً وقال حسن غريب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ضرب رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خباه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فاذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال صلى الله عليه وسلم هي المانعة هى المنجية تنجيه من عذاب القبر

قلت ورواه الحاكم وزاد وددت أنها فى قلب كل مؤمن وقال هذا

اسناد عندالبمانيين صحيح والله أعلم ٠٠ وفي مسند عبد بن حميد عن ابراهيم
ابن الحكم عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال لرجل
ألا أتحفك بحديث تفرح به قال الرجل بلى قال اقرأ تبارك الذى بيده الملك
أحفظها وعلمها جميع أهلك وولدك وصبيان بيتك وجيرانهم فانها المنجية والمجادلة
تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقاريها وتطلب له الى ربها أن ينجيه من
عذاب النار اذا كان في جوفه وينجي الله صاحبها من عذاب القبر ٠٠ قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لوددت أنها فى قلب كل انسان من أمتي ٠٠
وقال أبو عمر بن عبد البر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال سورة
ثلاثون آية شفعت فى صاحبها حتى غفر له تبارك الذى بيده الملك

قلت رواه أصحاب السنن الاربعة والحاكم وصححه من حديث أبى
هريرة ٠٠ وللنسائى والحاكم وقال صحيح الاسناد وهذا لفظه عن عبد الله بن
مسعود رضى الله عنه قال يؤتى الرجل فى قبره فيؤتى من قبل رجليه فتقول ليس
لكم على ماقبلى سبيل كان يقرأ سورة الملك ثم يؤتى من قبل صدره أو قال
بطنه فيقول ليس لكم على ما قبلى سبيل كان يقرأ فى سورة الملك ثم يؤتى
من قبل رأسه فيقول ليس لكم علي ماقبلى سبيل كان يقرأ سورة الملك فهى
المانعة تمنع من عذاب القبر وهي في التوراة سورة الملك من قرأها فى ليلة فقد
أكثر وأطنب وفى رواية من قرأها كل ليلة منعه الله بها من عذاب القبر
وكنا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نسميها المانعة وان في كتاب الله
عز وجل سورة من قرأها في كل ليلة فقد أكثر وأطاب ومثل هذا الحديث
لا يقال من قبل الرأي والله أعلم ٠٠ وقد جاء فيما ينجى من عذاب القبر حديث
رواه أبو موسى المدينى و بنى عليه كتابه فى الترغيب والترهيب وجعله سرحاله

رواه من طريق الفرج بن فضالة حدثنا هلال أبو جبلة عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن فى صفة بالمدينة فقام علينا فقال انى رأيت البارحة عجباً رجلا من أمتى أتاه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فردملك الموت عنه ورأيت رجلا من أمتى قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك ورأيت رجلا من أمتى قداحتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله فطرد الشيطان عنه وفي رواية فخلصه من أيديهم و رأيت رجلا من أمتى قد أحتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم و رأيت رجلا من أمتى يلهث عطشا كلما دنى من حوض منع وطرد فجاءه صيام شهر رمضان فأسقاه و رواه ورأيت رجلا من أمتى والنبيون جلوس حلقا كلما دنى الي حلقة طرد فجاءه غسله من الجنابة فأخذ بيده فأقعده الي جنبي وفى رواية الى جانبهم ورأيت رجلا من أمتى من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن يساره ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة وهو متحيرفيه وفي رواية فتحير فيها فجاءه حجه وعمرته فأخرجاه من الظلمة وأدخلاه فى النور و رأيت رجلا من أمتى يتقي بوجهه وهج النار وشررها وفي رواية يقي حر النار وشررها بيده وجهه فجاءته سترته فصارت سترة بينه و بين النار وظلت علي رأسه و رأيت رجلا يكلم المؤمنين ولا يكلمونه فجاءته صلته لرحمه فقالت يامعشر المؤمنين إنه كان وصولا لرحمه فكلموه فكلمه المؤمنون وصافحوه وصافحهم وفى رواية وكان معهم ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته الزبانية فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخله في ملائكة الرحمة و رأيت رجلا من أمتى جاثياً على ركبتيه و بينه و بين الله حجاب فجاءه حسن خلقه

فأخذ بيده فأدخله على الله عز وجل ورأيت رجلا من أمتى قد ذهبت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله عز وجل فأخذ صحيفته فوضعها فى يمينه ورأيت رجلا من أمتى قد خف ميزانه فجاءه افراطه فثقلوا ميزانه ورأيت رجلا من أمتى قائماً على شفير جهنم فجاءه وجله من الله عز وجل فاستنقذه ومضى ورأيت رجلا من أمتى قد هوى فى النار فجاءته دمعته التى بكت من خشية الله عز وجل فاستنقذته من ذلك ورأيت رجلا من أمتى قائماً على الصراط يرعد كما ترعد السعفة في ريح عاصف فجاءه حسن ظنه بالله فسكن روعه وفى رواية فسكن عنه رعدته ومضى ورأيت رجلا من أمتى يزحف علي الصراط يحبو أحياناً ويتعلق أحياناً فجاءته صلاته عليّ فأقامته علي قدميه وأقعدته حتى جاز ورأيت رجلا من أمتى انتهى الى أبواب الجنة فغلقت الابواب دونه فجاءته شهادة أن لا اله الا الله ففتحت له الابواب وأدخلته الجنة .. قال الحافظ أبو موسى هذا حديث حسن جداً رواه عن سعيد بن المسيب عمر بن ذر وعلى ابن زيد بن جدعان ونحو هذ الحديث مما قيل فيه رؤيا الأنبياء وحى فهي على ظاهرها ورؤياه الطويلة وردت من ثلاثة أوجه من حديث سمرة فى الصحيح ومن حديث عليّ وأبي أمامة والثلاثة قريب بعضها من بعض تشتمل علي ذكر عقوبات جماعة من المعذبين فى البرزخ فأما هذه الرواية فاتبع العقوبة بالعمل المنجى لصاحبها وراويها عن ابن المسيب هلال أبو حبلة مدنى لا يعرف بغير هذا الحديث ذكره ابن أبى حاتم عن أبيه هكذا وكنى الحاكمان أبو أحمد وأبو عبد الله أباه أبا حبل بغير هاء وحكياه عن مسلم وراويه عنه الفرج بن فضالة وهو وسط فى الرواية ليس بالقوى ولا المتروك وراويه عنه بشر بن الوليد الفقيه المعروف بابن الخطيب كان حسن المذهب

جميل الطريقة

قلت ورأيت في أواخر معاني الاخبار للكلاباذي في أثناء كلامه على حديث قسم الله العقل ثلاثة أجزاء من أول هذا الحديث الى ذكر مصافحة المؤمنين لكنه أسقط ذكر احتواش الملائكة والشياطين أسنده من طريق علي بن زيد بن جدعان من وجه واه بمرة ورواه الطبراني في المطولات من وجه آخر عن ابن جدعان فقال حدثنا علي بن عبد العزيز أخبرنا سليمان بن أحمد الواسطي أخبرنا مروان بن معاوية الفزاري أخبرنا الوزير بن عبد الرحمن عن علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب فذكره بمعنى ما عند أبي موسى سواء .. قال المصنف سمعت شيخ الاسلام يعظم أمر هذا الحديث وقال أصول السنة تشهد له وهو من أحسن الأحاديث

قلت وتقدم في ضمة القبر حديث أبي هريرة في ذلك

******

هذا آخر ما أردته من كتاب الروح للعلامة شمس الدين بن القيم قد تم ولله الحمد وكان الحامل لي على تهذيبه واختصاره وترتيبه من استشهد لي من الأموات في طاعون سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة بالقاهرة المعزية سقى الله معاهدهم سحائب الرضوان وجمعنا بهم في أعلى الجنان

وقد تم ولله الحمد والمنة طبعه في مطبعة السعادة بمصر وذلك في منتصف شهر ربيع الاول الانور سنة ١٣٢٦ هجريه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

﴿ فهرس كتاب سر الروح ﴾

مقتصراً فيه على امهات المسائل

صحيفة

٠٢ مقدمة الكتاب وتقسيم مسائله

٠٤ المسئلة الاولى .. في حقيقة الروح والنفس وفي انها واحد أم شيئان الخ

٥٤ المسئلة الثانية .. في ان الروح محدثة أو قديمة وهل تقدم خلقها على خلق الجسد أم لا

٧٠ المسئلة الثالثة .. فى أن الروح تموت مع البدن أم الموت للبدن وحده

٧٤ « الرابعة .. فى ان الروح هل تعاد الى الميت ومتى تعاد

٩١ « الخامسة .. أين مستقر الارواح ما بين الموت والحياة ومتى تزار القبور

١٠٧ المسئلة السادسة .. فى ان الارواح هل لها ادراك بعد الموت أم لا

١٢٧ « السابعة .. بأي شئ تمايز الارواح بعد مفارقة الاشباح حتى تتعارف وهل تتشكل باشكال ابدانها

١٢٧ المسألة الثامنة .. فى فتنة القبر بالسؤال وفيه أمور

١٣٤ المسئلة التاسعة .. هل تنتفع أو تضر أرواح الموتى بشئ من سعي الاحياء أو لا

١٤٨ المسئلة العاشرة .. في عذاب القبر ونعيمه وما محله أهو النفس أم البدن أم هما معاً

١٧٠ خاتمة الكتاب وسبب تأليفه

(تمت)

